فقه الشيعة الإمامية  
و أكذوبة تلويث الكعبة المقدسة

الشيخ محمدعلي المقدادي

ملخّص البحث :

في القرون الأخيرة اتهموا الشيعة بأکاذيب... منها: تلويث الکعبة المقدسة! هذه المقالة ستردّ تلك التهمة بالدلائل الفقهية المحکمة، ولايخفی أنّ الوثائق والمستندات حول هذا الموضوع کثيرة جدّاً استفدنا من بعضها في مقالتنا هذه.

فالاعتصام بحبل الله المتين القوي في هذه الظروف الصعبة التي صارت أيادي أعداء الإسلام يداً واحدة ضدّ المؤمنين و المسلمين واجب و لازم، (وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جَميعاً وَلَاتَفَرَّقُوا...).[[1]](#footnote-1)

الکلمات المفتاحیة:

تنجيس المساجد، الکعبة المعظمة، الآيات، الروايات، أقوال الفقهاء، الوثائق والمستندات.

\* \* \*

إنّ عظمة وحرمة المسجدالحرام وخصوصاً الكعبة المشـرفة ممّا لاريب فيه وقد صرّح القرآن الكريم والسنة الشريفة بذلك (التعظيم والحرمة)، إضافة إلی دليلي الاجماع والعقل.

أقول على ضوء ذلك، إنّ تنجيس المساجد حرام نصاً وفتوًى.

أمّا نحن الشيعة الإمامية لانرضی تأخير تطهير مسجد من المساجد العادية حينما يتنجّس، فکيف بالمسجد الحرام؟! نلوّثه؟! (... إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ)!!!.[[2]](#footnote-2) وفقهاء الشيعة الإمامية کلّهم أفتوا بحرمة تنجيس المساجد.

فما صدر من اتهامات للشيعة بتلويثهم الكعبة المقدسة ومسجدها الحرام، إن هو إلّا أكاذيب منبعها الحقد والکراهية والبغضاء والجهل، سنردّها ونُبطلها بالأدلة والأسانيد الموثقة والمعتبرة إن شاء الله تعالی.

فالمسلمون جميعاً مأمورون بالتمسك بالقرآن الکريم و السنة النبوية الشـريفة، والشيعة بالذات أشدّ التزاماً بحديث الثقلين الداعي إلی التمسك بکتاب الله تعالی وبعترة النبي9 أو سنته في قول ، والوارد بألفاظ عديدة، منها: «إني تاركٌ فيکم ما إن تمسَّکتم به ، لن تضلوا بعدي ـ أحدهما أعظم من الآخر ـ : کتاب الله ، حبلٌ ممدود من السماء إلی الأرض ، و عترتي أهل بيتي ، و لن يتفرَّقا حتی يَـرِدَا عليَّ الحوض ، فانظروا کيف تخلفوني فيهما».[[3]](#footnote-3)

وتلويث المسجد الحرام وکعبته المبارکة عمل مخالف لما يحمله هذا الحديث المبارك من التمسك بالقرآن الذي يؤکد عدد من آياته طهارة المسجد وتدعو إلی حرمته وتطهيره، و کذا الحال مع الأحاديث النبوية و روايات أهل البيت:، فلا يمکن أن يتعمد أتباع أهل البيت:، تنجيس أو تلويث أي مسجد فضلاً عن أن يکون المسجد الحرام و الکعبة المشرفة!!

القرآنُ الكريم:

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ).[[4]](#footnote-4)

(...وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِى الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).[[5]](#footnote-5)

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ).[[6]](#footnote-6)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمشـْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).[[7]](#footnote-7)

(لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ).[[8]](#footnote-8)

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْـرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ).[[9]](#footnote-9)

(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ).[[10]](#footnote-10)

الروايات:

قَالَ الصَّادِقُ7 :«مَنْ تَنَخَّمَ فِي الْمسْجِدِ ثُمَّ رَدَّهَا فِي جَوْفِهِ لَمْ تَمُرَّ بِدَاءٍ إِلَّا أَبْرَأَتْهُ». [[11]](#footnote-11)

قَالَ رَسُولُ الله9: «مَنْ كَنَسَ الْمسْجِدَ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَأَخْرَجَ مِنْهُ مِنَ التُّرَابِ مَا يُذَرُّ فِي الْعَيْنِ غَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ».[[12]](#footnote-12)

قَالَ الصَّادِقُ7: «مَنْ مَشَى إِلَى الْمسْجِدِ لَمْ يَضَعْ رِجْلَيْهِ عَلَى رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا يُسَبِّحُ لَهُ إِلَى الْأَرَضِينَ السَّابِعَةِ».[[13]](#footnote-13)

قَالَ عَلِيٌّ7: «صَلَاةٌ فِي بَيْتِ الْـمَقدِسِ تَعْدِلُ أَلْفَ صَلَاةٍ وَ صَلَاةٌ فِي الْمسْجِدِ الْأَعْظَمِ تَعْدِلُ مِائَةَ أَلْفِ صَلَاةٍ وَصَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ الْقَبِيلَةِ تَعْدِلُ خَمْساً وَ عِشْرِينَ صَلَاةً وَ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ السُّوقِ تَعْدِلُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ صَلَاةً وَ صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ تَعْدِلُ صَلَاةً وَاحِدَةً».[[14]](#footnote-14)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ7: «مَنْ بَنَى مَسْجِداً كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللَهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ».[[15]](#footnote-15)

أحمد بن محمد عن محمد بن يحيى عن غياث بن إبراهيم عن جعفر عن أبيه عن آبائه:: «إنّ علياً7 قال: البزاق في المسجد خطيئة وكفارته دفنه».[[16]](#footnote-16)

محمد بن علي بن محبوب عن محمد بن الحسين عن موسى ابن يسار عن علي بن جعفر السكوني عن إسماعيل بن مسلم الشعيري عن جعفر عن أبيه عن آبائه: قال: «من وقر بنخامته المسجد لقى الله يوم القيامة ضاحكاً قد أعطي كتابه بيمينه».[[17]](#footnote-17)

محمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن صفوان عن العيص بن القاسم قال: «سألت أبا عبد الله7 عن البِيَع والكنايس هل يصلح نقضها لبناء المساجد؟ فقال: نعم».[[18]](#footnote-18)

محمد بن علي بن محبوب عن الحسن بن علي بن النعمان عن محمد بن حسان عن إسحاق بن يشكر الكاهلي عن الحكم عن أنس قال: قال رسول الله9: «من أسرج في مسجد من مساجد الله سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام في المسجد ضوء من ذلك السراج.[[19]](#footnote-19)

عن فضيل بن عثمان عن عبد الله بن الحسن قال: إذا دخلت المسجد فقل: «اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك»، وإذا خرجت فقل: «اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب فضلك».[[20]](#footnote-20)

علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم عن أبي عبيدة الحذاء قال : سمعت أبا عبد الله7 يقول: «من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة، قال أبو عبيدة: فمرّ بي أبو عبد الله7 في طريق مكة وقد سويت أحجاراً لمسجد فقلتُ جُعلت فداك: نرجو أن يكون هذا من ذاك، فقال: نعم».[[21]](#footnote-21)

محمد بن علي بن الحسين قال: روي أنّ في التوراة مكتوباً: «ألا إنّ بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي، ألا إنّ على المزور كرامة الزائر، ألا بشّر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة».[[22]](#footnote-22)

الإجماع :

وجوب إزالة النجاسة عن المسجد قد بحث في علم الأصول مفصلاً، مثل مبحث الترتب ومبحث اجتماع الأمر والنهي و...، وهذا يدلّ بدلالة واضحة علی أهمية وجوب إزالة النجاسة عن المسجد فضلاً عن تنجيسه وتلويثه! فکيف بالکعبة؟! ولذلك کلّه ثبتت أهمية طرح هذا البحث، ( ... لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيـَى مَنْ حَىَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ).[[23]](#footnote-23)

قال آقا رضا الهمداني1 في المصباح: ثمّ إنّ وجوب إزالة النجاسة عن المسجد على الفور بلا خلاف فيه على الظاهر بل عن المدارك أو الذخيرة نسبته إلى الأصحاب، فإنّ المستفاد من الفتاوى ومعاقد الاجماعات المحكيّة على وجوب تجنيب المساجد النجاسة إنّما هو وجوب حفظ المسجد عن النجاسة وحرمة إحداث النجاسة أو إبقائها فيه.[[24]](#footnote-24)

وقال السيد الگلپايگاني1: ثمّ إنّه كما يحرم تنجيس المساجد، كذلك يجب إزالة النجاسة عنها إجماعاً...[[25]](#footnote-25)

وقال الميزرا القمي1: ... الظاهر ثبوت الإجماع على حرمة التنجيس مطلقاً...[[26]](#footnote-26)

\* \* \*

العقل:

بل دلالة بعض تلك الأدلّة على وجوب التطهير أوضح من دلالتها على حرمة تنجيس المساجد بل يستفاد من بعضها أوّلاً و بالذات وجوب التطهير و دلالة هذين قوله تعالى: (... فَلٰا يَقْرَبُوا الـمَسْجِدَ الْـحَرامَ...). وقوله تعالى: (...وَ طَهِّرْ بَيْتِىَ...). وقوله9: «جنّبوا مساجدكم النجاسة»، على حرمة التنجيس على نحو الاستلزام.[[27]](#footnote-27)

قال السيد الإمام الخميني1: ... المقدّمة الثالثة: أنّ التزاحمات الواقعة بين الأدلّة بالعرض لأجل عدم قدرة المكلّف على الجمع بين امتثالها ـ كالتزاحم بين وجوب إزالة النجاسة من المسجد ووجوب الصلاة، حيث تكون متأخّرة عن تعلّق الحكم بموضوعاتها وعن ابتلاء المكلَّف بالواقعة ـ لم تكن ملحوظة في الأدلّة، ولا تكون الأدلّة متعرّضة لها، فضلاً عن التعرّض لعلاجها، فقوله: «أزل النجاسة عن المسجد» - مثلاً - لا يكون ناظراً إلى حالات الموضوع ـ كما عرفت في المقدّمة المتقدّمة ـ فضلاً عن أن يكون ناظراً إلى حالاته مع موضوع آخر ومزاحمته معه، فضلاً عن أن يكون ناظراً إلى علاج المزاحمة، فاشتراط المهمّ بعصيان الأهمّ ـ الذي هو من مقدّمات الترتّب ـ لا يمكن أن يكون مفاد الأدلّة إن كان المراد شرطاً شرعياً مأخوذاً في الأدلّة... فظهر أنّ الأمر بالشيء لا يقتضي عدم الأمر بضدّه في التكاليف الكلّية القانونية، كما فيما نحن فيه.... وثانيهما: أنّ المكلّف مع ترك الأهمّ والمهمّ يستحقّ عقابين؛ لما تقدّم تفصيله. ولو تأمّلت فيما تقدّم تأمّلاً صادقاً، وتدبّرت فيه تدبّراً أكيداً، يسهل لك التصديق بما ذكرنا، والله وليّ الأمر.[[28]](#footnote-28)

قال السيد مصطفى الخميني1:... في الواجبين اللذين يكون أحدهما أهمّ، والآخر مهماً، وكان زمان وجوب الأهم والمهم واحداً، ولكن يتقدم أحدهما على الآخر نحو التقدم بالعلية، قالوا: بأنه لا يلزم منهما الجمع بين الضدين مثلاً، إذا كان أول زوال يوم الجمعة إزالة النجاسة من المسجد واجباً، وكان فيها وجوب الصلاة مشـروطاً بالعصيان، فإنه بعصيان الأهم تكون العبادة مأموراً بها، مع وحدة زمان التكليفين، وترتب أحدهما على الآخر. وهذه الصورة من الصور الكثيرة التي أجري فيها الترتب عند أربابه...[[29]](#footnote-29)

هکذا يبحث علماؤنا حول وجوب إزالة النجاسة عن المسجد، فأكذوبة تلويث الکعبة أکذوبة مدسوسة مجعولة، وأكذوبة مفضوحة، وأكذوبة دنيئة قبيحة التي قذفوهم بها لإيجاد التفرق في صفوف المسلمين، قال الله تعالی: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللّهََ مَعَ الصَّابِرِينَ).[[30]](#footnote-30)

\* \* \*

أقوال الفقهاء:

وإن احتلمت في مسجد من المساجد فاخرج منه واغتسل، إلّا أن يكون احتلامك في المسجد الحرام أو في مسجد رسول الله9، فإنك إذا احتلمت في أحد هذين المسجدين، تيمّمت وخرجت، ولم تمش فيهما إلّا متيمّماً.[[31]](#footnote-31)

... يكره النوم في المساجد كلها وخاصة في المسجد الحرام ومسجد النبي9 وإذا احتلم في أحد هذين المسجدين تيمم في مكانه وخرج واغتسل، وليس عليه ذلك في غيرها، ويستحب كنس المساجد وتنظيفها. ويستحب الإسراج في المساجد كلّها، ومن أكل شيئاً من المؤذيات مثل الثوم والبصل وما أشبههما نيّاً، فلا يحضـر المسجد حتى تزول رائحته، وإن كان مطبوخاً لا رائحة له لم يكن به بأس، وإذا أراد دخول المسجد ينبغي أن يتعاهد نعله أو خفّه أو غير ذلك لئلا يكون فيها شيئ من النجاسة.[[32]](#footnote-32)

مسألة 217 : طهارة البدن والثياب وموضع السجود شرط في صحة الصلاة ، وبه قال جميع الفقهاء، وزاد الشافعي: موضع الصلاة أجمع، وأبو حنيفة موضع السجود والقدمين. وقال مالك يعيد في الوقت، كأنه يذهب إلى أن اجتناب النجاسة ليس شرطاً في صحة الصلاة. وذهبت طائفة إلى أن الصلاة لا تفتقر إلى الطهارة من النجاسة، روي ذلك عن ابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، وأبي مجلز...

دليلنا: إجماع الفرقة، وطريقة الاحتياط. وأيضاً قوله تعالى: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّر) معناه من النجاسة لأن هذا حقيقته، وروي ذلك عن ابن سيرين.[[33]](#footnote-33)

... وإذا احتلمت في المسجد الحرام، أو في مسجد الرسول9 فتيمّم، ولا تمرّ في المسجد إلاّ متيمّماً...[[34]](#footnote-34)

... وعليك بالسّكينة والوقار والتخشّع إذا دخلت المسجد، فإنّه روي: «أنّ في التوراة مكتوباً: إنّ بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لمن تطهّر في بيته ثمّ زارني في بيتي، وحقّ للمزور أن يكرم الزائر».[[35]](#footnote-35)

... لا يجوز الدفن في شيء من المساجد... ويستحب الإسراج في المساجد كلها.[[36]](#footnote-36)

... الثامن: يحرم إدخال النجاسة إليها (إلی المساجد) و إزالتها.[[37]](#footnote-37)

بل الكلام إنما هو في العناوين المخصوصة المعنونة في كتب الفقهاء من وجوب الوضوء عند وجوب الصّلاة وحرمة الصلاة عند نجاسة المسجد...[[38]](#footnote-38)

تجب إزالة النجاسة عن المساجد داخلها وسقفها وسطحها والطرف الداخل من جدرانها ، بل والطرف الخارج على الأحوط...[[39]](#footnote-39)

مسألة: إذا رأى نجاسة في المسجد وقد دخل وقت الصلاة تجب المبادرة إلى إزالتها مقدماً على الصلاة مع سعة وقتها، ومع الضيق قدّمها، ولو ترك الإزالة مع السعة واشتغل بالصلاة عصى لترك الإزالة ، لكن في بطلان صلاته إشكال ، والأقوى الصحة، هذا إذا أمكنه الإزالة، وأما مع عدم قدرته مطلقاً أو في ذلك الوقت فلا إشكال في صحة صلاته، ولا فرق في الإشكال في الصورة الأولى بين أن يصلي في ذلك المسجد، أو في مسجد آخر، وإذا اشتغل غيره بالإزالة لا مانع من مبادرته إلى الصلاة قبل تحقق الإزالة.[[40]](#footnote-40)

مسألة: إذا توقف التطهير على بذل مال وجب...[[41]](#footnote-41)

وروى بكير في الحسن عن أحدهما8 قال: «إذا كان الحدث في المسجد فلا بأس بالوضوء في المسجد»، ولعل المراد بالحدث في المسجد مثل النوم والريح مثلاً، ومفهوم الرواية على ما ذكرنا أنه لو كان النوم في غير المسجد كره الوضوء له في المسجد ، ولا ينافي ذلك مفهوم الرواية الأولى بناء على حمل الوضوء فيها على الرافع للحدث، لأن ذلك مفهوم لقب.[[42]](#footnote-42)

أما الوجوب لدخول المسجد فعند البعض مقيد بالتلويث ، والأدلة ظاهرة في المطلق كما هو رأى المصنف إن تمت وهو قوله صلى الله عليه وآله: «جنّبوا مساجدكم النجاسة». وقوله تعالى: (إنّما الـمُشرِكوُن نَجسٌ فَلَا يَقرَبُوا...). والاجماع على منعهم، والظاهر أنّ العلة هي النجاسة، وكذا قوله تعالى: (أن طهّرا بيتيَ للطائفين...).[[43]](#footnote-43)

وفي الوسائل باب 24 حديث 2 من أبواب أحكام المساجد من كتاب الصلاة قال: روى جماعة من أصحابنا في كتب الاستدلال عن النبي9 أنه قال: «جنّبوا مساجدكم النجاسة».

مسألة 4: إذا رأى نجاسة في المسجد وقد دخل وقت الصلاة تجب المبادرة إلى إزالتها مقدّماً على الصلاة مع سعة وقتها...[[44]](#footnote-44)

مسألة 44: تجب المبادرة إلى إزالة النجاسة من المسجد ، وآلاته وفراشه حتى لو دخل المسجد ليصلي فيه فوجد فيه نجاسة وجبت المبادرة إلى إزالتها مقدماً لها على الصلاة مع سعة الوقت ، لكن لو صلى وترك الإزالة عصى وصحت الصلاة ، أما في الضيق فتجب المبادرة إلى الصلاة مقدّماً لها على الإزالة.[[45]](#footnote-45)

قال في المنتهى: ويحرم إدخال النجاسة إليها لقوله9:«جنّبوا مساجدكم النجاسة»، وغَسل النجاسة فيها: لأنه ينجسها.[[46]](#footnote-46)

كما أنّه لا إشكال في حرمة تنجيس المسجد حدوثاً و وجوب إزالة نجاسته بقاءً، لامكان استفادته ممّا ورد بالعموم، نحو قوله9: «... جنّبوا مساجدكم النجاسة»، ولا ميز في ذلك بين الحدوث و البقاء أيضاً، حيث إنّ المستفاد منه عرفاً، هو مبغوضيّة تنجّس المسجد بما هو مسجد، فلو كان الموضع نجساً قبل الجعل ثمّ جعل مسجداً يلزم تطهيره بلا كلام.[[47]](#footnote-47)

... بضـرورة المذهب إن لم تكن من الدّين، و في النبويّ «جنّبوا مساجدكم النجاسة».[[48]](#footnote-48)

ثم انّه كما يحرم تنجيس المساجد كذلك يجب إزالة النجاسة عنها إجماعاً و مستند ذلك- بعد الإجماع- هي الأدلّة المتقدّمة، أعني قوله تعالى: (... فَلٰا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ...). وقوله تعالى: (... وَ طَهِّرْ بَيْتِىَ... ). وقوله9: «جنّبوا مساجدكم النجاسة» بل دلالة بعض تلك الأدلّة على وجوب التطهير أوضح من دلالتها على حرمة تنجيس المساجد بل يستفاد من بعضها أوّلاً و بالذات وجوب التطهير كقوله تعالى: (وَ طَهِّرْ بَيْتِىَ) و قوله9:«جنّبوا مساجدكم النجاسة»، و دلالة هذين على حرمة التنجيس على نحو الاستلزام.[[49]](#footnote-49)

وجوب إزالة النجاسة عن المساجد و المشاهد و المصاحف و التربة.[[50]](#footnote-50)

مسألة : لا فرق في المسجد (حرمة تلويثه و وجوب إزالته عنه) بين المعمورة والمخروبة والمهجورة.[[51]](#footnote-51)

مسألة: تجب إزالة النجاسة عن المساجد.[[52]](#footnote-52)

مسألة: يحرم تنجيس المساجد.[[53]](#footnote-53)

مسألة 436: إذا توقف تطهير المسجد على بذل مال وجب، إلّا إذا كان بحيث يضر بحاله، ولا يضمنه من صار سبباً للتنجيس كما لا يختص وجوب إزالة النجاسة به.

مسألة 437: إذا توقف تطهير المسجد على تنجس بعض المواضع الطاهرة وجب، إذا كان يطهّر بعد ذلك.

مسألة 438: إذا لم يتمكن الانسان من تطهير المسجد وجب عليه إعلام غيره إذا احتمل حصول التطهير بإعلامه.[[54]](#footnote-54)

مسألة: في جواز تنجيس مساجد اليهود والنصارى اشكال، وأما مساجد المسلمين فلا فرق بين فِرقهم.[[55]](#footnote-55)

مسألة 432: تجب المبادرة إلى إزالة النجاسة من المسجد إذا استلزمت هتك حرمته...[[56]](#footnote-56)

\* \* \*

الوثائـق والمستندات:

لقد وجدت وثائق ومستندات حاکية عن کذب تلويث الکعبة، وتلك الوثائق والمستندات، وبتلك رُفع الستار بوضوح عن التهمة والافتراء والحقد، وبيّنت أنّ هذا الاتهام ليس طريقاً صحيحاً، فيلزم علی کلّ المسلمين اجتماعهم تحت ظلّ الوحدة الإسلامية، وعدم التنازع کما قال الله عزّوجلّ في کتابه الکريم (وَأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ).[[57]](#footnote-57)

وفي رواية زيد الشحّام أمر الإمام الصادق7 أصحابه بحسن الجوار مع أهل السنة: محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله7 قال: «يا زيد! خالقوا الناس بأخلاقهم، صلّوا فى مساجدهم، وعودوا مرضاهم، و اشهدوا جنائزهم، و إن استطعتم أن تكونوا الأئمة والمؤذّنين فافعلوا، فإنّكم إذا فعلتم ذلك قالوا هؤلاء الجعفرية، رحم الله جعفراً ما كان أحسن ما يؤدّب أصحابه و إذا تركتم ذلك قالوا هؤلاء الجعفرية فعل الله بجعفر ما كان أسوأ ما يؤدّب أصحابه».[[58]](#footnote-58)

الافراط والتفريط کلاهما غير صحيح من أي شخص، ولايفعل ذلك إلّا من کان في قلبه مرض، وکيف إذا کان تهمة وافتراءً؟! أعاذنا الله وإيّاکم.

ومع الأسف قذفوا الشيعة بهذه الاتهامات الواهية مرّات، ولکلّ مرّة قتلوا عدداً من حجاج الشيعة الأبرياء من أي بلد، ليشوهوا وجه الشيعة عند المسلمين.

\* \* \*

بعض هذه المستندات:

تلطيخ الکعبة ـ العياذ بالله ـ

وفي شوال 1088هـ . ق أصبح الناس فإذا بالکعبة ملطخة بما يشبه العذرة فاتهم الناس الشيعة بهذا جرياً على اعتقاد قديم لا أدري کيف تجيزه عقولهم، وهکذا اشتدت حمية الأتراك المجاورين والحجاج فأوقعوا ببعض الشيعة وقتلوا منهم أشخاصاً رمياً بالحجارة وضرباً بالسيوف. وينقل السيد دحلان عن العصامي في تاريخه أنه رأى بعينه ما تلوثت به الکعبة فإذا هو ليس من القاذورات وإنما هو من أنواع الخضروات عجن بعدس وأدهان معفنات فصارت رائحته کريهة، وسواء صحّ هذا أو لم يصح فالواقع أن الإسلام في حاجة إلى التواد الذي يجمع کلّ المخالفين في جادة واحدة، وأن أبناءه في غنىً عن أن يوسعوا شقة الخلاف بينهم بما يتوهمونه في المخالفين منهم.

وشدّ ما يؤسفني أن يتوهم العامة إلى اليوم أنّ الشيعة العجم لايتم حجّهم في مذهبهم إلّا إذا لوث الکعبة الحاج! لو کنا نحتکم إلى منطق العقل لعلمنا أن صحة الفکرة تقتضـي أن تلوث الکعبة في کلّ عام بالألوف المؤلفة من القاذورات تبعاً لعدد الشيعة من الحجاج وهو ما لا يسلم به الواقع الملموس، ولکننا نلغي عقولنا بالنسبة لمخالفينا.[[59]](#footnote-59)

محنة الشيعة:

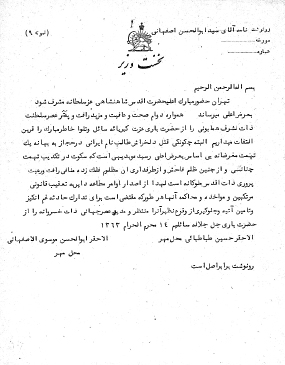
... فزعم بعض العامة أنهم وضعوا نجاسة في الکعبة المعظمة وثاروا لذلك، وثار بثورتهم العسکر وقصد الثائرون القاضي فهرب خوفاً من فتنتهم، ثم قصدوا إلى بيت المفتي فأخرجوه من بيته کما أخرجوا غيره من العلماء ذوي الهيئات واجتمعوا عند وزير الإمارة وطلبوا إليه إقامة الدعوى دون أن يعينوا خصماً معلوماَ ثم استطاعوا بتألبهم أن ينتزعوا أمراً من الوزير بإبعاد الشيعة من مکة وخرجوا إلى السوق ينادون بطردهم ونهب بيوتهم وذهبوا في اليوم الثاني إلى بيت القاضي وطلبوا منه أن يتوسط لدى أمير مکة في التصديق على أوامر الوزير التي بأيديهم إبعاد الشيعة فامتنع الأمير ثم ما لبث أن اضطر إلى مجاراتهم خوف الفتنة العامة.

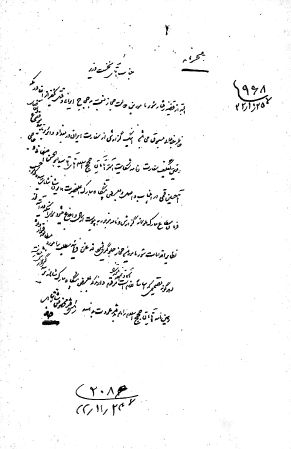
وهکذا خفّ بعض الشيعة إلى الطائف وبعضهم إلى جدة ومکثوا مدة على ذلك حتى هدأت الفتنة واستطاع أمير مکة أن يقبض على دعاتها ثم أرسل إلى الهاربين فعادوا إلى مکة.

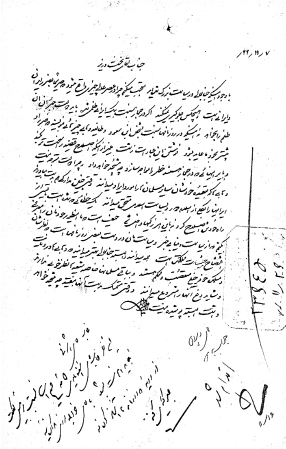
وينقل الدحلان عن تاريخ الرضي أن ماحدث کان نتيجة لتعصب بعض أراذل الناس والأتراك وأن أهل مکة الحقيقيين لم يکونوا راضين عن ذلك، وإني لا أميل إلى اتهام أشخاص معنيين بقدر ما أميل إلى نعي الجهل المتأصل في عامة المسلمين من جميع الأجناس والمذاهب، وقد کان ولايزال سبباً قوياً من أسباب تفرقة المسلمين وتشتيت کلمتهم.[[60]](#footnote-60)

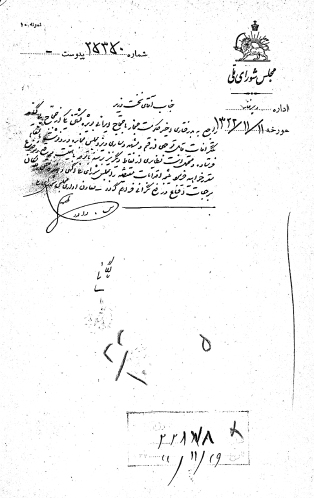
وقال أحمد السباعي في کتابه (تاريخ مکة): و شدّ ما يؤسفني أن يتوهم العامة إلی اليوم أنّ شيعة العجم لا يتمّ حجّهم في مذهبهم إلاّ إذا لوث الكعبة الحاج!!![[61]](#footnote-61)

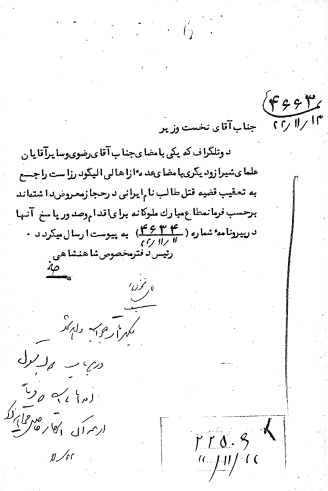
وفي ذي الحجة عام 1362ق، 1322ش، (قبل 78 سنة) وقعت حادثة مؤلمة أدت إلی قتل أحد الأبرياء الحاج أبي طالب اليزدي بتهمة تلويث البيت الشـريف، نأتي ببعض الوثائق حول هذا الموضوع:











وللحصول علی کلّ الوثائق والمستندات في هذا الموضوع راجع مکتبة الحج والزيارة بقم المقدسة، رقم الوثائق:3092 .

ــــــــــــــــــــــــــــ

ــــــــــــــــ

ـــــــــ

ـــــ

يا كاذباً أصبح في كذبه

أعجوبة أية أعجوبه

وناطق ينطق في لـفظـة

واحدة سبعين أكذوبه.[[62]](#footnote-62)

\* \* \*

(... فَاذکرُوا اللهَ ...)  
(1)

حسن الحاج.[[63]](#footnote-63)

ملخـّص البحث:

(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ \* ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ \* فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ\*  وِمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ\* أُولَـٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ \*وَاذْكُرُواْ اللهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ).[[64]](#footnote-64)

إنَّ تكرار الذكر مرّات في هذا المقطع القرآني المختصّ بالحجّ؛ لعلّه يُراد منه بيان شدّة العناية الإلهيّة بخلقه سبحانه وتعالى، وبما ينفعهم؛ خاصة بأولئك الوافدين لأداء مناسك الحجّ في هذه البقاع المباركة: عرفات والمشعر الحرام ومنى، فضلاً عن المسجد الحرام وكعبته المباركة..، وحضّهم وتشجيعهم لترك ما لا ينفع، وترغيبهم وتوجيههم لفعل ما هو كثير فائدةٍ وعظيم ثوابٍ لهم، فإنَّ خير ما يقع في هذه البقاع والأوقات المباركة هو ذكر الله تعالى والاستزادة منه من قبل أولئك الذين يقصدون البيت الحرام وما حوله من بقاعٍ مشرّفة؛ حجّاجاً وعمّاراً، أفراداً وأفواجاً، ذكوراً وإناثاً، (يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا)!

\* \* \*

هناك على رمال عرفات، وعلى مقربة من جبلها يتجسّد مشهدٌ مهيبٌ، جليلٌ فضلُه، موقفٌ مباركٌ؛ يوم عرفة، لا يتمُّ الحجُّ إلّا به، حيث ركن الحجّ الأكبر، ملتقى الذاكرين المتعبّدين، ومأوى الوافدين المتأملين آياته سبحانه، الراجين رحمته ومغفرته، وقد ركنت قلوبهم إلى جنبه، وسكنت إلى ذكره أنساً به واعتماداً عليه ورجاءً منه؛ ليكونوا جزءًا من (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِاللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ).[[65]](#footnote-65)

جزءًا من مشهد مشرق لقلوبٍ مؤمنةٍ مطمئنةٍ بذكره عزَّ وجلَّ، من لوحة لنفوس عارفة، تتحرك نحوه تعالى بقلوب وجلة خاشعة، وأكفٍّ متضـرّعة، وعيون باكية، وألسن تردّد ذكره المبارك، تعيش أجواءه، وقد تجلّت سلاماً وأماناً، فتضفي عليها الطمأنينة، وكيف لا تطمئن هذه النفوس، وهي ترى أنَّها بجواره سبحانه وفي حفظه ورعايته، فلا وحدة توحشها، ولا حيرة تقلقها، ولا خوف ينتابها، آمنة من أي تجاوز أو اعتداء، أو ضرّ أو سوء إلّا بما يشاء ويرضى، تزداد تسليماً واطمئناناً أنَّ ما يختاره لها ربُّها من خيرٍ أو ضرٍّ، من نعمة أو بلاء يعود عليها بالمنفعة، إن في الدنيا وإن في الآخرة، خاصةً إذا قابلت ذلك بالشكر ورضيت به، وتحلّت بالصبر الجميل، وبالتالي تكمن السعادة وديمومتها بذكره تعالى، فيما يُغادر الضنك والمشقّة والسأم عن ذكره سبحانه؟!

إذن فالتنزيل العزيز بآياته الآمرة بالذكر والدّاعية إليه؛ ومنها الآية المذكورة: يرسم صورة شفيفة للقلوب المؤمنة، في جوٍّ من الطمأنينة والأنس والبشاشة والسلام، تطمئن بإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن في جانبه وفي حماه؛ تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق، بإدراك الحكمة في الخلق والمبدإ والمصير، وتطمئن بالشعور بالحماية من كلّ اعتداء، ومن كلّ ضرٍّ ومن كلّ شرٍّ إلّا بما يشاء، مع الرضا بالابتلاء والصبر على البلاء، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة.

ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة، يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله؛ ... وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس إلى الله، ليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتوت الصلة بما حوله في الكون؛ لأنه انفصم من العروة الوثقى التي تربطه بما حوله في الله خالق الكون. ليس أشقى ممن يعيش لا يدري لِم جاء؟ ولِم يذهب؟ ولِم يعان ما يعاني في الحياة؟ وإنَّ هناك للحظات في الحياة لا يصمد لها بشر، إلّا أن يكون مرتكناً إلى الله، مطمئناً إلى حماه، مهما أوتي من القوة والثبات والصلابة والاعتداد.. ففي الحياة لحظات تعصف بهذا كلّه، فلا يصمد لها إلّا المطمئنون بالله! هؤلاء المنيبون إلى الله، المطمئنون بذكر الله، يحسن الله مآبهم عنده، كما أحسنوا الإنابة إليه ، وكما أحسنوا العمل في الحياة..![[66]](#footnote-66)

لقد تكرر الذكر مرتين، وكذا اطمئنان القلوب هو الآخر تكرر مرتين في الآية المباركة: (...وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) .

لعلّ فيه حثًّا على مداومة ذكر الله تعالى في جميع الظروف الزمانية والمكانية والأحداث والوقائع، سواء أكان العبد المؤمن في سرّاء أم ضرّاء، في فرج أم عسـر، في نعمة أم بؤس..؛ فما دام إحسانه عزَّ وجلَّ في جميع الحالات، وهو إحسان لا ينقطع، فذكره تعالى ينبغي، بل يجب أن لا ينقطع ولا يتوقف... ذكرٌ يغني عن كلّ شيء، وكافٍ عن جميع المخلوقات، به نحظى برضا الله عزَّ وجلَّ، فنسعد في الدنيا والآخرة..

ولعلَّ فيه إغراءً بالإكثار منه، خاصةً الحجيج وهم في ضيافة الرحمن ووفادته، يناجون ربَّهم وحده لا شريك له، وقد تجرّدوا وابتعدوا عن كلّ ما يشدُّهم إلى الدنيا، وكيف لا؛ وهم في حشرٍ يذكرهم بيوم الحشر الأكبر، ومشهدٍ من مشاهد يوم القيامة حيث لا قوة ولا سلطان ولا جاه ينفعهم، ولا مال ينقذهم، ولا معين ولا سند ولا حسب يركنوا إليه..؟!

إنَّ عرفة موقفٌ بين يدي الله تعالى، وذكرٌ يجسد الاعتراف بربوبيته سبحانه، وتعهدٌ بالتزام أوامره ... نعم هو غنيٌّ عن كلّ ذلك، وليس بحاجة إليه (وَاللَهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ).[[67]](#footnote-67)

ولكنها مكابدة يومية وشهرية وموسمية، فرضتها شريعة السماء ودعت إليها، غايتها تنقية النفوس من أدرانها والتحرر من أغلالها، ولا يتمُّ ذلك إلّا بالمزيد من ذكر الله تعالى والتفاعل مع هذا الذكر، وما فصول الأدعية المأثورة عند المسلمين؛ ومنها دعاء الإمام الحسين ودعاء ابنه عليّ8 التي يستحب الدعاء بها في البقاع المشـرفة، وبالذات في عرصة عرفة ويومها، إلّا جزءٌ مبارك من ذكر الله تعالى والثناء عليه ومناجاته والتوسل به وسؤاله المغفرة؛ لتطهير النفوس واستعادة حريتها من الأهواء وقيود الدنيا وملاذها التي تشدّها إلى الأرض... ثمَّ ينطلقون عبر إفاضة مباركة حاشدة إلى موقف آخر إلى المزدلفة حيث المشعر الحرام؛ ليُلبّوا أمره: (...فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمشْعَرِ الْحَرَامِ).

ذكراً حسناً؛ صلاةً ودعاءً، استغفاراً وتوسلاً، تكبيراً وتهليلاً وتلبيةً، إنَّه ذكر يخالط اللسان والقلب، ويحفظ إحسانه تعالى، وعظيم ما أنعم به علينا، فذكره عزَّوجلَّ شرف للعبد ما بعده ولا قبله شرف ولا فضل، تسمو به روحه، وتعلو به منزلته، ويتجذر به إيمانه، وتنفتح به بصيرته ...، تمهيداً لإفاضة أُخرى تبدأ من المزدلفة إلى حيث منى يرافقها ذكر الله سبحانه...

وفي هذه المواقف نجد ذكر الله هو الأكبر والأعظم، وقد ورد بآیات قرآنيّة كثیرة العدد، وهو من العبادات التي یتقرب بها إلى الله تعالى بل العبادات قائمة عليه، بل الحياة بكلّ مفاصلها بدون ذكر الله تُعدُّ حياةً بلا معنى، بل هي الموت بعينه حتى نُسب إلى رسول الله9 أنَّه قال: «مثل الذي يذكر ربَّه، والذي لا يذكر ربَّه، مثل الحي والميت»!

وحقيق بالعبد ألَّا يفتُرَ لسانه من ذكر الله سبحانه، وألَّا يزال لَهِجًا بذكره تعالى، فبالذكر يغادر اللسان اليبوسة ويبقى رطباً، وقد ورد أنَّ رجلاً سأل النبيَّ9 قائلاً:

إنَّ شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، وأنا قد كبرتُ، فأخبرني بشيء أتشبث به، ولا تُكثر عليَّ فأنسى!

قال9: «لا يزال لسانُك رطباً بذكر الله تعالى»![[68]](#footnote-68)

فما أجمل أن يكون لسان العبد رطباً بذكره تعالى، بمعنى أن يكون مشغولاً بذكره عزَّ وجلَّ استغفاراً وتسبيحاً وتهليلاً... فيكون العبد ممن تصدق عليه الآية الكريمة: (ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللهَ ذِكْراً كَثِيراً).[[69]](#footnote-69)

و يكون من أولئك (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ...).[[70]](#footnote-70) لا من المنافقين الذين وإن ذكروا الله، يذكرونه خداعاً وكسلاً، وعلى قلّة وندرة ورياء ... (إِنَّ الْمنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً).[[71]](#footnote-71)

علماً بأنَّ الصلة بين المؤمنين وخالقهم لا بدَّ لها من وسائل تتحقق بها؛ وبما أنَّ الإنسان مهما بلغ من القدرة والمعرفة عاجز عن إيجادها كما تُريدها السماء، وبما تحفظ بها تلك الصلة الطيبة، ويحقق له الفوز في الدنيا والآخرة، فقد تكفّل الله سبحانه بيانها، ومن أهمها: الذكر، .. وبالتالي لا ينبغي أن يغفل المؤمن عن ذلك، فيفقد هذه العلاقة وطرقها ويخسر مضامينها، وأن لا يشغله شاغل من تكاثر بالأموال والأنفس عن هذا الذكر المبارك والأدب العظيم وأقوى الصلات بالله عزَّ وجلَّ، وإلّا فهو ممن خسـروا ثواب الله ورحمته ورضوانه، قال تعالى: (ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ).

مع المقطع القرآني :

بعد كلّ هذا وغيره الكثير يدعو للوقوف عند المقطع المختار الذي تّعدُّ آياته من أهم آيات الحجّ ِالتي نزلت في حجّة الوداع، آخر حجّة حجّها رسول الله9 وفيها تشريع حجّ التمتع، والمسبوقة بأحكام الحجّ والملحوقة بها، نقف عند جزئية مهمة منه؛ عند الذكر المأمور به، وقد تكرّر مرّات في ثلاث آيات من هذا المقطع: (فَاذْكُرُواْ .. وَاذْكُرُوهُ.. فَاذْكُرُواْ .. كَذِكْرِكُمْ .. ذِكْراً .. وَاذْكُرُواْ ...). لما له من أهمية عظيمة وفضل جليل؛ ولأنه يُعدُّ أرفع أدبٍ و ألزم سلوكٍ لأداء مناسك هذه العبادة المباركة، فذكره جلّ جلاله ليس فقط يُشكّل أدباً عظيماً، بل يُعدُّ من أقوى الصلات بالله سبحانه وتعالى، إنَّه عبادة، اختارها الله وارتضاها، وأمر بها عباده المؤمنين في مواضع من القرآن الكريم، كما أنَّه ذو علاقة وثيقة بالتقوى التي هي الهدف الخاتم للحجّ ولموسمه وأيامه التي كانوا يسمونها أيام ذكر؛ لعظمة الذكر وبركاته وأهميته، فكانوا يمتنعون عن البيع والشراء فيها وهما عصبا الحياة؛ فقد ورد عن ابن عباس أنَّه قال: «كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم والحجّ، يقولون: أيام ذكر. فأنزل الله: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ)، فَاتَّجَرُوا».[[72]](#footnote-72)

نقف عنده بآياته لغةً وإعراباً وبلاغةً ومراداً وفضلاً ودرساً فقهيًّا..، ونبدأ بالآية:

**الأولى :** (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَاذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ).

جموع بشرية راحت الآية المباركة تصورهم، وهم يتدفقون من عرفات إلى المزدلفة أجلَّ وأهيب تصويرٍ كفيضان بحرٍ وانسياب ماءٍ كثير في منظر مهيب عظيم، تهتزُّ له المشاعر والقلوب والأذهان، وعيونهم ترمق السماء حيث الرحمة الإلهية التي لا يحدُّها حدٌّ، إنَّها إفاضة كبرى قد تجردوا فيها من ذنوبٍ كثيرة، وتطهروا من أدرانٍ أصيبوا بها، وها هم الآن يتضرعون؛ يأملون مغفرةً من ربِّهم ورضواناً، فما أعظم هذه الظاهرة، وما أروعها حين يصورها التنزيل العزيز بالإفاضة، وكأنَّهم خيرات أرضٍ تجمّعت ثمَّ فاضت، أو مياه نهر سالت من ضفتيه، فشكّل فيضان ماءٍ غزيرٍ أتى على نفوسهم؛ ليُطهرها كما يُطهر الفيضان أعماق ما يأتي عليه من مخلفات، فيظهر كياناً صافياً رائقاً.

الإعراب :

... (فَإِذا): الفاء استئنافية، وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب.

(أَفَضْتُمْ): فعل وفاعل والجملة في محل جرٍّ بالإضافة .

(مِنْ عَرَفاتٍ): الجار والمجرور متعلقان بأفضتم.

(فَاذْكُرُوا): الفاء رابطة لجواب الشرط، واذكروا فعل أمر وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم.

(اللهَ): مفعول به.

(عِنْدَ الْمشْعَرِ): الظرف متعلق باذكروا.

(الْحَرامِ): صفة للمشعر، ولك أن تعلق الظرف بمحذوف حال أي: كائنين عند المشعر الحرام .

(وَاذْكُرُوهُ) : الواو عاطفة وكررها للتوكيد. واذكروه فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به.

(كَما هَداكُمْ): الكاف حرف جرٍّ وما مصدرية، وهي مع مجرورها في محل نصب

مفعول مطلق أو حال، أي : اذكروه ذكراً حسناً، أو اذكروه مثل هدايته إياكم،

وجملة هداكم لا محل لها ؛ لأنها واقعة بعد موصول حرفي .

(وَإِنْ) : الواو حالية، وإن مخففة من الثقيلة.

(كُنْتُمْ): كان الناقصة واسمها.

(مِنْ قَبْلِهِ): الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال.

(لَمِنَ الضَّالِّينَ) اللام هي الفارقة. ومن الضالين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم.[[73]](#footnote-73)

(أَفَضْتُمْ) لغةً :

فاض الماءُ ، يفيض فَيْضاً، وفُيُوضاً، وفَيَضاناً: كثر حتى سال. فهو فائض، وفيّاض. ويقال: فاض النهر، وفاض السيل. وـ الإناءُ: امتلأ حتى طفح. وـ عينه: سال دمعها. و الشيء: كثر. يقال: فاض الخَيْر... ومنه الإفَاضَة ..

ومصدر أفاض: إفاضة ، والإفاضة : انصراف الحجيج عن الموقف في عرفة.

دفعتم أنفسكم وسرتم للخروج منها، والإفاضة دفع بكثرة من أفضت الماء إذا صببته بكثرة.

وفي المصباح المنير: فاض السيل يفيض فيضاً: كثر وسال من شَفة الوادي .. وفاض الخير: كثر. وأفاضه الله: كثّره.

وأفاض الناس من عرفات دفعوا منها، وكلّ دفعة إفاضة. وأفاضوا من منى الى مكة يوم النحر رجعوا إليها، ومنه طواف الإفاضة أي طواف الرجوع من منى إلى مكة.

الطبري: (فإذَا أفَضْتُـمْ) فإذا رجعتـم من حيث بدأتـم؛ ولذلك قـيـل للذي يضرب القداح بـين الأيسار مفـيض، لـجمعه القداح ثم إفـاضته إياها بـين المـياسرين، ومنه قول بشر:

فَقُلْتُ لَهَا رُدّي إلَـيْهِ جَنَانَهُ

فَرَدَّتْ كمَا رَدَّ الـمَنِـيحَ مُفِـيضُ

الزمخشري: دفعتم بكثرة، وهو من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة، وأصله أفضتم أنفسكم، فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا.

الطبرسي: «... والإِفاضة مأخوذة من فيض الإِناء عن امتلائه، فمعنى أفضتم: دفعتم من عرفات إلى المزدلفة عن اجتماع وكثرة، ويقال: أفاض القوم في الحديث إِذا اندفعوا فيه وأكثروا التصرف، وأفاض الرجل إِناءه إِذا صَبَّه، وأفاض الرجل بالقداح إِذا ضرب بها؛ لأنها تقع متفرقة، قال أبو ذُؤيب:

وَكَأَنَهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ

يَسَرٌ يُفيضُ عَلَى الْقِداحِ وَيَصْدَعُ

وأفاض البعير بجرته إِذا رمى بها متفرقة كثيرة، قال الراعي:

وَأَفَضْنَ بَعْدَ كُظُومِهِنَّ بِحِــرةٍ

مِنْ ذِي الأَباطِحِ إِذْ رَعَيْنَ حَقيلا

فالإِفاضة في اللغة لا تكون إِلاَّ عن تفرق أو كثرة ...

أما عرفة فهي مصدر لفعل عرف يعرف ... وتعني كلمة عرفة: الرمل والمكان المرتفع.

وعرفات في تسميتها أقوال عديدة، سمّيت كذلك إمّا لأنها نعت لإِبراهيم7، لمـّا أبصره عرفه، أو لأنَّ جبريل7 كان يدور به في المشاعر، فلما أراه إياه قال قد عرفت، أو لأنَّ آدم وحواء التقيا فيها فتعارفا، أو لأنَّ الناس يتعارفون فيها.. وقيل: سميت بذلك لعلّوها وارتفاعها ومنه عرف الديك...

وقد وردت «عرفات» في التنزيل العزيز مرة واحدة في الآية 198 البقرة ، فيما وردت في كلام رسول الله9 عرفة مفردة: «الحجُّ عرفة» «الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج».

وعرفة ؛ قيل: اسم لموقف الحاج ذلك اليوم، وهي اثنا عشر ميلاً من مكة. وسمي عرفات أيضاً: (فَإذَا أفَضتُم مِن عَرفَاتٍ).

وقال النيسابوري: عرفات جمع عرفة. وكلاهما علم للموقف، كأنَّ كلَّ قطعة من تلك الأرض عرفة، فسمّي مجموع تلك القطعة بعرفات. وكذا قال ابن الحاجب في شرح المفصل.

قال الطبرسي: عرفات: اسم للبقعة المعروفة التي يجب الوقوف بها، ويوم عرفة يوم الوقوف بها. و وافق على ذلك الفيروزأبادي. وهذا القول مبنيٌّ على إنكار كون عرفة اسماً للموقف. وهو قول الفراء.(اللغات).

وأما المشعر الحرام فهو الآخر في تسميته أقوال عديدة؛ المَشعَرُ: المعلم؛ لأنه معلم العبادة.. موضع مناسك الحجّ ، وجمعها مشاعر، ومشاعر الحجّ : مناسكه والأعمال التي تُتمّمه .. والمشعر الحرام : المزدلفة .. ووصف بالحرام ؛ لحرمته..

وسميت جمعاً؛ عن ابن عباس أنه نظر إلى الناس ليلة جمع، فقال: لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون. وقيل: سميت المزدلفة وجمعاً؛ لأنّ آدم صلوات الله عليه اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها، أي دنا منها. وعن قتادة: لأنه يجمع فيها بين الصلاتين.

ويجوز أن يقال: وصفت بفعل أهلها؛ لأنّهم يزدلفون إلى الله أي يتقرّبون بالوقوف فيها.[[74]](#footnote-74)

الذكر لغةً :

ذَكَرَ الشيءَ ـُ ذِكْراً، وذُكْراً، وذِكْرَى، وتَذكاراً: حَفِظَه. و ـ اسحضَـرَهُ. فالذكر مصدر ذكَر الشّيء يذكره ذِكْراً وذُكْراً، و ـ جَرَى على لسانه بعد نسيانه، وـ اللهَ: أَثنى عليه. و  ـ  النعمةَ: شكرها

و ـ الشيءَ له: أَعلمه به. و ـ حَقَّه: حَفِظه ولم يُضَيِّعْه.) ذَكِرَ ( ـَ ذَكَراً: جاد ذِكْرُه وحِفظه. فهو ذَكِرٌ، الحقَّ عليه: أَظهره وأَعلنه. و ـ فلاناً الشيءَ: جعله يذكُرُه ، ... (ذكَّرَ) و ـ فلاناً الشيءَ، وبه: أَذْكَرَهُ.( اذَّكَرَهُ ): ذكره. ويُقال: اذدكَرَهُ، وادَّكَرَهُ.(تَذَاكَرُوا) في الأَمر: تفاوضوا فيه. و ـ الشيءَ: ذكروه...

(اسْتَذْكَرَ) فلاناً: ربط في إِصْبَعِه خيطاً ليذكرَ حاجتَهُ. و ـ الشيءَ: ذكَرَه. (الذَّاكِرَةُ): قدرةُ النَّفْسِ على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها. .. (التَّذْكِرَةُ): ما تُسْتَذْكر به الحاجةُ. و ـ ما يدعو إِلى الذكر والعبرة. (كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ \* فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ).

وكما للتذكّر مرادفات مثل: استذكار وادِّكار وذِكر .. وللفعل ادّكَرَ، استذكَرَ، ذَكَرَ، له أضداد كالنسيان والغفلة والسهو.

والتذكر والنسيان تشكلان ثنائية لابدّيّة في النفس البشـرية، كما أنَّ للفعل ذَكَرَ أصلين كما يذهب إليه أهل اللغة يتفرّع عليهما جميع معانيه، الأول هو الذَكَرُ مقابل الأُنثى كما في الآيتين الكريمتين:

(... وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَىٰ ...).[[75]](#footnote-75)

(يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ).[[76]](#footnote-76)

فيما الأصل الآخر: الذِكر مقابل النسيان.

ابن منظور: ... وذَكَرْتُ الـشيء بعد النسيان،... وتَذَكَّرْتُه وأَذْكَرْتُه غيري وذَكَّرْتُه بمعنًى. قال الله تعالى: (وَادَّكَرَ بَعدَ أُمَّةٍ). أَي ذَكرَ بعد نِسْيان، وأَصله اذْتَكَرَ فَأُدغم...

ابن فارس: ذَكَرَ: ... الذَّالُ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ، عَنْهُمَا يَتَفَرَّعُ كَلِمُ الْبَاب. الَّتِي وَلَدَتْ ذَكَرًا... فَالْمذْكِرُ.

وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: ذَكَرْتُ الشَّيْءَ، خِلَافُ نَسِيتُهُ. ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ.

وَيَقُولُونَ: ... اجْعَلْهُ مِنْكَ عَلَى ذُكْرٍ، بِضَمِّ الذَّالِ، أَيْ لَا تَنْسَهُ.

وهذا الأكثر وروداً في الآيات القرآنيّة المباركة.

وقال الكسائيّ‏:‏ الذّكر باللّسان ضدّ الإنصات ذاله مكسورة، وبالقلب ضدّ النّسيان وذاله مضمومة، وقال غيره‏:‏ بل هما لغتان.

وفي شرح لفظ الذكر، يقول أبو الحسن الواحدي: أصل الذكر في اللغة: التنبه على الشيء وإذا ذكرته، فقد تنبهت عليه، ومن ذكرك شيئًا، فقد نبهك عليه، وليس من لازمه أن يكون بعد نسيان.

ثمَّ قال: ومعنى الذكر حضور المعنى في النفس، ويكون تارةً بالقلب، وتارةً باللسان، وتارةً بهما، وهو أفضل الذكر، ويليه ذكر القلب، والله أعلم.[[77]](#footnote-77)

هذا في اللغة، وأما الذكر اصطلاحاً :

فهناك تعريفات ذُكرت؛ يمكن أن نستفيد منها بياناً للذكر اصطلاحاً، فقد يأتي كما ذكروا بمعنى ذكر الإنسان لربِّه تعالى إخباراً عن صفاته عزَّ وجلَّ أو أفعاله أو أحكامه، أو تلاوةً لكتابه تعالى أو دعاءً بأن يدعوه ويسأله، أو ثناءً عليه سبحانه أوصافاً وآلاءً وأسماءً، أوتقديساً وتمجيداً وتوحيداً وشكراً وتعظيماً له... أو أنّ الذكر هو كلّ ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله عزَّ وأجلَّ من تعلم علم وتعليمه، وأمر بمعروف ونهي عن منكر... أو هو ما وضعه الشارع ليتعبد به، أو هو ما مدلوله الثناء على الله تعالى، بمعنى أنَّ الذكر اصطلاحاً مخصوص بذكر العبد ربّه إخباراً عن ذاته المقدسة، أو صفاته، أو أفعاله، أو أحكامه، أو بتلاوة كتابه، أو بمسألته ودعائه، ويتجلّى بشكل أخصّ بالثناء عليه عزَّ وجلَّ عبر تقديسه، وتمجيده، وتوحيده، وحمده، وشكره وتعظيمه‏... ‏

إضافةً إلى هذا الإيجاز نذكر بعض تعريفاتهم للذكر اصطلاحاً:

الراغب يقول: الذكر تارةً يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للانسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ، إلّا أنَّ الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارةً يقال لحضور الشئ القلب أو القول... ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكلّ واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ. وكلّ قول يقال له ذكر...

أما أبو البقاء: فبعد كلامه أنَّ الذّكر بِالْكَسْرِ لَهُ مَعْنيانِ: أَحدهمَا: التَّلَفُّظ بالشَّيْء، وَالثَّانِي: إِحْضَاره فِي الذِّهْن بِحَيْثُ لَا يغيب عَنهُ، وَهُوَ ضد النسْيَان. والذكر بِالضَّمِّ للمعنى الثاني لا غير. وَإِذا أُرِيد بِالذكر الْحَاصِل بِالْمَصْدَرِ يجمع على أذكار. يقول: الذكر وَهُوَ الْإِتْيَان بِأَلْفَاظ ورد التَّرْغِيب فِيهَا، وَيُطلق وَيُرَاد بِهِ الْمُوَاظبَة على الْعَمَل بِمَا أوجبه أَو ندب إِلَيْهِ كالتلاوة وَقِرَاءَة الْأَحَادِيث ودرس الْعلم، وَالنَّفْل بِالصَّلَاةِ.

هذا وجاء هذا اللفظ القرآني بمشتقاته، وتكرر بصيغ عديدة في التنزيل العزيز، فهي لفظة متواترة الحضور في القرآن الكريم، لعلّها ذكرت مائتین واثنتین وتسعین مرةً في مائتین وتسع وستین آیة، منها مائة واثنتان وتسعون آیة مكیة، وسبع وسبعون آیة مدنیة في إحدى وسبعين سورة من كتاب الله تعالى؛ منها ثلاث وخمسون سورة مكیة، وثماني عشرة سورة مدنیة، وبعدة صیغ واشتقاقات: مائة وخمس وخمسون بصيغة الفعل بأنواعه الثلاثة: الماضي: ثمان وعشرون مرةً. المضارع: واحد وسبعون مرةً، ولعلّ الإكثار من صيغة المضارع لما في هذه الصيغة من التجدد والاستمرار والدوام، وبالتالي ففيها حثٌّ على دوام الذكر والتفكر والاعتبار حتى حظي الذاكرون بمنزلة طيبة ومدح رفيع كما في الآية: (إِنَّ الْمسْلِمِينَ وَالْمسْلِمَاتِ ... وَالذَّاكِـرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً).[[78]](#footnote-78)

فيما الأمر: ست وخمسون مرةً، وهي صيغة أمر وحثٍّ وتفيد الاستقبال.

وأما بالصيغة الاسمية، فقد جاء هذا اللفظ مائة وسبعاً وثلاثين مرةً، وأريد به معاني عديدة، لعلّها تجاوزت عند بعضٍ عشرين معنًى، فيما آخر ذكر لها خمسة عشـر وجهاً... نكتفي ببعضها:

القرآن الكريم: (وَهَذاَ ذِكرٌ مُبارَكٌ أنزَلنَاهُ).[[79]](#footnote-79)ذكر لمن تذكر به، موعظة لمن اتعظ به.

القرآن أو الشرف أو النبيّ المرسل: (فَاتَّقُواْ اللهَ ياأُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُواْ قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً \* رَّسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ...). يعني القرآن (رَسُولاً) بدل من الذكر، وقيل: أنزل إليكم قرآناً وأرسل رسولاً. وقيل: مع الرسول، وقيل: «الذكر» هو الرسول. وقيل: «ذكراً» أي شرفاً.

(وَالقُرآنِ ذِي الذِّكرِ).[[80]](#footnote-80) أي ذي البيان .

صلاة الجمعة أو خطبتها التي تتضمن ذكر الله تعالى: (يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُواْ الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ).[[81]](#footnote-81)

الصلوات الخمس المفروضة، أو جميع طاعاته تعالى، أو شكره على نعمائه والصبر على بلائه والرضا بقضائه: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ).[[82]](#footnote-82)

الشرف:( وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ).[[83]](#footnote-83)

التذكر: استحضار الشيء بعد نسيانه. (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلّاَ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ).[[84]](#footnote-84)

العبرة والعظة: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمؤْمِنِينَ).[[85]](#footnote-85) (فلَـمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ).[[86]](#footnote-86)

وهذا الوجه كثير في التنزيل العزيز.

الطاعة: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ).[[87]](#footnote-87)

هذا وذكروا أنَّ لمفهوم الذكر عدّة معانٍ وأنواعٍ ووجوه، لعلّ جميعها تنضمُّ إلى معنيين؛ عام وخاص:

والأول يتوفّر على العبادة؛ واجبها ومستحبها، وبأنواعهما من صلاة وصيام وحجّ و... فهي طاعات وبلا شك تُقام لذكره تعالى، وعبادات يُتقرّب بها إليه سبحانه.

فيما الثاني يتوفّر على ألفاظ ومفردات، منها ما ورد عن الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، ومنها ما جاء عن رسول الله وآل بيته صلوات الله عليهم، وعن الصالحين؛ وفيها ثناء وتمجيد، وتنزيه، وتقديس، ويعود كلاهما إلى نوعين رئيسيين من الذكر:

الذكر القلبي والذكر اللساني : بمعنى ذكر في القلب يقابله ذكر باللسان. والذي بالقلب يوصف عادةً بالقوة، أما ذكر اللسان فيوصف بالكثرة؛ وما توافقا فيه فهو من أعظم العبادات وأجلّها، نعم قد يقلُّ الثواب والأجر إن لم يتوافق كلّ من اللسان والقلب.

ويبدو أنَّ الذكر بكلا الأداتين هو الذي حثَّ اللهُ سبحانه وتعالى عباده على الإكثار منه بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا).يقول الفراء: الذِّكْرُ ما ذكرته بلسانك وأَظهرته. والذُّكْرُ بالقلب. يقال: ما زال مني على ذُكْرٍ أَي لم أَنْسَه.

فالذكر يأتي ‏ويُراد منه ما يجري على اللّسان، أي ما ينطق به، يقال‏:‏ ذكرت الشـّيء أذكره ذِكراً وذُكرًا إذا نطقت باسمه أو تحدّثت عنه، ومنه قوله تعالى‏: (‏ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا)‏‏. أو يُراد منه استحضار الشّيء في القلب، وهو ضدّ النّسيان‏.‏

قال تعالى حكايةً عن فتى موسى‏:‏ (‏وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ)‏‏.‏

يقول الشيخ السيوري: الذكر يراد به اللّساني تارة والقلبيّ أخرى، لكنّ المقصود بالذات هو الثاني، وأمّا الأوّل فترجمان للثاني ومنبّه للقلب عليه؛ لكونه في الأغلب مأسوراً في يد الشواغل البدنيّة والموانع الطبيعيّة، وهذا هو السـرّ في تكرار الأذكار والتسبيحات والتحميدات وغيرها.

وكما ذكر الراغب في مفرداته: الذكر ذكران، ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكلّ واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ... ومن الذكر عن النسيان قوله: (... فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ...).[[88]](#footnote-88)

ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى: (‏فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً)،‏‏ وقوله تعالی: (... فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ...).

الذكر في قول القاضي عياض نوعان، أحدهما: ذكر بالقلب، وهو ضربان: الأول: التفكر في عظمة الله تعالى، وجلاله، وجبروته وملكوته، وآياته في سمواته وأرضه وهو أرفع الأذكار وأجلها.

الثاني : ذكره سبحانه بالقلب عند الأمر والنهي، فيمتثل ما أُمر به ويُترك ما نهى عنه، ويقف عما أشكل عليه. الآخر: ذكر اللسان مجرداً. وهو أضعف الأذكار.

أقول: إذن فالذكرالقلبي والذكراللساني اجتمعا في الآيتين مورد كلامنا: (فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ...).(فَاذْكُرُواْ اللّهََ كَذِكْرِكُمْ آبَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً). وهو صريح قول الراغب في مفرداته.

القرطبي: وأصل الذِّكر التَّنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له. وسُمي الذِّكر باللسان ذِكراً؛ لأنه دلالة على الذكر القلبي غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم.

ومعنى الآية: اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة قاله سعيد بن جبير. وقال أيضاً: الذكر طاعة الله فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن، وروي عن النبيّ9: «من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن أقلَّ صلاته وصومه وصنيعه للخير، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثّر صلاتَه وصومَه وصنيعَه للخير».[[89]](#footnote-89)

ویقول سید قطب: وإن كان ذكر الله أشمل من الصلاة، فهو یشمل كلّ صورة یتذكر فیها العبد ربَّه، ویتصل به قلبه سواء جهر بلسانه بهذا الذكر أم لم یجهر، والمقصود هو الاتصال المحرك الموحي على أية حال، وإنّ القلب لیظل فارغاً، أو لاهیاً أو حائراً حتى یتصل بالله ویذكره، ویأنس به، فإذا هو مليء جاد قار، یعرف طریقه، ویعرف منهجه، ویعرف من أین والى أین ينقل خطاه، ومن هنا يحضُّ القرآن كثيراً، وتحضُّ السنة كثيراً على الكثرة من ذكر الله.[[90]](#footnote-90)

فيما أضاف آخر : ذكر الروح. حتى قالوا: إنَّ للذكر ثلاثة مقامات: ذكر باللسان وهو ذكر العامّة، ذكر بالقلب وهو ذكر خواصّ المؤمنين، وذكر بالروح وهو لخاصّة الخاصّة وهو ذكر العارفين بفنائهم عن ذكرهم وشهودهم إلى ذاكرهم ومنّته عليهم.

أما الشعراوي: فقد أضاف ذكر الجوارح، يأتي هذا بعد أن يقول: ذكرُ الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب وذكر باللسان.

وذكر القلب نوعان: أحدهما: وهو أرفع الأذكار وأجلها التفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سماواته وأرضه، وفي أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله، ومنه الحديث «خير الذكر الخفي».

والثاني: ذكر بالقلب عند الأمر والنهي، فيمتثل ما أُمر به ويترك ما نهي عنه ويقف عما أشكل عليه. وأضيف إلى نوعي الذكر القلبي الذكر بالجوارح، وهو أن تصير مستغرقة في الطاعات، ومن ثم سمّى الله الصلاة ذكرًا فقال تعالى: (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ). وأما ذكر اللسان مجردًا، والمراد به الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد...، فهو وإن كان أضعف الأذكار، لكن فيه فضل عظيم كما جاءت به آيات وأحاديث. ثم الذكر يقع تارةّ باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه، ولكن يشترط ألا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر، وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالًا، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالًا، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.[[91]](#footnote-91)

وقد جاء كثير من الآيات القرآنيّة يحثُّ على ذكر الله سبحانه باللسان في جميع الظروف والأحوال والأوضاع منها:

(فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَاةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً). (فإذا قضيتم الصَّلاة) معناه فإذا فرغتم من صلاتكم أيها المؤمنون وأنتم مواقفو عدوّكم (فاذكروا الله قياماً وقعوداً) أي في حال قيامكم وقعودكم (وعلى جنوبكم) أي مضطجعين فقولـه: (وعلى جنوبكم) في موضع نصب عطفاً على ما قبله من الحال أي ادعوا الله في هذه الأحوال لعلَّه ينصركم على عدوّكم ويظفركم بهم مثل قولـه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). عن ابن عباس وأكثر المفسرين وقيل: معناه فإذا أردتم الصَّلاة فصلّوا قياماً إذا كنتم أصحاء وقعوداً إذا كنتم مرضى لا تقدرون على القيام وعلى جنوبكم إذا لم تقدروا على القعود عن ابن مسعود.

وروي أنه قال عقيب تفسير الآية لم يعذر الله أحداً في ترك ذكره إلاَّ المغلوب على عقله.[[92]](#footnote-92)

ابن عاشور: وذكر الله، المأمور به هنا هو ذكره باللسان؛ لأنّه يتضمّن ذكر القلب وزيادة فإنّه إذا ذكر بلسانه فقد ذكر بقلبه وبلسانه، وسَمِع الذكرَ بسمعه، وذكَّر مَن يليه بذلك الذّكر، ففيه فوائد زائدة على ذكر القلب المجرّد، وقرينة إرادة ذكر اللسان ظاهرُ وصفهِ بـ «كثير» لأنّ الذكر بالقلب يوصف بالقوة، والمقصود تذكر أنّه الناصر...[[93]](#footnote-93)

ما هو الذِّكر؟

الذي ورد في القرآن الأمر به والثناء على أهله، وما رتب عليه من الجزاء يطلق على جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، القولية والفعلية، فكلُّ ما تصوره القلب أو أراده أو فعله العبد أو تكلم به مما يقرب إلى الله فهو ذكر الله، والله تعالى شرع العبادات كلّها لإقامة ذكره، فهي ذكر الله، ويطلق على ذكر الله باللسان بذكر أوصافه وأفعاله والثناء عليه بنعمه وتسبيحه وتكبيره وتحميده والتهليل والصلاة على النبي9، ومن ذكره ذكر أحكامه تعلّمها وتعليمها، ولهذا مجالس التعلم والتعليم يقال لها مجالس الذكر، وأفضل أنواع الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان.[[94]](#footnote-94)

وقد ذكر المفسّرون وغيرهم مقاطع ومفردات لمفهوم الذكر، حتى عدّوا التلبية والتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد والتمجيد والثناء والدعوات والتضـرع والشكر ونحوها ذكراً مباركاً، شريطة أن يكون الذكر ذكراً لا تُمليه العادة، بل تسـري فيه روح العبادة، وبالتالي يحظى الذاكر بالبركة والأجر والقرب من ربِّه تعالى!

فيما آخرون منهم توسعوا في ذلك، فجعلوا جميع ما تصوره القلب ونطق به اللسان مما يقرِّب إلى الله تعالى من تعلّم علم، وتعليمه، وأمر بمعروف ونهى عن منكر، فهو من ذكر الله.

الطريحي: الذكر يشمل الصلاة وقراءة القرآن والحديث و تدريس الصلاة ومناظرة العلماء.[[95]](#footnote-95)

الشعراوي في خواطره : وقيل: الذكر هو الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك، والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضًا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة...  
وقيل: المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب التفكر في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله.

فضل الذكر :

فضلاً عن آيات قرآنيّة كثيرة، جاءت روايات تُبين فضل ذكر الله تعالى وتحثُّ عليه وحتى يقع الذكر موقعه في تربية النفس، وتظهر بركاته في تهذيبها، وثماره في تقويم سلوكها، وزيادة ارتباطها بخالقها..، وحتى يتحقق كلُّ هذا وغيره الكثير، تعالوا معنا لنرى ما يذكره الرازي من ترتيب أو مقدمات لذلك:.. إعلم أنَّ الله تعالى بيّن أولاً تفصيل مناسك الحجّ، ثمَّ أمر بعدها بالذكر، فقال: ( فَإِذَا أَفَضْتُم مّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ). ثم بيّن أنَّ الأولى أن يترك ذكر غيره، وأن يقتصر على ذكره، فقال: (فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا).

ثمَّ يقول الرازي: وما أحسن هذا الترتيب، فإنه لا بدَّ من تقديم العبادة؛ لكسـر النفس وإزالة ظلماتها، ثمَّ بعد العبادة لابدَّ من الاشتغال بذكر الله تعالى لتنوير القلب، وتجلّى نور جلاله، ثمَّ بعد ذلك الذكر يشتغل الرجل بالدعاء، فإنَّ الدعاء إنما يكمل إذا كان مسبوقاً بالذكر؛ كما حكي عن إبراهيم7 أنه قدّم الذكر فقال: (الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ).[[96]](#footnote-96) (رَبّ هَبْ لِى حُكْماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ).[[97]](#footnote-97) فقدم الذكر على الدعاء.[[98]](#footnote-98)

وأيضاً من فضل الذكر قوله تعالى في كتابه الكريم: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ).[[99]](#footnote-99)

تفضّلٌ عظيمٌ وكرمٌ ودودٌ من الله جلَّ جلاله أن جعل ذكره لنا مكافئاً لذكرنا له،   
فذكر العبد لله تعالى، يؤدّي إلى ذكر الله تعالى لعبده. بمعنى أنَّ ذكر الإنسان لربّه سبحانه، يترتب عليه أنَّ الله تعالى يذكره، فالله يقابله بالذكر حقًّا: «مَن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، ومَن ذكرني في ملإ ذكرتُه في ملإ خير منه». وشتّان شتّان بين الذكرين!

فقد ورد عن الإمام الصادق7 أنَّه قال: «وجعل ذكر الله تعالى من أجل ذكره تعالى إياك، فإنّه ذكرك وهو غني عنك، فذكره لك أجلّ وأشرف وأسنى وأتمَّ من ذكرك له».

ومما قالوه في تفسير هذه الآية :

«أذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي... أذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة»!

«أذكروني على ظهر الأرض أذكركم في بطنها! أذكروني في الدنيا أذكركم في الآخرة»!

«أذكروني في الرخاء أذكركم في البلاء! أذكروني بالتعظيم أذكركم بالتكريم»!

«أذكروني من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا ولذكر الله أكبر».

وقد ورد عن رسول الله9: «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من الدينار والدرهم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلونهم ويقتلونكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله9، قال: ذكر الله عزَّ وجلَّ كثيراً».

و روي عنه9: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً، فإنَّه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض».

و روي عن الإمام عليٍّ7: «أفيضوا في ذكر الله جلَّ ذكره، فإنَّه أحسن الذكر، وهو أمان من النفاق، وبراءة من النار، وتذكير لصاحبه عند كلِّ خير يقسمه الله جلَّ وعزَّ وله دوي تحت العرش».

و عن الإمام الصادق7 أنّه قال لما سئل: «من أكرم الخلق على الله؟ أكثرهم ذكراً لله وأعملهم بطاعته».

روى ابن عباس عن النبيِّ9 أنَّه قال: «من عجز عن الليل أن يكابده، وجبن عن العدو أن يجاهده، وبخل بالمال أن ينفقه؛ فليكثر ذكر الله عزَّ وجلَّ».

وروي عن رسول الله9: «أحبّ الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله».[[100]](#footnote-100)

قال الطيبي: رطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، أن يبسه عبارة عن ضده، ثم إنَّ جريان اللسان عبارة عن مداومة الذكر.[[101]](#footnote-101)

تكرار الذكر :

سؤال صاغه الرازي حول قوله تعالى: ( ...فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمشْعَرِ الْحَرَامِ...).

فلِمَ قال مرةً أخرى (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ). وما الفائدة في هذا التكرير؟.

ويجيب الرازي نفسه عن هذا السؤال الذي طرحه في تفسيره بوجوه تسعة، وذلك بعد أن يذكر أنَّ مذهبنا ـ والكلام للرازي ـ أنَّ أسماء الله تعالى توقيفية لا قياسية. فقوله أولاً: (أُذْكُرُواْ اللهَ) أمر بالذكر. وقوله ثانياً: (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) أمر لنا بأن نذكره سبحانه بالأسماء والصفات التي بيّنها لنا وأمرنا أن نذكره بها، لا بالأسماء التي نذكرها بحسب الرأي والقياس.

وثانيها: أنه تعالى أمر بالذكر أولاً، ثم قال ثانياً: (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) أي وافعلوا ما أمرناكم به من الذكر كما هداكم الله لدين الإسلام، فكأنه تعالى قال: إنما أمرتكم بهذا الذكر؛ لتكونوا شاكرين لتلك النعمة، ونظيره ما أمرهم به من التكبير إذا أكملوا شهر رمضان، فقال: (وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبّرُواْ اللهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ).[[102]](#footnote-102)

وقال في الأضاحي: (كَذٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبّرُواْ اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكم).[[103]](#footnote-103)

وثالثها: أنَّ قوله أولاً: ( ...فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمشْعَرِ الْحَرَامِ...). أمر بالذكر باللسان. وقوله ثانياً: (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) أمر بالذكر بالقلب.

وتقريره أنَّ الذكر في كلام العرب ضربان: أحدهما: ذكر هو ضد النسيان. والثاني: الذكر بالقول.

فما هو خلاف النسيان قوله: (وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَـانُ أَنْ أَذْكُرَهُ).[[104]](#footnote-104)

 وأما الذكر الذي هو القول فهو كقوله : (فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا).[[105]](#footnote-105)(وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَّعْدُوُداَتٍ).[[106]](#footnote-106)

فثبت أنَّ الذكر وارد بالمعنيين: فالأول، محمول على الذكر باللسان، والثاني: على الذكر بالقلب، فإنَّ بهما يحصل تمام العبودية. ثمَّ يواصل الرازي إجابته ، نكتفي ببعضها تلخيصاً:

ـ أي اذكروه ذكراً بعد ذكر، كما هداكم هداية بعد هداية ...

ـ أنه تعالى أمر بالذكر عند المشعر الحرام، إشارة إلى القيام بوظائف الشـريعة، ثم قال: (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) أن توقيف الذكر على المشعر الحرام فيه إقامة لوظائف الشريعة، فإذا عرفت هذا قربت إلى مراتب الحقيقة، وهو أن ينقطع قلبك عن المشعر الحرام، بل عمّن سواه، فيصير مستغرقاً في نور جلاله وصمديته، ويذكره لأنه هو الذي يستحق لهذا الذكر؛ ولأنَّ هذا الذكر يعطيك نسبة شريفة إليه بكونك في هذه الحالة تكون في مقام العروج ذاكراً له ومشتغلاً بالثناء عليه، وإنما بدأ بالأول وثنى بالثاني، لأنَّ العبد في هذه الحالة يكون في مقام العروج فيصعد من الأدنى إلى الأعلى، وهذا مقام شريف ...، ومن أراد أن يصل إليه، فليكن من الواصلين إلى العين، دون السامعين للأثر.

ـ المراد بالأول هو ذكر أسماء الله تعالى وصفاته الحسنى، وبالثاني: الاشتغال بشكر نعمائه،.. والذكر المرتب على النعمة ليس إلّا الشكر.

ـ لما قال : ( ...فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمشْعَرِ الْحَرَامِ...) جاز أن يظن أنَّ الذكر مختصٌّ بهذه البقعة وبهذه العبادة، فأزال الله تعالى هذه الشبهة فقال:( وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) يعني اذكروه على كلّ حال، وفي كلّ مكان، لأنَّ هذا الذكر إنما وجب شكراً على هدايته، فلما كانت نعمة الهداية متواصلة غير منقطعة، فكذلك الشكر يجب أن يكون مستمراً غير منقطع.

ـ الذكر الأول الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء في المشعر، والثاني: التهليل والتسبيح.[[107]](#footnote-107)

أبوحيان: (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) هذا الأمر الثاني هو الأول، وكرّر على سبيل التوكيد والمبالغة في الأمر بالذكر، لأنَّ الذكر من أفضل العبادات، أو غير الأول، فيراد به تعلقه بتوحيد الله، أي: واذكروه بتوحيده كما هداكم بهدايته، أو اتصال الذكر لمعنى: اذكروه ذكراً بعد ذكر... ثمَّ يقول:.. والمعنى: أوجدوا الذكر على أحسن أحواله من مماثلته لهداية الله لكم، إذ هدايته إياكم أحسن ما أسدي إليكم من النعم، فليكن الذكر من الحضور والديمومة في الغاية حتى تماثل إحسان الهداية، ولهذا المعنى قال الزمخشـري: أذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة... أو بأن ردّكم في مناسك حجّكم إلى سنة إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه، فما عامة تتناول أنواع الهدايات من معرفة الله، ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وشرائعه ...[[108]](#footnote-108)

الزمخشري: اذكروهُ ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة، أو اذكروه كما علّمكم كيف تذكرونه، لا تعدلوا عنه.[[109]](#footnote-109)

وللشيخ السيوري كلام مفيد أيضاً حول تكرار الذكر في آيات هذا المقطع ، ولكن بعد أن يذكر أنَّ هذه الآية: (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا). يحسن ذكرها هنا متابعة لنسق الكتاب ، ويحسن أيضاً ذكرها بعد الطواف والسعي وغيرهما لقوله: (مَنَاسِكَكُمْ)، وهو جمع مضاف، فيفيد العموم لكلّ المناسك، التي هي أعمال الحجّ،... ثمَّ راح يذكر فوائد:

ـ لمّا اشتدّت عناية الله تعالى بعبيده بفعل الأصلح لهم، وكان اللطف في ذلك يقع منه تارةً ومن العبيد أُخرى، فما كان منه فعله بحكمته، وما كان منهم اقتضت الحكمة حضّهم عليه وإرشادهم إلى القيام به، فلذلك كرّر الأمر بالذكر في هذه الآيات خمس (أربع) مرّات، وجعل محلّ الذكر الأزمنة الشـريفة والأمكنة المنيفة ضمن العبادات العظيمة؛ ليكثر لهم الجزاء، كلّ ذلك إعلاماً بشدّة العناية بعبيده، وإلّا فالجناب القدسيّ أعظم من أن يعود إليه من ذلك نفع أو ينتفي عنه ضرر.

ـ الذكر يراد به اللّساني تارة والقلبيّ أخرى، لكنّ المقصود بالذات هو الثاني، وأمّا الأوّل فترجمان للثاني ومنبّه للقلب عليه؛ لكونه في الأغلب مأسوراً في يد الشواغل البدنيّة والموانع الطبيعيّة، وهذا هو السرّ في تكرار الأذكار والتسبيحات والتحميدات وغيرها.

ـ لا يتوهّم أنّ ذكره تعالى ينقطع بانقطاع المناسك؛ لتعليق الأمر بقضائها، بل هو دائم مستمرّ لا ينبغي للمكلّف أن يغفل عنه، ودلالة مفهوم المخالفة باطلة كما تقرّر في الأصول، وإنّما سبب التعليق ما كانت العرب تعتاده بعد قضاء مناسكها من الوقوف بمنى، وذكر محامد الآباء ومفاخرهم، فأمرهم بالعدول عن ذلك الّذي لا يفيد إلى ما هو المفيد.[[110]](#footnote-110)

من الدرس الفقهي :

لقد استفيد من هذه الآية: (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا). دليلاً على وجوب الوقوفين؛ الوقوف في عرفات، والوقوف في المزدلفة، وكلّ واحدة تشكل بقعةً من بقاع مناسك الحج وشعائره، وهو ما استفاده عدد من العلماء؛ فقهاء ومفسرين، فبعضهم ذهب إلى هذا فيما خالفهم آخرون، وبعض ذهب إلى أنَّ الذكر واجب فيما خالفهم بعض آخر وقال بعدم وجوب الذكر... هذا ما نجده فيما تيسر لنا من أقوال نوجزها، وقد نتصرف فيها قليلاً.

الشيخ الطبرسي: (فإِذا أفضتم) أي دفعتم عنها بعد الاجتماع فيها(فاذكروا الله) وفي هذا دلالة على أنَّ الوقوف بالمشعرالحرام فريضة، كما ذهبنا إِليه؛ ظاهر الأمر على الوجوب فقد أوجب الله الذكر فيه، ولا يجوز أن يوجب الذكر فيه إِلّا وقد أوجب الكون فيه؛ ولأنَّ كلَّ من أوجب الذكر فيه فقد أوجب الوقوف. وتقدير الكلام فإِذا أفضتم من عرفات، فكونوا بالمشعرالحرام واذكروا الله فيه.

ونوجز كلاماً مفصلاً للفقيه الراوندي في الآية: (فإذا أفضتم) يقول: بيّن تعالى فرض الموقفين عرفات والمشعر، أي إذا دفعتم من عرفات بعد الاجتماع بها، فاذكروا الله عند المشعر الحرام. أوجب الله على الحاج كلهم أن يذكروا الله بالمشعر؛ لأنَّ الأمر شرعاً على الوجوب، ولا يجوز أن يوجب الذكر فيه إلّا وقد أوجب الكون فيه، ففي هذا دلالة على أنّ الوقوف بالمشعر الحرام ليلة العيد فريضة كما ذهبنا إليه... مما يدلّ على أنّ الوقوف بالمشعر الحرام واجب وهو ركن من أركان الحج.

والأمر شرعاً على الايجاب، ولا يجوز أن يوجب ذكر الله فيه إلّا وقد أوجب الكون فيه، ولأنَّ كلَّ من أوجب الذكر فيه أوجب الوقوف... فإن قالوا: نحمل ذلك على الندب، قلنا: هو خلاف الظاهر، ويحتاج إلى دلالة ولا دليل. فإن قيل: هذه الآية تدلّ على وجوب الذكر وأنتم لا توجبونه، وإنما توجبون الوقوف به كالوقوف بعرفة. قلنا: لا يمتنع أن نقول بوجوب الذكر بظاهر هذه الآية. وبعد، فإنَّ الآية تقتضي وجوب الكون في المكان المخصوص والذكر جميعاً، فإذا دلَّ الدليل على أن الذكر مستحب غير واجب أخرجناه من الظاهر، وبقي الآخر يتناوله الظاهر.

وتقدير الكلام: فإذا أفضتم من عرفات، فكونوا بالمشعر الحرام، واذكروا الله فيه.  
فان قيل: الكون في المكان يتبع الذكر في وجوب أو استحباب؛ لأنه إنما يراد له ومن أجله، فإذا ثبت أنَّ الذكر مستحب فكذلك الكون. قلنا: لا نسلم أنّ الكون في ذلك المكان تابع للذكر؛ لأنَّ الكون به عبادة مفردة عن الذكر والذكر عبادة أخرى، فلا يتبع الكون الذكر كما لا يتبع الذكر لله في عرفات الكون في ذلك المكان والوقوف به؛ لأنَّ الذكر بعرفات مستحب والوقوف بها واجب بلا خلاف.

على أنَّ الذكر لو لم يكن واجباً، فالشكر لله على نعمه واجب على كلِّ حال، وقد أمر الله أن يشكر عند المشعر الحرام، فيجب أن يكون الكون بالمشعر واجباً.   
فإن قيل: ما أنكرتم من أن يكون المشعر ليس بمحل للشكر وإن كان محلاً للذكر، وان عطف الشكر على الذكر.قلنا: الظاهر بخلاف ذلك، عطف الشكر على الذكر يقتضـي تساوي حكمهما في المحل وغيره، وليس في الآية ذكر الشكر صريحاً، ولكن الذكر الأول على عمومه والذكر الثاني مفسـر بالشكر؛ لقرينة قوله: (كما هداكم) فالهداية نعمة واجب الشكر عليها؛ لأنَّ الشكر على كلّ نعمة واجب. وعلى هذا لا تكرار مستقبحاً في الكلام أيضاً.

أما السيوري فبعد أن جعل هذه الآية ضمن آيات في أفعال الحجّ وأنواعه وشيءٍ من أحكامه ، يقول: (فَإِذا أَفَضْتُمْ) وأصله أفضتم أنفسكم، وترك ذكر المفعول، وفيه دلالة على وجوب الكون بعرفة، وأنّه من فرائض الحجّ؛ لأنّه سبحانه أمر بالإفاضة منه بقوله: (ثُمَّ أَفِيضُوا) وهو يستلزم الكون به. ولا خلاف في وجوبه لقوله9: «الحجُّ عرفة». وهو ركن يبطل الحجّ بتركه عمداً، وواصل كلامه عن (فَاذْكُرُوا) قائلاً: وفيه دلالة على وجوب الكون به كما يقوله أصحابنا خلافاً للفقهاء، وذلك لأنّ الذكر المأمور به عنده يستلزم الكون فيه، فيكون واجباً وهو ركن كعرفة.

الزمخشري: وقيل، فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة؛ لأنّ الإفاضة لا تكون إلّا بعده. وعن النبيِّ9: «الحج عرفة، فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج». وقيل، بصلاة المغرب والعشاء، (فَاذْكُرُواْ اللهَ) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات.

البيضاوي: ... وفيه دليل على وجوب الوقوف بها؛ لأنَّ الإفاضة لا تكون إلّا بعده وهي مأمور بها بقوله تعالى: (ثُمَّ أَفِيضُواْ) أو مقدمة للذكر المأمور به، وفيه نظر إذ الذكر غير واجب بل مستحب. وعلى تقدير أنه واجب فهو واجب مقيد لا واجب مطلق حتى تجب مقدمته والأمر به غير مطلق.

(فَاذْكُرُواْ اللهَ) بالتلبية والتهليل والدعاء. وقيل: بصلاة العشاءين. (عِندَ الْمشْعَرِالْحَرَامِ).

أما الرازي، فيقول: الصحيح أنَّ الآية تدلّ على أنَّ الحصول بعرفة واجب في الحجّ، وذلك أنَّ الآية دالة على وجوب ذكر الله عند المشعر الحرام عند الإفاضة من عرفات، والإفاضة من عرفات مشروطة بالحصول في عرفات، وما لا يتمّ الواجب إلّا به وكان مقدوراً للمكلف فهو واجب، فثبت أنَّ الآية دالة على أنَّ الحصول في عرفات واجب في الحجّ.

وتدلّ الآية أنَّ الحصول عند المشعر الحرام واجب، ... وبعض قال بركنيته... حجته الآية نفسها. وذلك لأنَّ الوقوف بعرفة لا ذكر له صريحاً في الكتاب، وإنما وجب بإشارة الآية أو بالسنة، والمشعر الحرام فيه أمر جزم، فيما قال جمهور الفقهاء: إنه ليس بركن، واحتجوا بقوله7: «الحج عرفة فمن وقف بعرفة فقد تمَّ حجُّه». «من أدرك عرفة فقد أدرك الحج، ومن فاته عرفة فقد فاته الحج» وبقوله: وفي الآية إشارة إلى ما قلنا؛ لأنَّ الله تعالى قال: (فَإِذَا أَفَضْتُم مّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللهَ عِندَ الْمشْعَرِالْحَرَامِ)، أمر بالذكر لا بالوقوف، فعلم أنَّ الوقوف عند المشعر الحرام تبع للذكر وليس بأصل، وأما الوقوف بعرفة فهو أصل؛ لأنه قال: (فَإِذَا أَفَضْتُم مّنْ عَرَفَات)، ولم يقل من الذكر بعرفات.

ثمَّ يكمل كلامه فيقول:.. الفاء في قوله: (فَاذْكُرُواْ اللهَ عِندَ الْمشْعَرِالْحَرَامِ)، تدلّ على أنَّ الذكر عند المشعرالحرام يحصل عقيب الإفاضة من عرفات، وما ذاك إلّا بالبيتوتة بالمزدلفة. أما عن الذكر فيقول: اختلفوا في الذكر المأمور به عند المشعرالحرام، فقال بعضهم: المراد منه الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك، والصلاة تسمّى ذكراً: (وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي).[[111]](#footnote-111)

والدليل عليه (فَاذْكُرُواْ اللهَ عِندَ الْمشْعَرِالْحَرَامِ)، أمر وهو للوجوب، ولا ذكر هناك يجب إلّا هذا، وأما الجمهور فقالوا: المراد منه ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل، وعن ابن عباس أنه نظر إلى الناس في هذه الليلة وقال: كان الناس إذا أدركوا هذه الليلة لا ينامون.

الآلوسي: (فَاذْكُرُواْ اللهَ) بالتلبية والتهليل والدعاء، وقيل: بصلاة العشاءين؛ لأنَّ ظاهر الأمر للوجوب ولا ذكر واجب (عِندَ الْمشْعَرِالْحَرَامِ) إلّا الصلاة.

ابن عاشور:.. وذكر الإفاضة من عرفات يقتضي سبق الوقوف به؛ لأنه لا إفاضة إلّا بعد الحُلول بها، وذِكر عرفات باسمه تنويه به يدلّ على أنَّ الوقوف به ركن، فلم يُذكر من المناسك باسمه غير عرفة والصفا والمروة، وفي ذلك دلالة على أنهما من الأركان... وذهب علقمة وجماعة من التابعين والأوزاعي إلى أنَّ الوقوف بمزدلفة ركن من الحج، فمن فاته بطل حجّه تمسّكاً بظاهر الأمر في قوله: (فاذكروا الله).[[112]](#footnote-112)

إذن فوجوب الوقوف بالمشعر وركنيته يستفاد من ظاهر الأمر: (فاذكروا الله). وأما عن جزء الآية الأخير، المراد من الهداية في قوله تعالى: (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ). تعديداً لعظيم نعمه سبحانه، وأمراً بشكرها، وتذكيراً لهم بضلالهم ، وليوقفهم على عظيم هدايته لهم وإنعامه عليهم؛ جاءت الآية: (وَاذْكُرُوهُ). ذكراً حسناً؛ كما هداكم هداية حسنة لدينه ولقرآنه ولرسوله9 ولمناسك الحجّ الإبراهيمي بعيداً عمّا أصابها من انحراف... اذكروه ذكراً يوازي نعمه عليكم، واشكروه شكراً جميلاً، ولنعم ما قاله الشيخ الطبرسي: واذكروه بالثناء والشكر على حسب نعمته عليكم بالـهداية، فإنَّ الشكر يجب أن يكون على حسب النعمة في عظم المنزلة، كما يجب أن يكون على مقدارها لو صغرت النعمة، ولا يجوز التسوية بين من عظمت نعمته وبين من صغرت نعمته. وتقدير الكلام واذكروه ذكراً مثل هدايته إياكم.

(وإِن كنتم) أي وإنكم كنتم من قبلـه أي من قبل الـهدى، وقيل: من قبل محمد9، فتكون الـهاء كناية عن غير مذكور (لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ) عن النبوّة والشـريعة فهداكم إليه.

الشيخ السيوري: أي اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة إلى المناسك وغيرها... (وَإِن كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ) أي قبل الهداية، أو قبل محمد9 (لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ) أي الجاهلين بالإيمان والطاعة.

وأما الرازي فيجيب عن المراد من الهداية في قوله: (كَمَا هَدَاكُمْ)؟ منهم من قال: إنها خاصة، والمراد منه كما هداكم بأن ردّكم في مناسك حجّكم إلى سنة إبراهيم7، ومنهم من قال: لا بل هي عامة متناولة لكل أنواع الهداية في معرفة الله تعالى، ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وشرائعه.

ويجيب عن الضمير في: (مِن قَبْلِهِ) إلى ماذا يعود؟ والضمير يحتمل أن يكون راجعاً إلى (الْهُدَى) والتقدير: وإن كنتم من قبل أن هداكم من الضالين، وقال بعضهم: إنه راجع إلى القرآن، والتقدير: واذكروه كما هداكم بكتابه الذي بيّن لكم معالم دينه، وإن كنتم من قبل إنزال ذلك عليكم من الضالين.[[113]](#footnote-113)

و للبحث صلة تأتي في العدد القادم إن شاءالله تعالی

\* \* \*

ميقاتُ العقيق (2)

الشيخ جواد الفضلي

تقديم واختيار: محسن الأسدي. [[114]](#footnote-114)

نظراً لما تتبنّاه مجلة ميقات الحجّ من منهجٍ ؛ عنايته بالشؤون الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحجّ ودائرته المباركة .. ، فتحت بابها لا فقط لاستقبال ما يتفضل به الكتّاب ، ويبادر به العلماء والمحققون من بحوث ومقالات من أفكار وآراء حول عنايتها المذكورة ، وإن لم تكتفِ بانتظار ما تجود به معرفتهم وأناملهم ، بل راحت إدارتها تسمع وتقرأ وتلاحق ما يكتب هنا وينشر أو يُلقى هناك ؛ ما دام يصبُّ في دائرتها المعرفية ؛ لإعطائه مساحة مناسبة في المجلة ، حرصاً منها في إغناء مكتبتها الخاصة وتراثها المعرفي ، ومشاركةً منها في نشر ما تصبو إليه من أهداف كبيرة ؛ تتمدّد على مساحة واسعة من الحرمين المباركين مكة المكرمة والمسجد النبوي وما حولهما من أماكن ومواقع ، وما فيهما من شخصيات إيمانية وجهادية وعلمية وأدبية ؛ سجلت مواقف مشهودة في تاريخنا الإسلامي ومراحل دعوته المباركة .. ، وفي بثِّ كلّ ما يخصُّ فريضة الحج أحكاماً ومواقيت وآداباً ومفاهيم ، ولهذا رأت إدارتها أن لا تغادر دراسةً تاريخيةً ، ولا تتجاوز تحقيقاً ميدانيًّا لميقات العقيق للأستاذ جواد بن الشيخ عبدالهادي الفضلي ، عنوانه :

ميقَاتُ العَقِيق (دراسة تاريخية وتحقيق ميداني)

من الدمام في 4/7/1440هـ 3/3/2019م

لما تحمله هذه الدراسة من أهمية تاريخية وجغرافية ، وفوائد ميدانية ، ومعرفة لهذا الميقات بحدوده وأحكامه ، ودوره في فريضة الحج وفي العمرة ، حتى عُدَّ واحداً من مواقيت الحج ، التي ينبغي الاطلاع عليها بنواحيها المتعددة وأحكامها وآدابها ، والتي تبدأ بها فريضة الحج وكذا العمرة ، وبالتالي تصحُّ مناسك كلٍّ منهما وأولها الإحرام انطلاقاً من المواقيت ، وإن صحّ الإحرام من المسجد الحرام للتوجه إلى موقف عرفات.

ولهذا جاء في ملخّص البحث :

«تُعدُّ معرفة مواقع المواقيت المكانية التي وقَّتها رسول الله9 أحد أهمِّ مسائل الحجِّ؛ فقد أجمع المسلمون على وجوب الإحرام من أحدها؛ فلا يجوز لحاجٍّ أو مُعْتَمِرٍ تجاوزها.

وقد كتب حول مواقعها الجغرافية الكثير من الدراسات التاريخية والتحقيقات الميدانية، ونظراً لتغيّر تلكم المعالم عبر الزمن، فالأفضل قيام الباحثين بإعادة التحقيق بين فينة وأخرى لتكون رافداً للفقهاء في دراساتهم.

ويأتي بحثنا هذا حول ميقات العقيق، الذي وقع حوله خلاف بين فقهاء المسلمين، إن من ناحية التوقيت، أو من ناحية حدوده الذي نأمل أن يكون هو الآخر رافداً من تلكم الروافد».

الکلمات المفتاحية :

ميقات العَقِيقِ، بَرِيد البَعْث، المَسْلَح، غَمْرَة، ذات عِرْق، أَوْطَاس.

\* \* \*

... المنزل السادس والعشرون: (ذَاتُ عِرْق)، والمسافة بينه وبين (البستان): 21 ميلاً.

والجدير بالذكر -هنا- أنَّ الإمام الحربي أفاض بالحديث عن هذا المنزل، فذكر عددًا من الأحاديث الواردة عن النبي9 بشأن توقيت ذَاتِ عِرْق، ونقل بعض الأقوال عن أشخاصٍ ذَكَرَ أسماءَهم بشأن موقعها، ونقل كذلك كرامةً حصلت للنبي9 في قريةٍ قريبةٍ منها يقال لها قديمًا وحديثًا (رهاط)، وسأوجز ما قاله عن (ذَاتِ عِرْق)، في النقاط التالية:

أولاً: التسمية والموقع:

1. ما ذكره الإمام الحربي بشأن التسمية، هو ما نقله عن عبدالله بن عمر البلخي أنَّه قال: «حدَّثنا عبدالله بن رباح بن الأحوص قال: أخبرني كثير بن يحيى بن سوادة عن أبيه قال: أقبل النبي9 حتى أشرف على ثنية مسجد النجد، فصلّى به، وأشرف على قرية ذَاتِ عِرْق، وكان يقال لها (عِرْق ذات)، فسأل عنها، ثمَّ جنَّبَ عنها ولم يدخلها، فسمَّاها رسول الله9 (ذَاتَ عِرْق)، وسار حتى ورد قريةً يقال لها (رهاط)، فوقف ناقته، وضرب عصاه فأنبط عينًا، فهي تسقي الأدنى وادي النخل، برهاط وأثر ناقته في صفاة».[[115]](#footnote-115)

ونقل أيضًا حديثًا آخر عن أبي محمد ابن زمام عن أبيه: «أنَّ ذَاتَ عِرْق سُمِّيت على عِرْق في جبلٍ أبيض، بوادٍ منها يقال له ذات الحل، وكان ذات عِرْق بها في جبل الجاهلية أبيات قليلة، فلما كَثُر الناس حُوِّلت إلى هنا، وكان المهدي بنى بها مسجد المحرم».[[116]](#footnote-116)

وفي شأن الموقع، نَقَلَ كلامًا عن ابن عُيَيْنَة عن أبيه، قال: «قلتُ لأهل ذَاتِ عِرْق مُنْجِدُون أنتم أم مُتْهِمُون؟[[117]](#footnote-117) قالوا: لا مُنْجِدِين ولا مُتْهِمِين، نحن أهل الغور».[[118]](#footnote-118)

وقد ذكر البكيري الأندلسي هذا القول وأضاف بيت الشعر التالي:[[119]](#footnote-119)

وَنَحْنُ بِسَهْبٍ مُشْرِفٍ غَيْرِ مُنْجِدٍ

وَلَا مُتْهِمٍ فَالعَيْنُ بِالدَّمِعِ تَذْرِفُ

وقول آخر:

كَأَنَّ المَطَايَا لَمْ تُنخْ بِتُهَامَةٍ

إِذَا صَعَدَتْ مِنْ ذَاتِ عِرْق صُدُورُهَا

ثانيًا: الأحاديث التي ذكرها الإمام الحربي في شأن توقيت (ذَاتِ عِرْق):

لقد ذكر الإمام الحربي ستة أحاديث عن النبي9 بشأن توقيت ذَاتِ عِرْق كمكان لإحرام أهل العراق، ومنها ما يلي:

أ) الحديث المروي عن جابر: «أنَّ النبي9 وَقَّتَ لأَهْلِ العِرَاقِ ذَاتَ عِرْق».[[120]](#footnote-120) وذكر الأستاذ الجاسر في الهامش تعليق صاحب كتاب (معجم ما استعجم) قوله: «والصحيح أنَّه توقيت عمر، وفي خلافته افْتُتِحَتْ العراق».[[121]](#footnote-121)

ب) الحديث المروي عن عائشة: «أنَّ النبي9 وقَّت ذَاتَ عِرْق لأهل العراق»،[[122]](#footnote-122) وفي الهامش نقل المحقِّق الجاسر ما جاء في كتاب (وفاء الوفاء) للسمهودي، قال الأسدي: «في وصف طريق ذَاتِ عِرْق من جهة نجدٍ والعراق: أنَّ بِرْكَة أَوْطَاس يسرة عن الطريق، بائنة عن المحجَّة، وبعدها مسجدٌ يُقال إنَّ النبي9 صلَّى فيه، ودون ذات عِرْق بميلين ونصف مسجد رسول الله9، وهو ميقات الإحرام، وهو أوَّلُ تِهَامَة، فإذا صِرْتَ عند الميل الثامن رأيتَ هناك بيوتًا في الجبل، خرابًا يمنة عن الطريق، يُقال: إنَّها ذَاتُ عِرْق الجاهلية، وأهل ذَاتِ عِرْق يقولون: الجبل كلُّه ذات عِرْق. وبعض أهل العلم كان يحبُّ أن يُحْرِم من ذَاتِ عِرْق الجاهلية».[[123]](#footnote-123)



جبل عِرْق

ثالثًا: الكرامات النبوية التي ذكرها الإمام الحربي:

عن يحيى بن سوادة عن أبيه، قال:

«أقبل النبي9 حتى أشرف ثنية مسجد النجد، فصلَّى به، وأشرف على قرية ذَاتِ عِرْق، وسار حتى ورد قريةً يُقَال لها (رهاط)، فوقف ناقته، وضرب عصاه فأنبط عينًا، فهي تسقي الأدنى وادي النخل، برهاط وأثر ناقته في صفاة».[[124]](#footnote-124)

صورة حديثة لقرية رهاط وتبدو مزارع النخيل

المنزل السابع والعشرون: (البستان)، والمسافة بينه وبين (مكَّة)...

وإلى هنا انتهى كلام الإمام الحربي عن طريق الكوفة، والمظنون قويًا أنَّ الكلام عن هذا الجزء وما يليه مفقود.

دوافع تحويل طريق الحجِّ عن قرية البعث:

من البديهي أنَّ أيَّ شخصٍ يقوم بعملٍ مَّا يكون له دافعٌ أو سببٌ من وراء هذا العمل. ربَّما يكون الدافع عفويًا، هذا إذا كان القائم بالفعل شخصٌ عادي، أمَّا إذا كان هذا الشخص حاكمًا لبلادٍ كبيرةٍ وشاسعةٍ، وفي بداية نشوء الدولة وبداية تولِّيه السلطة، فالأكيد أنَّ دوافعه لن تكون عفوية وعادية، وهذا ما حاولت أن ألخِّصَهُ بالنقاط التالية، والله أعلم:

1. رغبة المنصور الاستحواذ على بِرْكَةِ الماء الرئيسة الواقعة في أوَّل أمكنة الميقات.

2. رغبة المنصور فرض سيطرته الكاملة على طريق الحُجَّاج العراقيين.

3. قَطْعُ الطريق على أيِّ تجمُّعٍ للمعارضة قد يستغلُّه الإمام الصادق 7؛ لأنّه -أي المنصور- كان يعتبره زعيم المعارضة آنذاك.

4. إظهار المنصور نفسه للناس كشخصيَّةٍ إسلاميَّةٍ متديِّنةٍ ترعى شؤون المسلمين.

ملحوظة:

أعتقد -والله أعلم- أنَّ سبب ذِكْرِ الإمام الحربي بريد البَعْث كمكانٍ يُحْرِم منه بعض الحُجَّاج يعود لكونه من كبار فقهاء بغداد، قبل أن يكون مؤرِّخًا جغرافيًّا، فهو معاصر للإمام أحمد بن حنبل (164-241هـ) وتلميذه، والمظنون قويًّا أنَّه كان على علمٍ برأي الشيعة الإمامية حول أوَّل ميقات العقيق، ويظهر من كلامه أنَّه حتى بعد أن حَوَّل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (95 -158هـ) الطريق عن موقع (البَعْث) إلى (المَسْلَح) استمرَّ بعض الحُجَّاج بالإحرام من (البَعْث).

وقوله: «...يقال إنَّ بريد البعث أوَّل بطن العقيق...» فيه إشارةٌ غير مباشرةٍ على إطِّلاعه على صحيحة معاوية بن عمار عن الإمام الصادق 7.

أمَّا قول ابن خرداذبة أنَّ (المَسْلَح) هو ميقات أهل العراق فقط دون الإشارة ولو بكلمة لموضع بريد البَعْث كميقاتٍ خصوصًا وأنَّه سبق الإمام الحربي بالكتابة عن طريق الحاجِّ الكوفي فهذا قطعًا يسترعي انتباه الباحث ويدعوه للبحث والتحليل لمعرفة السبب!.

فإذا عَلِمْنَا أنَّه كان يتقلَّدُ منصب مدير البريد والخبر في بغداد خلال فترة حكم الخليفة العباسي المعتمد (256-279هـ)، وأنَّه قد بدأ في تدوين كتابه (المسالك والممالك) حوالي سنة (232هـ)؛[[125]](#footnote-125) فسيزول العَجَب.

وأخيرًا:

بعد هذا التطواف مع النصوص التي ذكرها كبار الجغرافيين العرب القدامى والمتأخِّرين؛ بغية معرفة الموقع الجغرافي لـ (بريد البَعْث) قديمًا وحديثًا، باعتباره يمثِّل الموضع الأوَّل من مواضع ميقات العقيق الذي وقَّتَه رسول الله9 لأهل نجد والعراق، أقول:

من مجمل كلام الإمام الحربي والمؤرِّخين والشعراء حول وادي العقيق بصفةٍ عامَّةٍ، والمواضع التي يُعتقد أنَّها تمثِّل ميقات العقيق، وهي: (بَرِيد البَعْث)، و(المَسْلَح)، و(غَمْرَة)، و(أَوْطَاس)، و(ذَاتُ عِرْق)، يُفْهَمُ عدَّةُ أمورٍ:

1. أنَّ وادي العقيق وادٍ طويلٌ ومتشعِّبٌ، وله روافدُ كثيرةٌ، ويبدأ سَيْلُهُ من وادي السيل الصغير ووادي قران بالقرب من الطائف مارًّا بعددٍ من القرى ليس من بينها (ذات عِرْق) وصولاً إلى قرية حاذة شمالاً.

2. أنَّ (ذَاتَ عِرْق) -بحسب ما ذكره ابن منظور في لسان العرب- تقع بالقرب من العقيق.

3. أنَّ (ذَاتَ عِرْق) تقع على ضفاف وادي الضريبة، وليس على ضفاف العقيق.

4. أنَّ قرية (البَعْث) تقع في أوَّلِ بطن العقيق.

5. أنَّ (بَرِيدَ البَعْثِ) كانت أوَّل أمكنة الإحرام لأهل نَجْدٍ والعراق.

6. أنَّ (بَرِيدَ البَعْثِ) كان أحد منازل طريق الحجِّ الكوفي.

7. أنَّ (بَرِيدَ البَعْثِ) كان قريةً عامرةً، وتضمُّ بِرْكَةً يَغْتَسِلُ منها الحُجَّاج، وفيها قَصْرٌ لعلي بن عيسى.

8. أنَّ قرية (المَسْلَح) أُنْشِئت في عهد أبي جعفر المنصور (136-158هـ).

9. أنَّ طريق الحاجِّ الكوفي قُلِبَ (حُوِّل) في عهد أبي جعفر المنصور من (بَرِيدِ البَعْثِ) إلى قرية (المَسْلَح) ، فَهُجِرَتْ الأولى، وعُمِّرَت الثانية.

10. أنَّ (غَمْرَة) كانت محلَّ الإحرام لكثيرٍ من الحُجَّاج.

11. ومن قول الشاعر أبو وجزة السعدي:

يا صَاحِبَيَّ انْظُرَا هَلْ تُؤْنِسَانِ لَنَا

بَين العَقِيْقِ وَأَوْطَاسٍ بِأَحْدَاجِ

وقول الشاعر -هنا- فيه دلالةٌ واضحةٌ أنَّ أَوْطَاس لا تقع على العقيق، وأثناء زيارتنا لموقع أَوْطَاس اتَّضح لنا أنَّها تقع على ضفاف وادي سلحة، وليس على وادي العقيق.

12. أنَّ ميقات ذو الحُلَيْفَة يُعدُّ أبعد المواقيت عن مكَّة المكرَّمة، ويليه في البُعْدِ ميقات العقيق.

الفصل الثاني

التسمية والموقع حديثًا

وادي العقيق:

يُعْرَفُ حديثًا بـ (عَقِيق عُشَيْرَة)، وإن كان يشار له على الخرائط الرسمية للمملكة بـ (وادي العقيق)، ويبلغ طوله (115كم)، ومنبعه من السيل الصغير بالقرب من الطائف، وله روافد كثيرة، وقد أنشأت الحكومة السعودية بِرَكًا كثيرة في مجرى سيول الوادي وقريبةً من البِرَك التي كانت قائمةً على درب الحاجِّ الكوفي، كما أنشأت سدَّا حديثًا على الوادي في فيضة المَسْلَح؛ بغية استفادة أهالي المنطقة من مياه السيول.

أوَّلاً: قرية البَعْث:

تُسَمَّى المنطقة التي يقع فيها بريد البعث حاليًا (جبال شعر)، وهذه التسمية تشمل منطقةً واسعةً جدًّا؛ بحيث تشمل مكان القرية قديمًا، والجبال والأودية حولها.

وتقع في الشمال الشرقي لقرية (فيضة المَسْلَح) الحالية على مسا×فة (10 كم).

ثانيًا: المَسْلَح أو المَسْلَخ:

لم يبقَ من قرية المَسْلَح القديمة سوى بِرْكَة أبي جعفر المنصور التي أُعِيدَ إِحياؤها من قبل الحكومة السعودية؛ ليستفيد منها أهل المنطقة، وبعض آثارٍ لبيوتٍ وبِئرٍ قريبةٍ من البِرْكَة، وتوجد كذلك مقبرة مسوَّرةٌ بشبكٍ حديدي.

وتقع القرية بين أَكَمَاتٍ.[[126]](#footnote-126) سُودٍ على بعد (3 كم) غرب قرية فيضة المَسْلَح الحالية.

فَيْضَة المَسْلَح:

قريةٌ حديثةٌ تقع بالقرب من القرية القديمة، بين طريقي الحاجِّ العراقي الكوفي والبصري، فيمرُّ الأوَّلُ من شرقها وجنوبها، ويمرُّ الثاني من غربها وشمالها.

ويمكن الوصول للقرية من عدِّة طرقٍ، جميعها مُعَبَّدةٌ وحديثةٌ، وتتبع القرية إداريًّا محافظة الطائف، وهي تبعد عن مدينة عُشَيْرَة (86 كم)، وعن مفرق عُشيرة-المحاني، مسافة (22 كم تقريبًا)، وترتبط القرية كذلك بطريقٍ معبَّدٍ يصلها بقرية حاذة.

وعلى مسافة (1.5 كم) شمال شرق القرية يقع سدُّ فيضة المَسْلَح الذي أنشئ من قبل الحكومة السعودية؛[[127]](#footnote-127) للاستفادة من مسيل وادي العقيق.

ثالثًا: غَمْرَة:

تُعْرَفُ حاليًا بـ (بِرْكَة العَقِيق)، ولها مُسَمَّياتٌ عدَّة، منها: (بِرْكَة البركة)، و(بِرْكَة زُبَيْدَة).

ذكر الدكتور الراشد قرية غَمْرَة، فقال: «وعلى مسافةٍ تُقَدَّرُ بحوالي (35 كيلاً) جنوب المَسْلَح تقع آثار إحدى محطَّات الحجِّ القديمة، والتي تُسَمَّى الآن بالبركة، أو بركة العقيق، تقع المحطَّة على الضفَّة الشرقية لوادي العقيق الذي تتجه مياهه من الشمال إلى الجنوب».[[128]](#footnote-128)

أمَّا الآثار الموجودة في الموقع فهي خير شاهدٍ على أنَّ القرية كانت كبيرةً وعامرةً.

ومن أبرز معالم غَمْرَة الأثرية التي لا زالت قَيْدَ الاستعمال (بركة العقيق)، أو (البركة)، وهي بحالةٍ جيِّدةٍ.

يقول الدكتور الراشد عن البركة: «بُنِيَتْ البِرْكَة على شكلٍ مربَّعٍ، ومُدَرَّجة من كافَّةِ أضلاعها إلى الأسفل، بحيث تصبح أبعادها عند القاع (35 × 35م)، بينما تكون عند الحافة (49 × 49م)، ويصل عمق البركة حوالي (5.5م)، ويرتفع جدار البركة الخارجي حوالي (1.5م) عن سطح الأرض...، وتنتشر المنازل السكنية في منطقةٍ مرتفعةٍ إلى الغرب من البركة، وتدلُّ على أنَّ هذه المحطَّة كانت مدينةً كبيرةً في العصور المبكِّرَة».[[129]](#footnote-129)

ووصف تقرير المسح الأثري موقع غَمْرَة بما يلي: «الموقع عبارة عن منحدرٍ غرب وادي العقيق الضيِّق، والذي لا يزيد عرضه على مئة متر، وتقوم المباني والمنشآت جميعها فوق المنحدر الغربي، حيث تتمتَّع بالحماية الطبيعية من السيول».[[130]](#footnote-130)

وتتبع غَمْرَة إداريًا منطقة مكَّة المكرَّمة.

وتقع على مفترق الطرق المعبَّدةِ الحديثةِ (مكة - المدينة المنورة - الطائف - الرياض - القصيم)، وتبعد عن محافظة الطائف باتجاه الشمال بنحو (112 كم)، وعن مركز عُشَيْرَة (45 كم) شمالاً، وعلى مسافة (45 كيلومترًا) شمال شرق موقع وادي الضريبة.

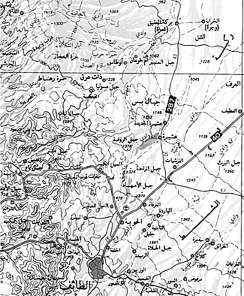
وتقع على دائرة عرض (22°11›22.94) شمالاً، وخطِّ طولٍ (40°43›52.71) شرقًا.

وما لفت نظرنا أثناء تجوالنا في القرية وجود قبرين، أحدهما لرجلٍ، والآخر لامرأة، ويدلُّ على ذلك الشاهد الذي يُوضَعُ على القبر، فأهل الحجاز يضعون شاهدًا واحدًا على القبر إنْ كان المتوفَّى رجلاً، وشاهدين إنْ كانت المتوفَّاة إمرأةً، ويبدو أنَّ القبرين يعودان لبعض الحُجَّاجِ الذين وافتهم المنية على الطريق، والقرية مسورَّةٌ بالكامل من قبل الحكومة السعودية.

رابعًا: أَوْطَاس:

أُمُّ خُرْمَان:

يُعرف جُبَيْل أُمِّ خُرْمَان حاليًا باسم (جبل الزرابة)، وهو في الحقيقة عبارة عن ثلاثة تلالٍ صخريةٍ متجاورةٍ، وأثناء تجوالنا في المنطقة لاحظنا بقايا أثر لنُصْبٍ على قِمَمِهَا، ويبدو لي أنَّ شُعْلَة النَّارِ كانت تُوضَعُ عليها، ويقابل هذه التلال الثلاثة من جهة الشمال بِرْكَةُ ماءٍ قديمةٍ تُسَمَّى قديمًا وحديثًا (البريكة)، التي أنشأتها الدولة العباسية، وبالقرب منها توجد بِرْكَةٌ كبيرةٌ أنشأتها الحكومة السعودية، وبين التلال الثلاثة والبركتين أرضٌ سهلةٌ منبسطةٌ وواسعةٌ، وشرقيّهما على مسافةٍ ليس بالقصيرة يمكن رؤية جبل المنيبر، الذي وُضِع اسمه على الخريطة التي أعدتها هيأة المساحة الجيولوجية، وغرب تلال الزرابة والبركة وعلى مسافةٍ قريبةٍ يمكن رؤية سلسلةٍ من الجبال متوسِّطة الحجم تُسمَّى جبال الزلامة.



أَوْطَاس:

تُعْرَفُ قرية أَوْطَاس حاليًا باسم (حزم الصريم)، وهي عبارة عن أرضٍ واسعةٍ ومنبسطةٍ تقع على ضفَّةِ وادي سَلْحَة بالقرب من جُبَيْل أُمِّ خُرْمَان (الزرابة).

ووصفها تقريرٌ حديثٌ لوكالة الأنباء السعودية كالتالي: «أَوْطَاس، أو ما يُعْرَفُ بجبل (أُمِّ خُرْمَان)، وهي ملتقى حُجَّاج طريقي البصرة والكوفة، وتبعد عن محطة (الغَمْرَة) ما يقارب العشرة كيلومترات، وينحرف الطريق من محطة (الغَمْرَة) ناحية الجنوب الغربي متجهًا نحو وادي (الضريبة)، وطريقها في منطقة خفيفة التضاريس إلى الغرب من وادي العقيق وصولاً إلى بركة أَوْطَاس التي تعرف أيضًا ببركة (البريكة). وأَوْطَاس تقع على أحد أذرع وأكبر روافد وادي العقيق وهو (وادي سلحة)، الذي ينبع من حرَّة (بِسْ الأسفل) المتاخم لعُشَيْرَة من الغرب مرورًا بوادي الرانة، وهذه البركة هي واحدة من سلسلة البرك التي حفرت على درب زبيدة.



الصورة تشير بوضوح إلى موقع أَوْطَاس على ضفة وادي سلحة، وتشير كذلك إلى وادي سلحة كرافد من روافد العقيق

وتقع بِرْكَة (البريكة) بين سهل (ركبة، وحزم الصريم)، وحزم الصريم هو نفسه (أَوْطَاس)، أسماه أهل المنطقة بذلك؛ لكونه شهد قبل قرنٍ من الزمان وفاة عددٍ كبيرٍ من الحُجَّاج، الذين أطلق عليهم أهل المنطقة أهل الطرابيش نتيجة للبرد القارس، وكون المنطقة مفتوحة، وشاسعة وتضاريسها عبارة عن أحجارٍ ناعمةٍ بلون تربة المكان».[[131]](#footnote-131)

ويقول الدكتور الراشد: «إذا اعتمدنا على المسح الأثري المسمَّى (سلحة) يتفق موضعه مع أَوْطَاس، وحدِّدت (سلحة) بأنَّها إلى الشمال الشرقي من الضريبة بحوالي 26 كيلًا، والمسافة بينها وبين بركة العقيق -يقصد غَمْرَة- تقل عن 20 كيلاً».

خامسًا: ذَاتُ عِرْق:

ذَاتُ عِرْق: وهو جبل صغير يُسَمَّى «عِرْق»، يُعْرَفُ حاليًا باسم القرية التي يقع فيها وهي (قرية الضريبة).

يُعبِّر الدكتور سعد الراشد عن الواقع الحالي لذَاتِ عِرْق، فيقول: «والواقع أنَّ ذَاتَ عِرْق لم تَعُدْ معروفةً بهذا الاسم، ويبدو أنَّها خُرِّبَتْ منذ قرونٍ مضت، وقامت بالقرب منها قرية تُسَمَّى (الضريبة)، وهي إلى الجنوب الغربي من بِرْكَة العقيق (الغمرة قديمًا) بحوالي 45 كيلاً».[[132]](#footnote-132)

والقرية التي ذكرها الدكتور سعد تقع في شمال شرق مكَّة، في وادٍ يقال له وادي الضريبة -أحد أودية الحجاز-، وهي الحدُّ الفاصل بين تهامة ونجد، كما ذكر ذلك أغلب المؤرِّخين، والوادي يقع ضمن منطقة جبلية، تبعد عن مكَّة مسافة (92 كم تقريبًا)، ويُعدُّ أحد روافد وادي (مر الظهران)، أو ما يُسمَّى حاليًا بوادي فاطمة.



الصورة تشير إلى سير وادي العقيق وهو قادم من قرب الطائف ومتجه إلى غَمْرَة، وتشير كذلك إلى أنَّ ذَاتَ عِرْق وأَوْطَاس لا تقعان على العقيق، فالأولى تقع على ضفة وادي الضريبة، والثانية تقع على ضفة وادي سلحة

ويقول الدكتور عبدالله آل بسام: «وقد قمت بشهر محرم في عام (1402هـ) من مكَّة المكرَّمة إلى هذا الميقات ومعي الشريف محمد بن فوزان الحارثي، وهو من العارفين بتلك المنطقة ومن المطلعين على التاريخ، وقصدي بحث طريق الحجِّ من الضريبة إلى مكَّة على الإبل، فوجدت الميقات المذكور شعبًا بين هضاب، طوله من الشرق إلى الغرب ثلاثة أكيال، وعرضه من الجنوب إلى الشمال نصف كيل، ويحدُّه من جانبيه الشمالي والجنوبي هضابه، ويحدُّه من الشرق (ريع أنخل)، ويحدُّه من الغرب وادي الضريبة الذي يصبُّ في وادي مرّ، ويعتبر هذا الميقات من الحجاز، فلا هو من نجد ولا من تهامة، ولكنَّه حجاز منخفض، يكاد يكون حرة فليس فيه جبال عالية، ويقع عنه شرقًا بنحو عشـرة أكيال وادي العقيق، ثم يلي العقيق شرقًا صحراء ركبة الواسعة حيث تبتدئ بلاد نجد.

ويحرم من العقيق الشيعة؛ مخالفةً لعمر الذي جعل ذَاتَ عِرْق ميقاتًا».[[133]](#footnote-133)

وحدَّدت هيأة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية موقع ميقات ذَاتِ عِرْق بقرارٍ صادر عنها «برقم (177) وتاريخ 29/3/1414هـ».[[134]](#footnote-134)

..........................

..............................

.................................



(الصورة تشير بوضوح لوقوع ذَاتِ عِرْق على ضفَّةِ وادي الضريبة وليس على ضفة وادي العقيق)

مسجد الميقات الحديث

جاء في تقرير وكالة الأنباء السعودية المذكور آنفًا: «تقدَّر مساحة المشـروع بنحو (65) ألف متر مربع، عملت بنظام صرفٍ لمياه الأمطار والسيول، وحوائط ساندة من الخرسانة المُسَلَّحة بهدف تغطية فروق المناسيب بالموقع العام، إضافةً إلى عمل خزَّاناتِ مياهٍ أرضيةٍ بمساحاتٍ كبيرةٍ، وأخرى علويةٍ ومواقفَ سيَّاراتٍ تتسع لنحو 600 سيارة.

ويشمل مشروع ميقات ذَاتِ عِرْق مبنًى للمسجد، يتكوَّن من دورٍ أرضيٍّ بمساحة (2775م)، يتسع لأكثر (2700مصلٍّ ومصلِّية)، وميزانين بمساحة (750م)، يتسع لنحو (900) مصلٍّ، والثالث دور القبو بمساحة (3200م)، ويستخدم مواقف سيارات يتسع لنحو (200 سيارة)، ويشتمل المشروع على مبنى دورات المياه والمواضئ، بمساحة إجمالية تقدَّر بنحو (2500م)، تحتوي على (450) دورة مياه ومواضئ، ويشمل المشروع أيضًا على عدد من الملاحق تتضمَّن مبنى سكن الإمام والمؤذِّن، وعددٍ من المباني للمحلات التجارية، ودور للمرافق الإيواء السكني، ومبنى إداري، ومبنى لخدمة السيارات وأعمال صيانتها».[[135]](#footnote-135)

صورة حديثة لمسجد ميقات ذَاتِ عِرْق، وهو لايزال قيد الإنشاء، ويقع في وادي الضريبة

حدود وادي العقيق:

يُعدُّ وادي العقيق (عقيق عُشَيْرَة) من الأودية العظيمة والطويلة والمتشعِّبة في الحجاز، وهو ما دعا المؤرِّخ الحجازي (عاتق البلادي) إلى وصفه بوادٍ فحل، أمَّا عن بدايته ونهايته فيقول: «يأخذ أعلى مساقط مياهه من شمال الطائف حيث يسيل وادي قُرَّان من شمال حويّة الطائف، ثمَّ يتَّجه العقيق مشمّلاً بين حرَّتي (بِسّ).[[136]](#footnote-136) غربًا، ثمّ حرّة الروقة وحرّة كشب شرقًا، حتى يدفع في قاع حاذة جنوب مهد الذهب».[[137]](#footnote-137)

فبداية وادي العقيق أو منابعه تكون: من السيل الصغير ووادي قُرَّان شمال الطائف، ونهايته أو مصبّه، يكون: في قاع قرية حاذة.

وكان الناس يظنُّون أنَّ العقيق يصبُّ في المدينة المنورة، إلَّا أنَّ المؤرِّخ عاتق البلادي رأى أنَّ أقصى ما قد يصل إليه سيل وادي العقيق هي سبخة أرن.[[138]](#footnote-138)

الطرق المؤدِّية لميقات العقيق حديثًا:

توجد عدَّةُ طرقٍ يمكن الوصول عبرها لميقات العقيق:

أولاً: على طريق الطائف - الرياض السريع:

 الانطلاقة تكون من مركز مدينة الطائف، ثمَّ السير على طريق الرياض السـريع لمسافة (75 كم)، ثمَّ الانعطاف جهة اليسار عند مفرق عُشَيْرَة، ومن المفرق السير على طريق (عُشَيْرَة - المحاني)، مسافة (65 كم تقريبًا)، ثمَّ الانعطاف جهة اليسار عند مفرق قرية (مدركة)، وعلى بُعْدِ أقلِّ من نصف كيلومتر من المفرق تقع قرية غَمْرَة (بركة العقيق).

أمَّا وَجْرَة (بِرْكَة الخرابة) فيمكن الوصول لها عبر نفس الطريق، ولكن قبل مفرق مدركة بأقل من ألفي متر الانعطاف جهة اليمين، وعلى مسافة تسعة كيلومترات تقريبًا تقع بِرْكَة الخرابة، والتي تُعدُّ من أجمل البِرَك.

وأَمَّا من يريد الوصول لقرية المَسْلَح فعليه السير على طريق (عُشَيْرَة - المحاني) لمسافة (75 كم تقريبًا) وصولاً لمفرق المَسْلَح، ثمَّ الانعطاف يمينًا، والسير لمسافة (22كم) وصولاً لقرية فيضة المَسْلَح، وعندها ينتهي الطريق المعبَّد.

وعلى بعد (3 كم) من جهة الجنوب الغربي لقرية فيضة المَسْلَح تقع قرية المَسْلَح.

وعلى بعد (12كم) من جهة الشمال الشرقي لقرية فيضة المَسْلَح تقع قرية البَعْث.

ثانيًا: على طريق الطائف - مكة (المار بالسيل الكبير):

من مفرق الزيمة مرورًا بقرى القفيف وأبو عشر.

وصولاً لمفرق المَسْلَح على طريق (عُشَيْرَة - المحاني).

ثمَّ إلى قرية فيضة المَسْلَح، ومنها إلى قرية المَسْلَح وقرية البَعْث.

ثالثًا: على طريق جدَّة - الطائف (المار بهدى الشام):

من شمال جدَّة وعلى طريق عسفان مرورًا بالقرى التالية: (هدى الشام، مدركة، رهاط).

وصولاً لمفرق المَسْلَح على طريق (عُشَيْرَة - المحاني)، ثمَّ إلى قرية فيضة المَسْلَح، ومنها إلى قرية المَسْلَح وقرية البَعْث.

رابعًا: على طريق جدة - الطائف (المار بالجموم):

إمَّا من مفرق الزيمة إلى فيضة المَسْلَح.

أو على طريق هدى الشام وصولاً لطريق (عُشَيْرَة - المحاني) إلى فيضة المَسْلَح.

خامسًا: على طريق المدينة - مكَّة السريع:

من مفرق مهد الذهب إلى مدينة المهد.

ومن ثمَّ السير على طريق (عُشَيْرَة - المحاني) إلى المَسْلَح.

سادسًا: على الطريق الحديث الرابط بين القصيم ومكَّة (قيد الإنشاء):

وحسب ما هو معلن فإنَّه سيمرُّ بذَاتِ عِرْق.



الطريق من مكة إلى فيضة المَسْلَح

الفصل الثالث:

أدلَّةُ شرعيَّةِ ميقات العقيق

لا خِلَافَ بين فقهاء الإمامية على أنَّ العقيق (عَقِيق عُشَيْرَة) هو ميقات أهل نجد والعراق.

نعم، بدا ثمَّة خلاف حول: هل وادي العقيق بأكمله هو الميقات بحسب الروايات الكثيرة التي صرَّحت بذلك؟، أم بطنه هو الميقات، كما ورد في صحيحة معاوية؟.

وأيًا يكن؛ فإنَّنا نستطيع أن نلخِّص شرعية الميقات بالتالي:

أ. اتفاق فتوى فقهاء الإمامية.

ب. النصوص الشرعية.

ج. السيرة العملية القطعية المتصلة بعصر التشريع.

فتاوى الفقهاء:

أفاد فقهاء الإمامية في فتاواهم التي استفادوها من الروايات الشريفة عن أئمة أهل البيت:، وفيما يلي نستعرض بعض النماذج من هذه الفتاوى:

ففي (فقه الرضا)،[[139]](#footnote-139): «وَقَّتَ لأهل العراق العَقِيق، وأَوَّلُه المَسْلَح، ووسطه غَمْرَة، وآخره ذَاتُ عِرْق، وأوَّله أفضل».

وفي (المُقنع)،[[140]](#footnote-140) و(الهداية)،[[141]](#footnote-141): «وَقَّتَ لأهل العراق العَقِيق، وأَوَّلُ العَقِيق المَسْلَخ، ووسطه غَمْرَة، وآخره ذَاتُ عِرْق».

وفي (المقنعة)،[[142]](#footnote-142) و(المسائل الناصريات)،[[143]](#footnote-143) و(المراسم)،[[144]](#footnote-144) وفي (الجمل)،[[145]](#footnote-145) و(الكافي في الفقه)،[[146]](#footnote-146): «وَقَّتَ لأهل العراق بَطْنَ العَقِيق، وأَوَّلُه المَسْلَخ، ووسطه غَمْرَة، وآخره ذَاتُ عِرْق».

وفي (النهاية)،[[147]](#footnote-147): «وَقَّتَ لأهل العراق، ومَنْ حجَّ على طريقهم: العَقِيق، وله ثلاثة أوقات: أَوَّلُهُ المَسْلَخ وهو أفضلها، ولا ينبغي أن يُؤَخِّرَ الإنسانُ الإحرامَ منه إلَّا عند الضـرورة، وأَوْسَطُهُ غَمْرَة، وآخِرُهُ ذاتُ عِرْق، ولا يجعل إحرامَهُ من ذَاتِ عِرْق إلَّا عند الضـرورة والتقيَّة، ولا يتجاوز ذَاتَ عِرْقٍ إلَّا مُحْرِمًا على حال».

وفي (اللمعة)،[[148]](#footnote-148): «والعَقِيقُ وهو وادٍ طويلٌ يزيدُ على بريدين للعراق، وأفضله المَسْلَخ وهو أوَّلُهُ من جهة العراق، ورُوِيَ أنَّ أوَّلَهُ دونه بستة أميال، وليس في ضبط المَسْلَخ شيء يعتمد عليه».

وفي (كشف الغطاء)،[[149]](#footnote-149): ذكر الشيخ جعفر كاشف الغطاء شيئًا من التفصيل، فيرى أنَّ العَقِيق ميقاتٌ لأهل نَجْدٍ والعراق، إلَّا أنَّه قسَّمَهُ على أربعة مواضع، أحدها: بريد البَعْث، والمَسْلَح (المراد به أوَّل العَقِيق)، وغَمْرَة، وذَاتُ عِرْق.

وفي (الفتاوى الواضحة): «وادي العَقِيق، وهذا الميقات له أجزاءٌ ثلاثةٌ: المَسْلَخ، وهو اسمٌ لأوَّلِهِ. والغَمْرَة، وهو اسمٌ لوسطِهِ. وذَاتُ عِرْق، وهو اسمٌ لآخِرِهِ. ويُقَدَّرُ بعد آخِرِهِ عن مكَّة المكرَّمة بحوالي أربعة وتسعين كيلومترًا -على ما قيل-، والأَحْوَطُ وُجُوبًا أن يُحْرِمَ المُكَلَّفُ قبل أن يصلَ إلى ذَاتِ عِرْقٍ فيما إذا لم تمنعه عن ذلك تَقِيَّة».

العقيق في النصوص الروائية:

1. صحيحة أبي أيوب الخزاز، قال: قلت لأبي عبدالله 7: حَدِّثْني عن العَقِيق، أَوَقْتٌ وَقَّتَهُ رسول الله9 أو شيءٌ صنعه الناس؟، فقال: إنَّ رسول الله9 وَقَّتَ لأهل المدينة ذا الحليفة، ووَقَّتَ لأهل المغرب الجحفة، وهي عندنا مكتوبة مهيعة، وَوَقَّتَ لأهل اليمن يَلَمْلَم، وَوَقَّتَ لأهل الطائف قَرْنَ المنازل، وَوَقَّت لأهل نَجْدٍ العَقِيق وما أَنْجَدت».[[150]](#footnote-150)

2. صحيحة معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله 7 قال: «من تَمَامِ الحجِّ والعمرة أن تُحْرِمَ مِنَ المَوَاقِيتِ التي وَقَّتَهَا رسول الله9، لا تُجَاوِزْهَا إِلَّا وَأَنْتَ مُحْرِمٌ، فَإنَّه وَقَّتَ لأهلِ العِرَاقِ -ولم يكن يومئذٍ عراق- بطنَ العقيقِ من قِبَلِ أهل العراق، ووقَّتَ لأهلِ اليمنِ يَلَمْلَم، ووقَّتَ لأهل الطائف قرن المنازل، ووقَّتَ لأهل المغرب الجحفة، وهي مهيعة، ووقَّتَ لأهل المدينة ذا الحليفة، ومَنْ كَانَ منزله خَلْفَ هذه المواقيت مِمَّا يلي مكة فَوَقْتُهُ منزِلُه».[[151]](#footnote-151)

3. صحيحة أبو حسن الحلبي، قال: قال أبو عبدالله 7: «الإحرام من مواقيت خمسة وَقَّتَهَا رسول الله9 لا ينبغي لحاجٍّ ولا لمعتمرٍ أن يُحْرِمَ قبلها ولا بعدها، وَقَّتَ لأهل المدينة ذا الحليفة، وهو مسجد الشجرة يصلّى فيه ويفرض الحجّ، ووَقَّتَ لأهل الشام الجحفة، ووَقَّتَ لأهل نجد العَقِيق، ووَقَّتَ لأهل الطائف قرن المنازل، ووَقَّتَ لأهل اليمن يَلَمْلَم، ولا ينبغي لأحدٍ أن يرغب عن مواقيت رسول الله9».[[152]](#footnote-152)

4. صحيحة علي بن رئاب قال: «سألت أبا عبدالله 7 عن الأوقات التي وَقَّتَهَا رسول الله9 للناس، فقال: إنَّ رسول الله9 وَقَّتَ لأهل المدينة ذا الحليفة وهي الشجرة، ووَقَّتَ لأهل الشام الجحفة، ووَقَّتَ لأهل اليمن قرن المنازل، ولأهل نجد العقيق».[[153]](#footnote-153)

صحيحة علي بن جعفر عن أخيه 8: «أمَّا أهل الكوفة وخراسان وما يليهم فمن العقيق».[[154]](#footnote-154)

5. صحيحة عمر بن يزيد عن أبي عبدالله 7، قال: «وَقَّتَ رسول الله9 لأهل المشرق العقيق نحوًا من بريدين، ما بين بريد البَعْث إلى غَمْرَة، ووَقَّت لأهل المدينة ذو الحليفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل اليمن يَلَمْلَم».[[155]](#footnote-155)

والذي يفهم من النصوص الشريفة، أمران:

الأوَّل: أنَّ العقيق بأكمله هو الميقات.

الثاني: أنَّ بطن العقيق هو الميقات، وليس العقيق بأكمله.

ولحلِّ الإشكال الأوَّل لا بدَّ لنا من الرجوع للتالي:

أ. النصوص الشرعية المشتملة على لفظ (بطن).

ب. المعاجم اللغوية.

ج. أهل المنطقة؛ لمعرفة مرادهم من قول: (بطن العقيق)، أو (بطن الوادي)؛ باعتبار أنَّ العقيق أحد أودية الحجاز، وكثيرًا ما يستعمل هذا التعبير في حديثهم الدارج، وفي أدبياتهم، قديمًا وحديثًا.

الاستعمال القرآني لكلمة (بطن):

ورد ذكر كلمة بطن ومشتقاتها في عددٍ غير قليل من آي القرآن الكريم، وفي أكثر من معنًى، ومنها:

1. قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾، [الحديد: 13].

بمعنى: الجهة.

2. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، [الأنعام: 151].

بمعنى: السر.

3. وقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: 20].

بمعنى: المعرفة.

4. وقوله تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾، [الفتح: 24].

بمعنى: المكان.

5. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، [الحديد: الآية 3].

بمعنى: العلم والقرب.

6. قوله 7: «وَارْمِهَا مِنْ بَطْنِ الوَادِي»، في موضوع رمي الجمار بمنى.

بمعنى: أسفل؛ لأنَّ الجمرة -سابقًا- كانت تقع عند سفح الجبل، ويبدو أنَّ بعض الحُجَّاج كان يرميها وهو على سفح الجبل، أي أنَّه كان يرميها من أعلى.

استعمال كلمة (بطن) في الأدب العربي:

قال الأعشى:

جَازِعَاتٍ بَطْنَ العَقِيقِ كَمَا تَمْـ

ـضِي رِفَاقٌ أَمَامَهُنَّ رِفَاقُ

ويقال: جَزَعْتُ الوَادِيَ: إذا قطعته عَرْضًا.[[156]](#footnote-156)

وقال عبدالسلام بن يوسف:

عَلَى سَاكِنِي بَطْنَ العَقَيقِ سَلَامُ

وَإِنْ أَسْهَرُونِي بِالْفِرَاقِ وَنَامُوا

وقال ثور بن سلمة في رثاء أخيه:

أَرَى الأَثْلَ مِنْ بَطْنِ العَقِيقِ مُجَاوِرِي

مُقِيمًا وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهْ

وقال عدي بن زيد:

سَقَى بَطْنَ العَقِيقِ إِلَى أُفَاقٍ

فَقَاثُورٍ إِلَى لَبَبِ الكَثِيبِ

كلمة (بَطْن) في معاجم اللغة:

وكما وردت كلمة (بَطْن) في القرآن الكريم بأكثر من معنًى؛ فكذلك في المعاجم اللغوية لها أكثر من معنًى، ومن تلكم المعاني: خلاف الظهر، ووسط الشيء، وداخل الشيء، وما خفي من الأمر...، إلخ.

قال ابن منظور في لسان العرب:

بَطَنَ الوَادِيَ: دَخَلَهُ، بَطَنْتُ الوَادِيَ: دَخَلْته. واسْتَبْطَنَ الوَادِيَ: جَوَّلَ فِيهِ، واسْتَبْطَنْتُ الشَّيءَ وتَبَطَّنْتُ الكَلَأَ: جَوَّلْتُ فِيهِ.

والبُطْنُ: مَسَايِلُ المَاءِ في الغَلْظ. والظَّهْرُ من الأَرْضِ: ما غَلُظَ وارْتَفَعَ.

والبَطْن من الأرض: ما لَانَ مِنْهَا وسَهُلَ وَرَقَّ واطْمَأَنَّ».[[157]](#footnote-157)

وفي مفردات غريب القرآن:

البَطْنُ: «خلاف الظهر في كلِّ شيءٍ، ويقال للجهة السفلى: بَطْن، وللجهة العليا: ظَهْر، وبه شبِّه بَطْنُ الأمر، وبَطْنُ الوَادِي».[[158]](#footnote-158)

وفي تاج العروس:

«والبَطِيحَةُ والبَطْحَاءُ والأَبْطَحُ، وهذه الثَّلاثةُ ذَكَرها الجوهريُّ وغيرُه: مَسِيلٌ وَاسِعٌ فيه دُقاقُ الحَصَى.

وعن ابن سيده: قيل: بَطْحَاءُ الوَادِي: تُرَابٌ لَيِّنٌ مِمَّا جَرَّتْهُ السُّيُولُ.

وقال ابن الأَثير: بَطْحَاءُ الوَادِي، وأَبْطَحُهُ: حَصَاهُ الليِّنُ في بَطْنِ المَسِيلِ.

ومنه  الحديث: «أَنَّه صَلَّى بالأَبْطَحِ»، يَعنِي أَبْطَحَ مَكَّة. قال: هو مَسِيلُ وَادِيهَا.

وعن أَبي حَنِيفة: الأَبْطَحُ لا يُنْبِتُ شيئًا، إِنّما هو بَطْنُ المَسِيلِ.

عن النَّضْر: الأَبْطَحُ: بَطْنُ التَّلْعةِ والوَادِي، وهو البَطْحَاءُ، وهو التَّرَابُ السَّهْلُ في بُطُونِهَا مِمَّا قد جَرَّتْهُ السُّيُولُ.

يقال: أَتَيْنَا أَبْطَحَ الوَادِي فنمْنَا عليه. وبَطْحَاؤُهُ، مثلُه، وهو تُرَابُه وحَصَاهُ السَّهْلُ اللَّيِّنُ».[[159]](#footnote-159)

استعمال أهل الحجاز لجملة (بطن العقيق):

كثيرًا ما يستعمل أهل الحجاز جملة «بَطْن العَقِيق»، ومرادهم بها: المَكَانُ الوَاسِعُ القَرِيبُ مِنْ مَسَايِلِ المَاءِ الصَّالِحِ لِلمَرَاحِ والصَّلَاةِ.

فعندما يقول أحدهم: «أَمْرَحَ عِنْدِي» فهو يقصد بها (نَامَ عِنْدِي)، وعندما يقولون: «مَرَاح الإِبِل» فيعنون بالكلمة (مَبِيتُ الإِبِل).

وعادةً ما يكون عدد أفراد قوافل الحُجَّاجِ غير قليلٍ، وإبلهم كثيرة؛ فهم بحاجةٍ لمكانٍ واسعٍ ومريحٍ؛ ليؤدُّوا فيه الصلاة والمبيت.

وقطعًا لا يعنون بجملة بَطْن الوَادِي (داخل الوادي أو وسط الوادي) كمكانٍ للرَّاحَةِ والمَبِيت؛ لأنَّ أخطر الأمكنة في الأودية هي بطونها، فلذلك تراهم دائماً ينصحون بعضهم البعض بتجنُّب بطون الأودية، ويعنون بها مجرى السيول.

وينصح الدكتور عبدالله المسند (أستاذ الجغرافيا بجامعة القصيم) في تغريدةٍ له على موقعه في شبكة التواصل الاجتماعي أهل البادية بقوله: «لا تتخذوا بطون الأودية مَسْكَنًا ولا مُسْتَوْطَنًا... لا للإنسان ولا للحيوان، وأهيب بأهل الحلال إخراج حلالهم من بطون الأودية، والمنخفضات، ولا تكونوا كنبتة رجلة، تنبت في بطن الوادي، قالت العرب: «أحمق من رجلة».[[160]](#footnote-160)

الصورة لأحد بطون الأودية، ويظهر فيها السيل وهو يجرف الإبل

وذكر في حديث عن عبدالله بن عمر أنَّ الرسول9 كان ينزل بذي الحليفة حين ذهابه للعمرة أو الحجَّ، تحت سمرة،[[161]](#footnote-161) في موضع المسجد (مسجد المعرس)،[[162]](#footnote-162) ويهبط بطن وادي العقيق، فإذا ظهر من بطن الوادي، أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية. فهبوط النبي9 لبطن الوادي لم يكن إلّا لملء قربة الماء أو الوضوء، أمَّا مبيته فكان في (البطحاء)، وهي منطقة تختلف عن بطن الوادي، ويدلُّ على ذلك قول الراوي: «فإذا ظهر من بطن الوادي، أناخ بالبطحاء».

وأَنَاخَ بالمكان: أي أَقَامَ فيه.

يقول الشاعر:

أَنِخْ رِكَابَكَ يَا مَنْ شِئْتَ مَغْفِرَةً

بِأَبِي قُبَيْسٍ وَاقْصُدْ ذَلِكَ الحَرَمِ

والأَبْطَحُ -كما عرَّفته معاجم اللغة- هو: سَهْلٌ، أَرْضٌ مُنْبَسِطَةٌ فَسِيحَةُ الأَرْجَاء، يَسِيلُ فيها الماءُ تَارِكًا فيها الرَّمْلَ وصِغَارَ الحَصَى.

نعم، ذكرت المعاجم أنَّ أحد معاني (بطن الشيء): داخله، كما ورد عن النبي9 أنَّه رمى جمرة العقبة من بطن الوادي؛ لأنَّها كانت تقع قرب سفح الجبل، وبعض الناس كانوا يرمونها من على سفح الجبل.

والذي أراه أنَّ المراد من (بطن العقيق) -هنا- هو: المكان الواسع والصالح للمبيت والصلاة والاستراحة، ويكون بالقرب من مَسِيلِ الوادي.

وقول الإمام الحربي -عند وصفه بريد البَعْث-: «يقال: أنَّها أوَّل بطن العقيق»، فيه دلالةٌ واضحةٌ على ما ذهبنا إليه في تفسيرنا لـ (بطن العقيق).

أضف إلى ذلك أنَّ كثيرًا من البِرَكِ بُنِيَتْ على مَسِيلِ العقيق؛ ليتجمع ماء السيل داخلها، وبطريقةٍ مُدَرَّجَةٍ؛ لكي يتمكَّن أكبر عددٍ ممكنٍ من الحُجَّاج من ملء قِرَبِهِمْ بالماءِ في آنٍ واحدٍ.

يقول الدكتور الراشد ـ بعد ذكر وصفه الدقيق لبِرْكَة غَمْرَة ـ : « تنتشر آثار المنازل السكنية في منطقة مرتفعة إلى الغرب من البركة...، كذلك تنتشر بقايا المباني السكنية حول البركة».[[163]](#footnote-163)

أمَّا بالنسبة لموقع المَسْلَح، فيقول الدكتور الراشد: «ويبعد الموقع الأثري للمَسْلَح عن مسار الطريق خمسة أكيال تقريبًا، وترتفع التلول الصخرية المحيطة بالموقع عن مستوى السهل بحوالي ستة أمتار، ويتكوَّن الموقع من مجموعةٍ من الآثار المعمارية الباقية، وهي عبارة عن: البِرْكَة الرئيسة، ومجموعة من الآبار، وبقايا أطلال المنازل السكنية، أمَّا بقايا التحصينات أو القصور فهي على المرتفع الشمالي الغربي من الموقع الرئيسي».[[164]](#footnote-164)

ويفهم من كلام الدكتور الراشد (أستاذ الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية بجامعة الملك سعود)، أنَّ الحُجَّاج لم يكونوا ينزلون بطن الوادي للاستراحة والصلاة، وإنَّما لملء قرب الماء من بطن الوادي، سواء وجدت بِرْكَة أم لم توجد.

وهذا ما شاهدناه أثناء زيارتنا الميدانية، حيث إنَّ بِرْكَة أبي جعفر المنصور في المَسْلَح تقع على مجرى العقيق، وكذلك بِرْكَة غَمْرَة، في حين أنَّ أمكنة الميقات الثلاثة (بريد البَعْث، المَسْلَح، غَمْرَة) وجدنا أنَّها جميعًا تقع في أرضٍ مرتفعةٍ عن بطن العقيق، وهي واسعة تصلح مكانًا للتجمّع والمبيت والصلاة.[[165]](#footnote-165)

وقول سماحة المرجع الشيخ الفيَّاض: «فإنَّ المتفاهم العرفي من بطن العقيق بمناسبة الحكم والموضوع هو داخله في مقابل الخارج عنه، باعتبار أنَّ العقيق محدَّدٌ بحدٍّ معيَّنٍ ومسافةٍ».[[166]](#footnote-166)

ويبدو لي أنَّ كلامه هنا أتى في سياق حديثه عن حدود العقيق، وليس لبيان مدلول كلمة (بَطْن).

وعليه:

فإنَّ استعمال (بَطْن العَقِيق) في الرواية الشريفة، ليس فيها دلالة على «أنَّ تمام وادي العقيق ليس بميقات، وإنَّما الميقات بطنه».[[167]](#footnote-167)

كما ذهب لهذا المعنى موسوعة الفقه الإمامي، ولا تعني وسط الشيء؛ لأنَّ أوَّل أمكنة الميقات الثلاثة (بريد البعث) يقع في أوَّلِ بطن العقيق من جهة العراق، ما يعني أنَّ المراد من كلمة (بطن) هنا شيء آخر وليس وسط الشيء، وليس مقابل تمام العقيق.

وغاية ما في الأمر -حسب فهمي والله أعلم- أنَّ المراد من بطن العقيق -هنا- أمر إرشادي من النبي9 للحُجَّاج للاستراحة والمبيت في المكان الأنسب والأصلح، ولا غرابة في ذلك؛ فهو9 ابن البادية، وأعرف الناس بأيِّ الأمكنة هي أصلح للمبيت.

وبعبارةٍ مختصرةٍ: فإنَّ المراد من قولهم «بطن العقيق» هو: الأرض الرملية الواسعة التي تقع بالقرب من مسايل الماء، وتصلح للمراح والصلاة.

حدود ميقات العقيق :

فيما سبق دار البحث حول الموقع الجغرافي والواقع التاريخي لميقات العقيق، وما خلصنا إليه من نتائج ما يلي:

1. أنَّ المراد من جملة (بطن العقيق) هو المكان الواسع الذي يقع بالقرب مسيل الوادي، ويكون صالحًا للمراح والمبيت.

2. أنَّ بريد البَعْث هو أوَّلُ بَطْنِ العَقِيق، ما يعني أنَّه بداية الميقات.

3. أنَّ بعض الحُجَّاج كانوا يُحْرِمُون من بريد البَعْث.

4. أنَّ نهاية حدود الميقات هي غَمْرَة وليس ذات عِرْق أو أَوْطَاس، باعتبار أنَّهما لا تقعان على العقيق جغرافيًا.

5. أنَّ التغيير الذي حصل في مبدإ ومنتهى حدِّ الميقات عائدٌ لأسبابٍ ذكرناها في محلِّها.

وفي ضوء هذه النتائج سنحاول معرفة حدود ميقات العقيق طِبْقًا للروايات الشريفة الواردة عن أئمة أهل البيت:، وهي على ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: حدَّدت بدايته بـ (بريد البَعْث)، ونهايته بـ (غَمْرَة).

1. صحيحة معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله7 قال: «أَوَّلُ العَقِيقِ بَرِيدُ البَعْثِ، وَهُوَ دُونَ المسْلَخِ بِسِتَّةِ  أَمْيَالٍ مِمَّا يَلي العِرَاقَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ غَمْرَةَ أَرْبَعَةٌ وَعشْرُونَ ميلاً : بَرِيدَانِ».[[168]](#footnote-168)

2. صحيحة عمر بن يزيد، عن أبي عبدالله 7 قال: «وَقَّتَ رَسُولُ الله9 لِأَهْلِ المَشْرِقِ العَقِيقَ نَحْوًا مِنْ بَرِيدَيْن، مَا بَيْنَ بَرِيدُ البَعْثِ إِلَى غَمْرَةَ».[[169]](#footnote-169)

3. عن محمد بن علي بن الحسين قال: قال الصادق 7: «أَوَّلُ العَقِيقِ بَرِيدُ البَعْثِ، وَهوَ من دُون بَرِيدِ غَمْرَةَ».[[170]](#footnote-170)

الطائفة الثانية: حدَّدت بدايته بـ (المَسْلَح)، ونهايته بـ (ذَاتِ عِرْق).

1. خبر أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله 7، يقول: «حَدُّ العَقِيقِ: أوَّلُهُ المَسْلَخ، وآخِرُهُ ذَاتُ عِرْقٍ».[[171]](#footnote-171)

2. مُرْسَلَةُ الصَّدُوقِ، عن محمد بن علي بن الحسين قال: قال الصادق 7: «وَقَّتَ رسولُ الله9 لِأَهْلِ العِرَاقِ العَقِيق، وأَوَّلُه المَسْلَخ، ووسطه غَمْرَة، وآخِرُهُ ذَاتُ عِرْقٍ، وأوَّله أفضل».[[172]](#footnote-172)

3. عن أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في (الاحتجاج)، عن محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري أنَّه كتب إلى صاحب الزمان 7 يسأله عن الرجل يكون مع بعض هؤلاء، ويكون مُتَّصِلاً بهم، يَحُجُّ ويأخذ عن الجادة، ولا يُحْرِمُ هؤلاء من المَسْلَخ، فهل يجوز لهذا الرجل أن يُؤَخِّر إحرامه إلى ذَاتِ عِرْقٍ فيحرم معهم لما يخاف الشهرة؟ أم لا يجوز إلَّا أنْ يُحْرِمَ من المَسْلَخ، فكتب إليه في الجواب: «يُحْرِمُ من مِيقَاتِهِ، ثمَّ يلبسُ الثيابَ ويُلَبِّي في نفسه، فإذا بَلَغَ إلى ميقاتهم أظهره».[[173]](#footnote-173)

الطائفة الثالثة: حَدَّدتْ نهايته بـ (أَوْطَاس).

صحيحة معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله 7 قال: «آخر العَقِيق بريد أَوْطَاس، وقال: بريد البَعْث دون غَمْرَة ببريدين».[[174]](#footnote-174)

ويستفاد من الروايات الشريفة بصفة عامة، ما يلي:

1. أنَّ طول الميقات يبلغ بريدين (24ميلاً، أي 48كم).

2. أنَّ بداية الميقات، إمَّا بريد البَعْثِ، أو المَسْلَخ.

3. أنَّ نهايته إمَّا غَمْرَة، أو أَوْطَاس، أو ذات عِرْق.

والملاحظ هنا أنَّ هذا الميقات تميَّز عن غيره من المواقيت، بميزتين:

أ. جواز الإحرام من أكثر من مكان يقع على العقيق.

ب. طوله -حسب المشهور بين الفقهاء (رواية أبي بصير)- حيث إنَّ المسافة بين أوَّله (المسْلَخ)، وآخره (ذات عِرْق) تبلغ (37 ميلاً)، أي ما يعادل (74 كم).

وأيًّا كان؛ فقد جوَّز الفقهاء المتقدِّمين والمتأخِّرين الإحرام من ثلاثة مواضع تقع على العقيق (عقيق عُشَيْرَة)، وهو المعروف والمشهور بينهم، وأنَّ أوَّل تلكم المواضع هو المسْلَخ، تليه غَمْرَة، وآخره ذات عِرْق، وأنَّ أفضله المسْلْخ، تليه غَمْرَة، ثمَّ ذات عِرْق، وقيَّدوا الإحرام من الموضع الأخير؛ لتقيَّةٍ أو ضرورةٍ.

قال الشيخ الطوسي في النهاية: «العقيق، وله ثلاثة أوقات: أوَّلها المَسْلَخ، وهو أفضلها، ولا ينبغي أن يُؤَخِّر الإنسان الإحرام منه إلّا عند الضرورة، وأوسطه غَمْرَة، وآخره ذَاتُ عِرْق، ولا يجعل إحرامه من ذات عِرْقٍ إلّا عند الضرورةِ والتقيَّةِ».[[175]](#footnote-175)

واستدلَّ القائلون بهذا الرأي بمُرْسَلَةِ الصدوق، وخبر أبي بصير المذكورين سابقًا.

ولحلِّ هذا الإشكال أو التعارض بين الروايات الشريفة -كما يبدو من ظاهرها من ناحيةٍ فقهيةٍ-، لا بُدَّ من الرجوع للبحوث الاستدلالية لفقهاء مدرسة أهل البيت:.

وبلا شكٍّ أنَّ الفقهاء قد سخَّروا جُلَّ طاقاتهم لحلِّ هذا التعارض، كُلاًّ حسب مبانيه.

وبعد مطالعتي لعددٍ غير قليلٍ من تعليقات الفقهاء على العروة الوثقى -للسيِّد اليزدي-؛ وجدتها تكاد تكون متطابقة في النتائج، باعتمادهم رواية أبي بصير المشهورة كدليلٍ معتبرٍ على أنَّ المَسْلَح يمثِّل أوَّلَ العقيق، تليه غَمْرَة، وآخره ذات عِرْق، وأنَّ أوَّلهُ أفضل.

وكدنا في لحظة من اللحظات نفقد الأمل في العثور على رأيٍ فقهيٍّ يطابق نتائج البحث الجغرافي والتاريخي، وقد جادت قريحة رفيق الدرب في تلكم اللحظات بالأبيات التالية:

أَبْحَرَ فِي لُـجَاجِ (بَيْتِ الحِكْمَةْ)،[[176]](#footnote-176)

وَلَمْ تَخِرْ فِي الظُّلُمَاتِ الهِمَّةْ

مُسْتَمْسِكًا بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى عَلَى

تَقَطُّعِ العُرَى إِلَى أَنْ وَصَلَا

لِبَاسِطِ المَسْأَلَةِ المَقْبُوضَةِ

وَمُطْلقِ الأَدْمِغَةِ المرُوضَةِ

وعندما وقع بصري على ما جاء في تعليقاتٍ مبسوطةٍ على العروة الوثقى لسماحة المرجع الشيخ إسحق الفيَّاض، وجدت نفسي تركن وتميل لهذا الاستدلال؛ لتوافقه في جزءٍ كبيرٍ منه مع النتائج التي توصَّلنا لها في بحثنا التاريخي الجغرافي، ولسان الحال يردِّد ما قاله الشيخ الوائلي:

حَتَّى تَدَارَكَنَا كَالرَّعْدِ مُنْطَلِقًا

صَوْتُ الفَتَاوَى عَلَى أَفْوَاهِ مَنْ زَأَرُوا

دَوَّى بِهَا نَفَرٌ مِنْ خَيْرِ قَادَتِنَا

عِنْدَ الخُطُوبِ فَمَرْحَى أَيُّهَا النَّفَرُ

فَانْجَابَ لَيْلٌ وَوَلَّتْ ظُلْمَةٌ وَمَشَى

ضوْءٌ وَرَفْرَفَ فَتْحٌ أَبْلَجٌ نَضِرُ

استدلال سماحة المرجع الفيَّاض:

يقول سماحة المرجع الشيخ الفيَّاض -دام ظلّه- في تعاليقه المبسوطة على العروة الوثقى في الجزء التاسع في الصفحات (182-185): «هذا هو المعروف والمشهور بقصد أنَّ أوَّل الميقات هو المَسْلَح، وآخره ذاتُ عِرْق- بين الأصحاب وقد استدلَّ على ذلك:

1. برواية أبي بصير، قال: سمعت أبا عبدالله 7، يقول: «حَدُّ العَقِيقِ أَوَّلُهُ المَسْلَخُ، وآخِرُهُ ذَاتُ عِرْق»، فإِنَّها تحدِّد العَقِيقَ من حيث المبدأ والمنتهى بوضوح.

2. وبِمُرْسَلَةِ الصَّدُوق، قال: قال الصادق 7: «وَقَّتَ رسولُ الله9 لِأَهْلِ العِرَاقِ العَقِيق، وأَوَّلُه المَسْلَخ، ووسطه غَمْرَة، وآخِرُهُ ذَاتُ عِرْقٍ، وأوَّله أفضل».

ولكن للنظر في ذلك مجال:

أمَّا المرسلة فلا يمكن الاعتماد عليها من جهة إرسالها.

ودعوى أنَّ ضعفها منجبرٌ بعمل المشهور بها مدفوعة بما ذكرناه غير مرَّةٍ من المناقشة في كون عمل المشهور بروايةٍ ضعيفةٍ جابرٌ لضعفها نظريًا وتطبيقيًا.

وأمَّا رواية أبي بصير، فإنَّ الراوي عنه عمار بن مروان وهو مردَّد بين اليشكُري وبين الكلبي، وهو بعنوان اليشكُري ثقة دون الكلبي، ولم يثبت أنَّهما عنوانان لشخصٍ واحدٍ؛ إذ لا دليل على الاتحاد وعلى التعدُّد، فهل المراد منه في الرواية اليشكري الثقة حتى تكون الرواية معتبرة، أو الكلبي حتى تكون الرواية ضعيفة.

ودعوى أنَّ المراد منه الأوَّل للانصراف من جهة أنَّه المعروف والمشهور مدفوعة بأنَّ شهرة عمار بن مروان بعنوان اليشكري لم تصل إلى درجة كلَّما أطلق عمار بن مروان كان المنصرف منه اليشكري، فإنَّه ليس من الرواة المعروفين والمشهورين؛ حيث إنَّ وقوعه بعنوان اليشكري في إسناد الروايات قليل.

فالنتيجة: أنَّه لا يمكن حصول الوثوق والاطمئنان بأنَّ المراد منه اليشكري، غاية الأمر حصول الظنِّ به ولا قيمة له.

هذا إضافة إلى أنَّها معارضة لصحيحة معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله 7 قال: «أَوَّلُ العَقِيقِ بَرِيدُ الْبَعْثِ، وَهُوَ دُونَ الْمسْلَخِ بِسِتَّةِ  أَمْيَالٍ مِمَّا يَلِي الْعِرَاقَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ غَمْرَةَ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ ميلاً : بَرِيدَانِ» فإنَّها تنصُّ على أنَّ أوَّل العقيق بريد البعث لا المسْلَخ، وبينه وبين غَمْرَة بريدان، ومثلها صحيحة عمر بن يزيد، عن أبي عبدالله 7 قال: « وَقَّتَ رسول الله9 لأهل المشرق العقيق نحوًا من بريدين، ما بين بَرِيدِ البَعْثِ إلى غَمْرَة -الحديث-».

وعلى هذا فإنْ قُلْنَا بأنَّ رواية أبي بصير لم يثبت اعتبارها كما هو الأظهر فالمرجع حينئذٍ هو صحيحة معاوية.

ومقتضاها أنَّ أوَّل العقيق بريد البَعْثِ لا المَسْلَخ.

نعم، إنَّها ساكتة عن آخره، ولكنَّ صحيحته الأخرى عن أبي عبدالله 7 قال: «آخِرُ العَقِيقِ بَرِيدُ أَوْطَاس، وقال: بَرِيدُ البَعْثِ دون غَمْرَة ببريدين» تَنُصُّ على أنَّ آخره أَوْطَاس.

ودعوى أنَّ كلتا الصحيحتين مخالفةٌ للمشهورِ المصرَّحِ به في كلماتهم من أنَّ أوَّلَ العَقِيقِ المَسْلَخ وآخره ذات عِرْق، باعتبار أنَّ الأولى مخالفة لهم في أوَّلِهِ، وتَنُصُّ على أنَّه بَرِيدُ البَعْثِ دونَ المَسْلَخ، والثانية مخالفةٌ لهم في آخره، وتَنُصُّ على أنَّه بريد أَوْطَاس لا ذات عِرْق، فلذلك كانتا مهجورتين لديهم، وذلك موجبٌ لسقوطهما عن الحجِّيَّة؛ مدفوعة بما ذكرناه غير مرَّةٍ بأنَّ الرواية إذا كانت معتبرة لا تسقط عن الحجِّيَّة بمخالفة المشهور وعدم عملهم بها.

فإذن؛ لا مناص من العمل بها. ويكون الناتج من ضمِّها لصحيحته الأولى أنَّ أوَّله بريد البَعْثِ وآخره أَوْطَاس.

وأمَّا ذَاتُ عِرْق، فقد وَرَدَ في موثَّقة عمار قال: «سألت أبا الحسن7 عن المتمتِّع يجيء فيقضي متعة، ثمَّ تبدو له الحاجة فيخرج إلى المدينة، وإلى ذات عِرْق، أو إلى بعض المعادن؟، قال: يرجع إلى مكَّة بعُمْرَة، إلى أن قال: كان أبي مجاورًا ههنا، فخرج يتلقَّى بعض هؤلاء، فلمَّا رجع فبلغ ذاتَ عِرْق أَحْرَمَ من ذاتِ عِرْق بالحجِّ، ودخل وهو مُحْرِمٌ بالحجِّ».[[177]](#footnote-177)

فإنَّها تدلُّ على أنَّه من الميقات.

وأمَّا الإحرام من غَمْرَة فمضافًا إلى هاتين الصحيحتين؛ فقد ورد في موثَّقة إسحق بن عمار قال: «سألت أبا الحسن7 عن الإحرام من غَمْرَة، قال: ليس به بأس، وكان بَرِيدُ العَقِيق أحبَّ إليَّ».[[178]](#footnote-178)

وأمَّا على تقدير أنَّ رواية أبي بصير معتبرة؛ فيقع التعارض بينها وبين صحيحة معاوية في تحديد أوَّل العقيق، فإنَّ مقتضى رواية أبي بصير أنَّ أوَّله المَسْلَخ، ومقتضـى الصحيحة أنَّ أوَّله بريد البَعْث، وبعد سقوطهما فيه بالمعارضة لم يثبت عنوان الأوَّليَّة لكلٍّ من المَسْلَخ وبَرِيدِ البَعْثِ.

وأمَّا أصل ميقاتية كلاً منهما فهو ثابت، ولا معارضة فيه باعتبار أنَّ التعارض إنَّما هو في عنوان الأوَّليَّة.

ونتيجة ذلك أنَّه يجوز الإحرام من المَسْلَخ، وغَمْرَة، وذاتِ عِرْق.

وأمَّا ذات عِرْق فقد قيل: إنَّها كانت اسمًا لقريةٍ فخربت، وأمَّا غَمْرَة فهي داخلة في عمق العقيق، وأمَّا بَرِيد البَعْثِ فهو اسم لمبدئه بناءً على ما هو الصحيح من عدم اعتبار رواية أبي بصير، وأمَّا في الصحيحة الثانية لمعاوية من أنَّ آخر العقيق بريد أَوْطَاس فلم يرد في شيءٍ من الروايات جواز الإحرام منه.

وأمَّا الإحرام من بَرِيدِ البَعْثِ الذي هو أوَّل العقيق فهو الأفضل، بمقتضى جملةٍ من الروايات.

والكلام لا زال للمرجع الشيخ الفيَّاض -دام ظله- فيقول:

لحد الآن قد تبين أنَّ المستفاد من مجموعة من روايات هذا الباب بضمِّ بعضها إلى بعض أنَّ العقيق الذي هو ميقاتٌ لأهلِ العراقِ محدَّدٌ من حيث المبدأ ببريد البعث، والمنتهى ببريد أَوْطَاس، والمسلخ بينهما، وأمَّا غَمْرَة، فهل هي نهاية العقيق؟ وأنَّ بريد أَوْطَاس داخلٌ فيها؟ أو أنَّ نهايته بريد أَوْطَاس بعد غَمْرَة؟

فلا يمكن استفادة ذلك من الروايات، فإنَّ تطبيق ذلك خارجًا يتطلَّبُ الرجوع إلى أهل الخبرة من المنطقة والسؤال منهم.[[179]](#footnote-179)

وترشد إلى ذلك صحيحة معاوية بن عمار عن عن أبي عبداﷲ 7 قال: «يجزئك إذا لم تعرف العَقِيق أن تسأل الناس والأعراب عن ذلك»...».[[180]](#footnote-180)

فظهر ممَّا مرَّ أنَّ آخره بريد أَوْطَاس على ما نصَّ عليه في صحيحة معاوية بن عمار المتقدِّمة.

وأمَّا ذات عِرْق، فقد ورد في روايتين أنَّ آخر العقيق ذات عِرْق، إحداهما رواية أبي بصير المتقدِّمة، والأخرى مُرْسَلَةُ الصدوق عن الصادق 7 قال: «وَقَّتَ رسولُ الله9 لِأَهْلِ العِرَاقِ العَقِيق، وأَوَّلُه المَسْلَخ، ووسطه غَمْرَة، وآخِرُهُ ذَاتُ عِرْقٍ، وأوَّله أفضل»، ولكن كلتا الروايتين لا يمكن الاعتماد عليهما.

أمَّا الأولى فقد مرَّ أنَّه لم تثبت صحتها، وأمَّا الثانية فلإرسالها.

نعم، ورد في موثَّقة عمار عن أبي الحسن 8 قوله: «كان أبي مجاورًا ههنا، فخرج يتلقَّى بعض هؤلاء، فلمَّا رجع فبلغ ذات عِرْق أَحْرَمَ من ذاتِ عِرْق بالحجِّ، ودخل وهو مُحْرِمٌ بالحجِّ».[[181]](#footnote-181)

إلَّا أنَّه لا يدلُّ على أنَّه آخر العقيق، وإنَّما يدلُّ على أنَّه من الميقات.[[182]](#footnote-182)

وإلى هنا ينتهي كلام سماحة المرجع الفيَّاض.

أقول: يُفْهَمُ من الجملة الأخيرة من كلام الشيخ المرجع الفيَّاض أنَّ ذاتَ عِرْق تعتبر أحد أمكنة الميقات، وتقع على العقيق، ولكن ليس في نهايته، وإنَّما في مكانٍ مَّا من العقيق!. في حين أثبت البحث الجغرافي أنَّ ذاتَ عِرْق لا تقع البتَّة على العقيق.

تعاليق موجزة على تعاليق المرجع الفيَّاض المبسوطة:

استدلَّ سماحة المرجع الفيَّاض وآخرون على توقيت ذات عِرْق بموثَّقة عمار التالية، قال: «سألت أبا الحسن7 عن المتمتِّع يجيء فيقضي متعة، ثمَّ تبدو له الحاجة فيخرج إلى المدينة، وإلى ذات عِرْق، أو إلى بعض المعادن؟، قال: يرجع إلى مكَّة بعُمْرَة، إلى أن قال: كان أبي مجاورًا ههنا، فخرج يتلقَّى بعض هؤلاء، فلمَّا رجع فبلغ ذاتَ عِرْق أَحْرَمَ من ذاتِ عِرْق بالحجِّ، ودخل وهو مُحْرِمٌ بالحجِّ».[[183]](#footnote-183)

ودعوى أنَّها تدلُّ على كون ذَاتِ عِرْق ميقات؛ مدفوعةٌ بموثَّقة سماعة، ونصُّها كما يلي:

«عن الإمام الصادق 7: مَنْ حَجَّ مُعْتَمِرًا في شوَّال، ومَنْ نِيَّتُهُ أَنْ يَعْتَمِرَ وَرَجَعَ إلى بِلَادِهِ؛ فلا بَأَسَ بِذَلِكَ.

وَإِنْ هُوَ أَقَامَ إلى الحَجِّ فَهُوَ مُتَمَتِّعٌ؛ لأنَّ أَشْهُرَ الحَجِّ: شوَّال، وذو القِعْدَة، وذُو الحِجَّة، فَمَنْ اعْتَمَرَ فِيهِنَّ فَأَقَامَ إلى الحَجِّ؛ فَهِيَ مُتْعَةٌ.

وَمَنْ رَجَعَ إلى بِلَادِهِ ولَمْ يُقِمْ إلى الحَجِّ؛ فَهِيَ عُمْرَةٌ.

وَإِنْ اعْتَمَرَ في شَهْرِ رَمَضَان، أَوْ قَبْلَهُ، فَأَقَامَ إلى الحَجِّ؛ فَلَيْسَ بِمُتَمَتِّعٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُجَاوِرٌ أَفْرَدَ العُمْرَةَ.

فَإِنْ هُوَ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَتَّعَ في أَشْهُرِ الحَجِّ بِالعُمْرَةِ إلى الحَجِّ؛ فَلْيَخْرُجْ مِنْهَا حَتَّى يُجَاوِزَ ذَاتَ عِرْقٍ، أَوْ يَتَجَاوَزَ عَسفَانَ مُتَمَتِّعًا بِعُمْرَتِهِ إلى الحَجِّ.

فَإِنْ هُوَ أَحَبَّ أَنْ يُفْرِدَ الحَجَّ؛ فَلْيَخْرُجْ إلى الجعرَانَة فَيُلَبِّي مِنْهَا».[[184]](#footnote-184)

أسبقية موثَّقة سماعة:

إذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ موثَّقة سماعة سبقت موثَّقة عمار زمنيًا؛ ما يعني أنَّ موثَّقة عمار جاءت بصدد بيان الإمام الكاظم 7 ما قام به الإمام الصادق 7 من فِعْلٍ في هذا المقام.

ومن أسبقية موثَّقة سماعة نستفيد التالي:

أنَّ مَنْ كان مُجَاوِرًا وأرادَ أَنْ يَحُجَّ فَلَدَيْهِ خِيَارَان: إمَّا أَنْ يَكُونَ حَجُّهُ إِفْرَادًا، أَوْ تَمَتُّعًا.

وعليه:

أ. فَإِنْ كانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَمَتَّعَ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يُجَاوِزَ ذَاتَ عِرْقٍ، أو عسفَانَ، ويُحْرِمَ مِنْ هُنَاكَ.

ب. وَإِنْ أرادَ الإفرادَ بِالحَجِّ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ إلى الجعرَانَةِ.





وعليه:

فَإِنَّ ذَاتَ عِرْق -الوارد ذكرها في موثَّقة سماعة- لا تدلُّ على أنَّها ميقاتٌ؛ بدليل قوله 7: «... يُجَاوِز ذَاتَ عِرْق، أو يَتَجَاوَز عسفَانَ...»، فلو قصد بكلامه 7 أنَّ ذَاتَ عِرْق ميقاتٌ لقال: (ذات عِرْق، أو الجحفة) باعتبار أنَّ عسفَانَ ليست ميقاتًا، وإنِّما تقع على طريق ميقات الجحفة، كما أنَّ ذَاتَ عِرْق تقع على طريق ميقات العَقِيق.

بمعنى أنَّه 7 لو قَصَدَ بكلامه أنَّ ذَاتَ عِرْق ميقاتٌ؛ فيعني أيضًا أنَّ عسفَانَ ميقات، في حين أنَّ الميقات هو الجحفة وليس عسفَانَ؛ ما يعني أنَّ ذَاتَ عِرْق -الوارد ذكرها في موثَّقة عمار- ليس فيها أيّ دلالةٍ على كَوْنِهَا ميقاتًا.

خلاصة الكلام:

بما أنَّ أَوْطَاس وذَاتَ عِرْق لا تقعان جغرافيًا على ضفاف وادي العقيق -كما أثبتنا ذلك-، وبما أنَّ موثَّقة عمار لم تدلّ على أنَّ ذاتَ عِرْق جزءٌ من الميقات؛ فمن الطبيعي أنَّهما -أعني أَوْطَاس، وذَاتَ عِرْق- غير داخلتين في حدود الميقات.

وعليه: تكون حدود ميقات العقيق، على النحو التالي:

1. بريد البعث تمثِّل بدايةَ ميقاتِ العقيق.

2. وقريةُ المَسْلَح داخلةٌ في الميقاتِ؛ باعتبارها تقع ما بين بريد البَعْث وغَمْرَة.

3. وأنَّ غَمْرَة تمثِّل نهايةَ ميقاتِ العقيق.

وبِغَضِّ النظر عن اندثار بريد البَعْثِ بالكامل حتَّى لم يَعُدْ له أثر -إذْ من المؤكّد أنَّه لو تمَّ التنقيب في المنطقة الواقع فيها؛ فحتمًا سيتمُّ العثور على أثرٍ لبِرْكَةِ وقَصْرِ عيسى بن علي سابقي الذكر-، وبِغَضِّ النظر كذلك عن وجود بقايا أثر لقريتي المَسْلَح وغَمْرَة، وبِغَضِّ النظر عن المشهور فقهيًا؛ فإنَّ حدود ميقات العقيق هي كما في صحيحة معاوية عن الإمام الصادق 7: «أَوَّلُ الْعَقِيقِ بَرِيدُ الْبَعْثِ، وَهُوَ دُونَ المَسْلَخِ بِسِتَّةِ  أَمْيَالٍ مِمَّا يَلِي الْعِرَاقَ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ غَمْرَةَ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ ميلاً: بَرِيدَانِ».

(بَرِيدُ البَعْثِ المَسْلَح غَمْرَة)

أقول: إنَّ كلام الإمام الصادق 7 في صحيحة معاوية بن عمار كان في غاية الدقَّة من ناحيتين:

الأولى: أنَّ تحديده لبداية ميقات العقيق ببريد البعث كان دقيقًا جدًّا؛ لأنَّها تقع في أوَّلِ بَطْنِ العقيق من جهة العراق.

الثانية: أنَّ تحديده المسافة بين كلٍّ من بريد البعث والمَسْلَح، والبالغة (ستة أميال = 12كم تقريبًا)، كان دقيقًا؛ فقد قمنا بقياس المسافة فوجدنا أنّها مطابقة لما قاله الإمام الصادق7.

وكذلك المسافة بين بريد البعث وغَمْرَة، والبالغة (24ميلاً = 48كم)، فهي مطابقة أيضًا لما جاء في الرواية الشريفة.

وفي الختام لنا ملحوظة:

لا أرى -والله أعلم- وجهًا للقول المشهور أَنَّ لميقاتِ العَقِيقِ ثلاثةُ أَمْكِنَةٍ؛ فَكِلتا الروايتين (صحيحة معاوية، أو معتبرة أبي بصير) لا تشيران لمكانٍ مُعَيَّنٍ بِعَيْنِهِ.

نعم، جاء في الروايتين كلمتا (أوَّل، وآخر)، والمراد منهما هنا هو بداية ونهاية حدود الميقات، وليس الأمكنة الثلاثة بعينها.

والأصحُّ -فيما أرى- أن يقال: إنَّ ميقات العقيق هو المنطقة المحصورة بين بَرِيدِ البَعْثِ وغَمْرَة، دون تحديدٍ لمنطقةٍ معيَّنَةٍ بينهما؛ لأنَّ القُرَى الواقعة بينهما تزدهر في حقبةٍ زمنيةٍ مَّا، وتندثر في أخرى، والله أعلم.

\* \* \*



خريطة جغرافية تظهر عليها المواقع التالية: (بَرِيدُ البَعْث، والمَسْلَح، وغَمْرَة، وأَوْطَاس، وذَاتُ عِرْق، ومجرى وادي العَقِيق)



صورة فضائية لمواقع: (بَرِيدُ البَعْث، والمَسْلَح، وغَمْرَة، وأَوْطَاس، وذَاتُ عِرْق، وعسفَان، والجحفة).

والحمد لله ربّ العالمين.

مراجع البحث

1. القرآن الكريم.

2. لسان العرب، لابن منظور.

3. المعجم الوسيط.

4. تاج العروس، للزبيدي.

5. مناسك الحربي، تحقيق حمد الجاسر، مؤسسة اليمامة، الرياض.

6. وسائل الشيعة، الحر العاملي، تحقيق مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث.

7. سلسلة الينابيع الفقهية، علي أصغر مرواريد، دار التراث، لبنان.

8. موسوعة الفقه الإسلامي، تحقيق مؤسَّسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، إيران.

9. الموسوعة الفقهية الكويتية.

10. العروة الوثقى، السيد اليزدي، الدار الإسلامية، بيروت.

11. تعاليق مبسوطة، الشيخ الفيَّاض.

12. مبادئ علم الفقه، الشيخ عبدالهادي الفضلي، مركز الغدير للدراسات، بيروت.

13. هداية الناسكين، الشيخ عبدالهادي الفضلي، دارة الغريَّين للدراسات والنشر، بيروت.

14. الفتاوى الواضحة، الشهيد الصدر.

15. كشف الغطاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي، خراسان.

16. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، للشهيد الأول، انتشارات دار التفسير، قم.

17. معجم معالم المناسك، حسين المصطفى، دار المؤرِّخ العربي.

18. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعة جي، دار النفائس، بيروت، لبنان.

19. معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله، دار أطياف، القطيف.

20. معجم معالم الحجاز، عاتق البلادي، دار مكة للنشر، 1401هـ.

21. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي، دار مكة.

22. معجم البلدان، ياقوت الحموي.

23. المشترك وضعًا والمفترق صقعًا، ياقوت الحموي.

24. معجم ما استعجم، البكري.

25. معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، سعد بن جنيدل، من إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض 1419هـ.

26. المجاز بين اليمامة والحجاز، عبدالله بن خميس، مطابع الفرزدق، الرياض.

27. نظام البريد في الدولة العباسية، طلال جميل رفاعي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.

28. الأعلاق النفيسة، ابن رسته، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

29. كتاب البلدان، اليعقوبي، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

30. كتاب الخراج، ابن قدامة، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

31. تاريخ الطبري.

32. درب زبيدة، سعد الراشد، دار الوطن للنشر، الرياض.

33. المسالك والممالك، ابن خرداذبة، مطبعة بريل، ليدن، سنة 1889م.

34. بلاد العرب، للأصفهاني، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض.

35. صفة جزيرة العرب، الهمداني، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1410هـ.

36. دليل هواة الرحلات البرية، من إصدارات هيأة المساحة السعودية، الرياض.

37. تيسير العُلَّام شرح عمدة الأحكام، عبدالله آل بسام، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط10، 2006م.

38. الموقع الرسمي لوكالة الأنباء السعودية.

39. خلاصة أصول البحث، الباحث، (مخطوط).

40. لقاءات خاصة مع أهل المنطقة.

\* \* \*

شخصيات من الحرمين الشريفين(46)  
أُمُّ هانئ (1)

محمد سليمان.[[185]](#footnote-185)

سيدة قرشية هاشمية ، فتحت عينيها في مكة ، في بيت يُعدُّ من أرقى بيوت قريش ، وفي بيئة علم وشعر وأدب وشجاعة وضيافة ، فتشبعت بقيم هذا البيت ، وأعراف هذه البيئة وآدابها حتى غدت امرأةً جليلةَ القدر ، قويّةً في شخصيتها ، حكيمةً في مواقفها ، رشيدةً في آرائها .. ثمَّ مسلمة صحابية فاضلة فمهاجرة ، لها مواقف خالدة ، حظيت بمشهور الأخبار أن يكون بيتها موضع انطلاقة معجزة عظيمة ، تحدّث عنها التنزيل العزيز في الآية الأولى من سورة الإسراء :

  (سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَا ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ).

لتخلُد بخلودها، وتُذكر كلما قُرئت السورة مع التدبّر والتأمل في الآية المذكورة، فلقد ارتبط اسم هذه السيدة وبيتها بهذه المعجزة؛ معجزة الإسراء، وهو ما عليه مصادر التاريخ والتفسير والحديث من أنَّ رسول الله9 أُسري به من بيتها على أصحّ الأقوال ، وحظيت أيضاً باحترام وتقدير رسول الله9

فمَن هي هذه السيدة الصالحة التي اختصّت بذلك من دون النساء الصالحات والصحابيّات الجليلات على كثرتهنَّ ؟!

\* \* \*

إنّـَها أمُّ هانئ

ولدت في مكة المكرمة قبل البعثة النبويّة الشريفة، ولعلّه بأربع وثلاثين سنة أي 576 م لأبوين هاشميين؛ فأبوها أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي،... يقول ابن هشام:

فرسول الله9 أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأُمّه.

وبلا أدنى ريب أنَّ هذا النسب وذاك الحسب في أشرفيته وأفضليته يحظى بهما أبوطالب وأولاده أيضاً، ويكفيه فخراً أنّه رضوان الله عليه عمُّ النبيِّ، عمُّ رسول الله9 وكفيله وحاميه والمدافع عنه وعن رسالة السماء التي أُنيطت به9 بشيراً ونذيراً، تبليغاً ورحمةً وكافةً للناس، فلطالما ذبَّ عنه أعداءه ومناوئيه؛ لكونه كان سيدًا شريفًا ذا مكانة ووجاهة في قومه قريش، فهو من كبار ساداتهم وأبرز عظمائهم، فكان مطاعًا مهيبًا، منيعًا عزيزًا فيهم، وفوق هذا لإيمانه بأحقيّة رسول الله9 ورسالته المباركة، وأنَّه لم يأتِ من السماء إلّا بالحقّ والحقّ وحده وبالهدى.

إذن فقد كان السند الواعي والحقيقي لرسول الله9 من كبرياء قريش؛ من بطشها وأذاها، حتى ترك رحيلُه إلى ربِّه في السنة العاشرة للبعثة النبويّة أي قبل ثلاث سنوات من الهجرة رسولَ الله9 يتحمل ما تنوء بحمله الجبال! خاصةً وقد أعقب رحيلَ عمّه رحيلُ شريكة حياته ونصيرته أُمّ المؤمنين خديجة الكبرى3، فما كاد9 يخفّ حزنه على عمّه رضوان الله عليه حتى فجع بموتها فسمّي عام الحزن!

وأما أمُّها فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، فهي المكيّة، الهاشميّة أباً وأُمًّا، وإن تعوّد بنو هاشم أن يصهروا إلى أُسرٍ غيرهم، وكلُّ أولاد أبي  طالب منها، ويبدو أنَّه لم يتزوج غيرها. أسلمت فكانت من السابقات إلى الإسلام، أسلمت فكانت من المهاجرات الأول إلى المدينة المنورة، وهي بدريّة أيضاً... وكانت محلَّ تقدير واعتزاز ومحبّة عند رسول الله9 وكيف لا تحظى بهذه المنزلة، وهو القائل عنها: «أُمّي بعد أُمّي التي ولدتني»؟!

مثمّناً رعايتها له، شاكراً معروفها معه طيلة سبعة عشر عاماً، فقد كانت تُفضّله على أولادها الأربعة أيما تفضيل، فتركت في حياته آثاراً طيبة، جعلته يُلبسها قميصه بعد وفاتها، ويضطجع معها في قبرها حتى التفت إليه الصحابة، وقالوا له:

ما أريناك يا رسول الله صنعت هذا!

فقال9: «إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، وإنما ألبستها قميصـي؛ لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها؛ ليُهوّن عليها»!

اختلف في اسمها بين خمسة أسماء، فاختة وهو الأشهر، وهند كما قيل، وحجّة من قال: إنَّ اسمها هند، قول زوجها هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم حين هرب إلى نجران، وأسلمت أُمُّ هانئ زوجته، فبلغه إسلامها، فقال (الطويل):

أشاقتك هندٌ أم أتاك سؤالها

كذاك النوى أسبابُها وانتقالها

أو : وانفتالها.

أما كنيتها أمّ هانئ؛ وهاني ابنها الأكبر، فتكاد تكون موضع اتفاق بينهم؛ وقد اشتهرت وعرفت بها. ولم ينادِها رسول الله9 إلّا بها.

أما أخوتها فأكبرهم طالب وبه كنّي أبوه، ولم يرد له ذكر إلّا أنه أخرجه مشـركو مكة كرهاً إلى وقعة بدر الكبرى، وفي خبر أنَّه سأل الله تعالى أن يكون مغلوباً لا غالباً... ولما انتهت المعركة بانتصار المسلمين وهزيمة المشركين، لم يعثر عليه لا أسيراً ولا قتيلاً، فلعلّه، وكما في بعض الأخبار، ترك المعركة وعاد إلى مكة مع من عاد، وبقي فيها قليلاً، وتوفي إما في مكة، أو في طريقه إلى الشام أواليمن أو غرق في البحر، ولم يعقّب فانقطع نسله.

عقيل، وكنيته أبو يزيد، أعلم قريش بالأنساب وبأيام العرب، أُخرج كرهاً من قبل مشركي مكة إلى بدر الكبرى، وأُخذ أسيراً وأُطلق بعد أن دفع العباس فديته، وأسلم. وقيل: إنه أسلم قبل صلح الحديبية، توفي سنة ستين هجرية.

جعفر، وكنيته أبو عبدالله، ذو الهجرتين، وذو الجناحين، وهو المعروف بأنه الطيار ذو الجناحين، يطير بهما في الجنة حيث يشاء؛ وذلك بعد استشهاده في مؤتة سنة 8 هجرية.

والإمام عليٌّ7، ابن عمِّ رسول الله9 وربيبه وأخوه، وأول من آمن به، ووصيّه، وصهره، زوج ابنته سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء3، وأبو الحسنين8، وحظي بأنَّه الإيمان كلّه، مقابل الشرك كلّه، وهو واحد من خمسة أهل الكساء:؛ نزلت فيهم آياتا التطهير والمباهلة، وآية المودّة... ولرسول الله9 فيه أقوال؛ منها: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه لا نبيّ بعدي»... «من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه...»! وأول أئمة المسلمين من أهل البيت:، ورابع الخلفاء بعد رحيل رسول الله9 إلى ربِّه... قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين حتى أعلنها صريحةً مدويّةً: «فزتُ وربِّ الكعبة»، حين استشهد في محرابه بالكوفة سنة أربعين هجرية ... فولد7 في محراب واستشهد في محراب، فكانت حياته بين محرابين إيماناً واعياً، وجهاداً متواصلاً، وعلماً نافعاً، وإماماً للمتقين وسيداً للعارفين...!

ومما لا شك فيه أنَّ الأخيرين؛ أي كلاً من الإمام عليٍّ7 وجعفر رضوان الله عليه يُعدّان من أبرز أسرة أبي طالب بن عبد المطلب.

ويٌقال: إنَّ لها أخاً اسمه طليق، وطليق هذا مختلف في نسبته لأبي طالب، قيل: أمّه أمة لبني مخزوم غشيها أبوطالب فحملته، فادعاه، وادعاه أيضاً رجل آخر من حضرموت، وأرادوا بيعه من الحضرمي، وقيل: أمّه علة وهي أمّ الحويرث بن أبي ذباب بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة. درج ومات صغيرًا، وليس له عقب.

أما شقيقاتها:

فلأمِّ هانئ شقيقتان: جُمانة، وأسماء. وفي قول: أعقب أبو طالب إضافةً إلى أمِّ هاني (هند أو فاختة) جُمانةَ وأمَّ طالب (رَيطة).

ولربما كانت ـ والكلام للشيخ الكرباسي ـ ولادة فاطمة بنت أسد لبناتها على شاكلة أبنائها، كلّ عشر سنوات، وذلك بولادة كلّ منهن بعد كلّ واحد منهم بخمس سنوات، فتكون ولادة أُمّ هانئ عام 48 قبل الهجرة، وجُمانة عام 38 قبل الهجرة، وريطة عام 28 قبل الهجرة، وأسماء إن ثبت أنها ابنته عام 18 قبل الهجرة.

وفي طبقات ابن سعد: وذكر أنه كان لأبي طالب من البنات أمّ هانئ وجمانة وريطة، ولعلّ ريطة هي أمُّ طالب كما سمّاها محمد بن عمر في كتاب طعم النبيِّ9، أنه أطعم أمَّ طالب بنت أبي طالب في خيبر أربعين وسقًا. وأمُّ ولد أبي طالب كلّهم الرجال والنساء فاطمة بنت أسد. ما خلا طريق بن أبي طالب.

جُمانة بنت أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية القرشية بلا خلاف بينهم، وأمُّها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ولدتها في مكة سنة 38 قبل الهجرة النبوية المباركة؛ وهي الابنة الثانية لأبي طالب بعد أمّ هانئ، تزوجها ابن عمّها أبوسفيان المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وكان أخاً لرسول الله9 من الرضاعة، أرضعته حليمة أياماً وكان له ترباً... فأنجبت له جعفر بن أبي سفيان، وعبد الله بن أبي سفيان، وعاتكة. وفي قول: إنَّ والدة عبد الله بن أبي سفيان هي فغمة بنت همّام بن الأفقم.

أسلمت جُمانة وهاجرت، وأطعمها رسول الله9 من خيبر ثلاثين وسقًا. وقد ذكرها ابن إسحاق فيمن قسم له النبيّ9 من خيبر ثلاثين وسقاً.

قال ابن عبد البرّ: ذكر ابن إسحاق أنَّ النبيَّ9 أعطاها من خيبر ثلاثين وسقًا، ولم يكن ليعطيها إلّا وهي مسلمة. فيما زوجها لم يُسلم، وظلَّ مدافعاً عن عبادة الأصنام، حتى مكث عشرين سنة مناوئًا لرسول الله9 محارباً له؛ لم يتخلّف عن أي وقعة لقتال المسلمين حتى فتح مكة أو قبيلها، فأسلم واعتذر إلى رسول الله9 فحسن إسلامه وثبت في حنين، وتوفي في المدينة سنة 26 هجرية.

وفاتها: عدد ممن ترجم لحياتها لم يذكر وفاتها، فيما آخرون ذكروا، ولكنهم اختلفوا في وقتها، فإما في حياة النبيِّ9 وهذا يتعارض مع ما إذا صحّ من أنَّ بعض التابعين: كعطاء، ومجاهد، وابن كثير، وغيرهم يخرجون إلى التنعيم، على مشارف مكة المكرمة من خيمتها للاعتمار، وهو ما أخرجه الفاكهي في كتاب مكة من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، قال: أدركت عطاءً ومجاهداً وابن كثير وأناساً؛ إذا كان ليلة سبع وعشرين من رمضان، خرجوا في التنعيم واعتمروا من خيمة جمانة وهي بنت أبي  طالب.

خاصةً إذا عرفنا أنَّ عطاءً ولد سنة سبع وعشرين، وقد سُئِل عن موعد مولده قال: لعامين خَلَوا من خلافة عثمان، وتوفي سنة أربع عشرة ومائة و قيل: مات سنة خمس عشرة ومائة. وأنَّ مجاهداً ولد سنة إحدى وعشـرين وتوفي سنة 104هجرية، وأما ابن كثير، فقد ولد سنة 45 هجرية وتوفي سنة 120هجرية. فمعناه أنَّها عاشت بعد رسول​الله9 ولم تتوفَّ في حياته9. وإما أنَّها تُوفيت بعد عام 40 أو60هجرية.

وسيأتينا آخر المقالة عما قيل من دورٍ لها في واقعة الطف؛ كربلاء الإمام الحسين7. فإن صحَّ فوفاتها بعد 61 هجرية.[[186]](#footnote-186)

زواج أُمِّ هانئ :

كادت أن تكون زوجةً لرسول الله9 عبر فرصتين أو ثلاث فرص، فتكون أُمًّا للمؤمنين، وذلك حين خطبها9 مرّتين وفي الثالثة عرضت نفسها عليه9 لولا آية الهجرة ،كما ذكرت بعض مصادر التاريخ.

الأولى: خطبها قبل البعثة النبوية المباركة من عمِّه أبي طالب، فاعتذر كما في كتاب المحبر؛ وتحت عنوان: «وممن لم يتزوجها أمّ هانئ، وهي هند بنت أبي طالب»، وكان9 خطبها في الجاهلية إلى أبي طالب، وخطبها هبيرة بن أبي وهب بن [عمرو بن] عائذ بن عمران بن مخزوم. فزوج هبيرة. فقال له9: «يا عم! أزوجتَ هبيرةَ وتركتَني؟» فقال: «يا ابن أخي! إنا قد صاهرنا إليهم، والكريم يكافئ الكريم.[[187]](#footnote-187)

وكما عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: خطب النبيُّ9 إلى أبي طالب ابنته أُمَّ هانئ في الجاهلية، وخطبها هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. فتزوّجها هبيرة.

فقال النبيُّ9: يا عم زوّجتَ هبيرةَ وتركتني؟ فقال: يا ابن أخي، إنّا قد صاهرنا إليهم، والكريم يُكافئ الكريم![[188]](#footnote-188)

وهكذا ذكره الحافظ في الإصابة 8 : 317 بالسند نفسه. وغيرها من المصادر.

وقد ناقش بعضهم في السند المذكور، فعدَّه سنداً تالفاً؛ (هشام متروك، وأبوه متهم بالكذب وخاصة فيما يرويه عن أبي صالح، وأبو صالح لم يرَ ابن عباس...).[[189]](#footnote-189)

ولم أعثر على هذا الخبر فيما تيسّر لي من مصادر شيعيّة.

إذن تمَّ زواجها من هبيرة بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .. ولم تتزوج غيره حتى توفيت.

الثانية: وحتى لما خطبها رسول الله9 مرّةً ثانية بعد أن انفصلت عن زوجها بسبب كفره وإسلامها، ولكن هذه الخطبة انتهت كما هو معنى كلامها؛ باعتذارها بوجود أولادها، وقد لا تستطيع التوفيق بين حقّهم وحقِّ الزوج، وعذره9 إياها.

فعن كتاب المحبر: فولدت لهبيرة هانئاً ويوسف وجعدة. ثم أسلمت، ففرق الإسلام بينهما. فلما جاء الإسلام، خطبها النبيُّ9 إلى نفسها، فقالت: إن كنتُ لأحبّك في الجاهلية، فكيف في الإسلام! ولكني امرأة مصبية، وأكره أن يؤذوك! فقال9: «خير نساء ركبن المطايا نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»!

وكذا قال ابن سعد: ثُمَّ أَسْلَمَتْ، فَفَرَّقَ الإِسْلامُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ هُبَيْرَةَ، فَخَطَبَهَا رَسُولُ  اللهِ9 إِلَى نَفْسِهَا. فَقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لأُحِبُّكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ فِي الإِسْلامِ؟ وَلَكِنِّي امرأة مُصبية (أي: ذات صبية) وَأَكْرَهُ أَنْ يُؤْذُوكَ! فَقَالَ رَسُولُ الله9: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْمطَايَا نِسَاءُ قُرَيْشٍ. أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»!

وفي رواية أخرى، أنها قالت: يا رسول الله9، لأنت أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري، وحقُّ الزوج عظيم، فأخشى إن أقبلتُ على زوجي أن أضيع بعض شأني وولدي، وإن أقبلتُ على ولدي أن أضيع حقَّ الزوج! فقال رسول الله9: «إنَّ خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على بعل في ذات يده». قيل: إنَّ أمَّ هانئ لما بانت عن هبيرة بإسلامها، خطبها رسول الله9 فقالت: إني امرأة مصبية. فسكت عنها.[[190]](#footnote-190)

وفي الكافي: عن أبي بصير، عن أحدهما8، قال: خطب النبيُّ9 أمَّ هاني بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول الله، إني مصابة في حجري أيتام، ولا يصلح لك إلّا امرأة فارغة! فقال رسول الله9: «ما ركب الإبل مثل نساء قريش؛ أحناه على ولد، ولا أرعى على زوج في ذات يديه»!

أقول : كلمتها (في حجري أيتام) ولا يوصف الطفل بأنه يتيم إلّا لأنه فقد أباه قبل البلوغ، فيما الذي فرّق بينها وبين هبيرة هو إسلامها لا وفاة زوجها هبيرة الذي مات في نجران بعد أن فرَّ.[[191]](#footnote-191)

ومدحُ نساء قريش، الوارد في هذه الأخبار، تكرر أيضاً في عدّة روايات أُخر عن رسول الله9 بعيداً عن أُمّ هانئ، منها: عدة من أصحابنا، عن الحارث الأعور قال: قال أمير المؤمنين7: قال رسول الله9: «خير نسائكم نساء قريش، ألطفهن بأزواجهن وأرحمهن بأولادهن، المجون لزوجها الحصان لغيره، قلنا: وما المجون؟ قال: التي لا تمنع».

عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله7، قال: قال رسول الله9: «خير نساء ركبن الرحال نساء قريش؛ أحناه على ولد وخيرهن لزوج»!

الحانية أي المشفقة على زوجها وأولادها، قال الجزري: الحانية التي تقيم على ولدها لا تتزوج شفقةً وعطفاً ومنه الحديث في نساء قريش: أحناه على ولد وأرعاه على زوج! و(أحناه) في النهاية: الحانية التي تقيم على ولدها، ولا تتزوج شفقةً وعطفاً، ومنه الحديث في نساء القريش: «أحناه على ولد وأرعاه على زوج». إنما وحد الضمير في أمثاله ذهاباً إلى المعنى تقديره: أحنى من وجد أو خلق أو من هناك. وهو كثير في العربية ومن أفصح الكلام.

المجون: الصلب الغليظ، ومن لا يبالي قولاً وفعلاً.[[192]](#footnote-192)

وفي الثالثة: عرضت نفسها عليه9 في وقت لم يجز له نكاحها؛ لعدم كونها من المهاجرات، كما في الآية: (ياأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِيۤ آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ ا للاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ).[[193]](#footnote-193)

فأحلّ الله له9 بنات عمّه وعمّاته وخاله وخالاته، الـمهاجرات معه منهنّ دون من لم يهاجر منهنّ معه.

ففي خبر: ... فلما أدرك بنوها، عرضت نفسها عليه9 فقال: «أما الآن فلا؛ لأنَّ الله أنزل عليه: (... ٱللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) ولم تكن من المهاجرات».[[194]](#footnote-194)

أولادها :

اختلف في عدد من ولدتهم أمُّ هانئ بنت أبي طالب بين ثلاثة وأربعة بنين: هانئ وبه كانت تُكنى، وعمراً وجعدة ويوسف. ولدت أربعة بنين: جعدة وعمرًا وهانئًا ويوسف، فيما يقول صاحب المحبر: فولدت لهبيرة هانئاً ويوسف وجعدة. وفي قول: أربعة بنين أحدهم جعدة.

فيما ذكر كلٌّ من ابن منده وأبي نعيم: جعدة بن هبيرة بن أبي وهب ابن بنت أُمِّ هانئ. وهذا القول يردّه ابن الأثير قائلاً: أما قول ابن منده، وأبي نعيم: إنَّ جعدة هو ابن بنت أمّ هانئ، هذا وهم منهما، وليس بابن ابنتها، إنما هو ابنها لا غير، على أنَّ أبا نعيم يتبع ابن منده كثيرًا في أوهامه، والله أعلم.

أقول: ولأنَّ جعدة كان أبرز أولادها، نقف عنده قليلاً، فهو ابن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي. وهو القائل من الطويل:

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً

و من هاشمٍ أُمّي لخير قبيل

فمن ذا الذي يَبأى ( يبهى) عليَّ بخاله

كخالي عليٍّ ذي الندى وعقيل؟!

يبأى : يفخر.

صحبته لرسول الله9

اختلف في صحبته بين قائلٍ بها، وبين قائلٍ بالرؤية، وثالث قال بأنه من التابعين، وهذه بعض أقوالهم: ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول9، فقال: جعدة بن هبيرة المخزومي. يُقال: إنه ولد على عهد النبيِّ9، وليست له صحبة، نزل الكوفة.

في الإصابة: ولد على عهد النبيّ9، له رؤية بلا نزاع، فإنَّ أباه قتل كافراً بعد الفتح. وقال ابن منده مختلف في صحبته، وقال البخاري: له صحبة. وفي قول آخر ذكره البخاري وأبو حاتم وابن حبان في التابعين. وقال ابن حبان: لا أعلم لصحبته شيئاً صحيحاً اعتمد عليه.وقال البغوي: ولد على عهد النبيِّ9 وليست له صحبة. وفي تهذيب التهذيب: جعدة بن هبيرة له صحبة، و ذكره البغوي في الصحابة لكن قال: يقال إنه ولد على عهد النبيّ9 وليست له صحبة، وعن أبي داود لم يسمع من النبيّ9 شيئاً.

وأما ابن أبي الحديد فيقول عنه:.. وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله9 يوم الفتح مع أُمّه أمّ هانئ بنت أبي طالب، وهرب أبو هبيرة بن أبي وهب ذلك اليوم هو وعبد الله بن الزبعرى إلى نجران.

وقال الحاكم في تاريخه يقال: إنَّ له رؤية. فيما قال الآجري: قلت لأبي داود: وجعدة بن هبيرة له رؤية؟ قال: لم يسمع من النبيّ9 شيئاً - قلت - أما كونه له رؤية فحقٌّ؛ لأنه ولد في عهد النبيِّ9، وهو ابن بنت عمّه، وخصوصية أمّ هانئ بالنبيّ9 شهيرة. وقال العجلي: مدني تابعي ثقة... وذكره العسكري فيمن روى عن النبيّ9 مرسلاً ولم يلقه.

أما عن منزلته :

عند الإمام عليٍّ7 وأنَّه من أصحابه، فهو أمر معروف لم يُختلف عليه، فقد روى الكشي في ترجمة محمد بن أبي بكر بسنده عن الصادق7 قال: «كان مع أميرالمؤمنين7 خمسة نفر، وكانت ثلاث عشرة قبيلة مع معاوية، وعدَّ من الخمسة جعدة بن هبيرة المخزومي. قال: وكان أمير المؤمنين7 خاله، وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنما لك هذه الشدّة في الحرب من قبل خالك، فقال له جعدة: لو كان خالك مثل خالي لنسيت أباك»!

والخمسة هم كما في رواية عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله7 يقول:«.. فأما الخمسة فمحمد بن أبي بكر أتته النجابة من قبل أمّه أسماء بنت عميس، وكان معه هشام بن عتبة بن أبي وقاص المرقال، وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، ومحمد بن أبي حذيفة ابن عتبة بن ربيعة والخامس سلف أمير المؤمنين7 ابن أبي العاص بن الربيعة».

وقال الشيخ الطوسي في رجاله:.. في أصحاب عليٍّ7 جعدة بن هبيرة المخزومي ابن أخت أمير المؤمنين7، أمّه أمُّ هانئ بنت أبي طالب.

وإضافةً إلى كونه كان فقيهاً، كان شريفاً، كان شجاعاً، كان شاعراً، نزل عليٌّ7 بالكوفة على جعدة، وأنه ولّاه خراسان. ففي أسد الغابة، قال هشام الكلبي: جعدة بن هبيرة ولي خراسان لعليٍّ، أما ابن أبي الحديد فيقول عنه: وأما جعدة بن هبيرة، فهو ابن أخت أمير المؤمنين7، أمّه أمُّ هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وأبوه هبيرة بن أبي وهب... وكان جعدة فارساً شجاعاً، فقيهاً، وولى خراسان لأميرالمؤمنين7... نصّ على عدالته ووثاقته حينما أمره الإمام7 بالصلاة فجر اليوم الذي ضربه ابن ملجم، بعد أن قالت له أمّ كلثوم: مر جعدة فليصل بالناس، قال: نعم مروا جعدة فليصل بالناس، وأنَّه صلّى الغداة بالناس بعدما أُصيب الإمام7.

يقول الشيخ المامقاني عنه: «... ومن لاحظ شدّته في حرب صفّين مع خاله7، ومقاماته مع معاوية بعد عام الجماعة، يعرف قوّة إيمانه، ونصرته لأهل البيت:، فلا أقل من حسنه، بل يمكن إثبات وثاقته وعدالته من توليته أمير المؤمنين7 إيّاه خراسان قبل حرب صفّين، و شدّة حبّه7 له؛ لعدم تعقّل توليته7 غير العدل الثقة الأمين على رقاب الناس وأموالهم، وأعراضهم وأحكامهم، وقد حظى عنده7 بعد صفّين لمّا رأى من بسالته وثباته، وشدّة شكيمته... إلى أن يقول: حصيلة البحث لم أجد مغمزاً في المترجم، ومواقفه المشرفة تحت راية خاله العظيم صلوات الله و سلامه عليه، وأقواله المخرسة لأعدائه، وتفانيه في الولاء لإمام زمانه، و حبّ أميرالمؤمنين7 له، وتقديم أميرالمؤمنين7 عند ما ضربه الملعون ابن ملجم لإكمال الصلاة، و شدّة اهتمامه7 به... كلّ ذلك يجعله فوق مرتبة الوثاقة، فالحكم بوثاقته وجلالته هو المتعين».

معجم رجال الحديث: جعدة بن هبيرة المخزومي، يقال: إنه ولد في عهد النبيّ9، وليست له صحبة، نزل الكوفة، من أصحاب رسول الله9، رجال الشيخ؛ وذكره في أصحاب علي7 قائلاً: ابن أخت أمير المؤمنين7، أمّه أمّ هاني بنت أبي طالب7. وروى الكشي في ترجمة محمد بن أبي بكر بسند قوي، عن عبد الله بن سنان، قال: «سمعت أبا عبد الله7 يقول: كان مع أمير المؤمنين7 من قريش خمسة نفر... وكان معه جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان أمير المؤمنين7 خاله، وهو الذي قال له عتبة بن أبي سفيان: إنما لك هذه الشدة في الحرب من قبل خالك. فقال له جعدة: لو كان لك خال مثل خالي لنسيت أباك».

ودارت مناظرة في وقعة صفين بين الاثنين، عتبة بن أبي سفيان وجعدة بن هبيرة، لا تخلو من الصراحة والمفاخرة، وفيها من الحقّ والباطل شيء نافع نوجزها، وقد ابتدأها نصر بن مزاحم يصف جعدة قائلاً: وكان لجعدة في قريش شرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحبّ الناس إلى عليٍّ7. ثمَّ يقول: فغدا عليه عتبة فنادى: أيا جعدة، أيا جعدة! فاستأذن عليًّا7 في الخروج إليه، فإذن له، واجتمع الناس لكلامهما. فقال عتبة: يا جعدة، إنه والله ما أخرجك علينا إلّا حبُّ خالك... وإنا والله ما نزعم أنَّ معاوية أحقّ بالخلافة من علىٍّ لولا أمره في عثمان. ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به فاعفوا لنا عنها، فوالله ما بالشام رجل به طرق، إلّا وهو أجد من معاوية في القتال، ولا بالعراق من له مثل جد علّي في الحرب، ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم، وما أقبح بعليّ أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس، حتى إذا أصاب سلطاناً أفنى العرب.

فقال جعدة: أما حبّي لخالي، فوالله أن لو كان لك خال مثله لنسيتَ أباك، وأما فضل عليٍّ7 على معاوية، فهذا ما لا يختلف فيه اثنان. وأما رضاكم اليوم بالشام، فقد رضيتم بها أمس فلم نقبل. وأما قولك إنه ليس بالشام من رجل إلّا وهو أجد من معاوية، وليس بالعراق لرجل مثل جد عليّ، فهكذا ينبغي أن يكون، مضى بعليّ يقينه، وقصر بمعاوية شكّه، وقصد أهل الحقّ خير من جهد أهل الباطل. وأما قولك نحن أطوع لمعاوية منكم لعليّ7، فوالله ما نسأله إن سكت، ولا نرد عليه إن قال. وأما قتل العرب فإنّ الله كتب القتل والقتال، فمن قتله الحقّ فإلى الله.

فغضب عتبة وفحش على جعدة، فلم يجبه وأعرض عنه وانصـرفا جميعاً مغضبين... وتهيأ جعدة بما استطاع فالتقيا، وصبر القوم جميعاً، وباشر جعدة يومئذ القتال بنفسه، وجزع عتبة، فأسلم خيله وأسرع هارباً إلى معاوية، فقال له: فضحك جعدة، وهزمتك (ويهزمك) لا تغسل رأسك منها أبداً. قال عتبة: لا والله لا أعود إلى مثلها أبداً، ولقد أعذرت، وما كان على أصحابي من عتب ولكن الله أبى أن يديلنا منهم فما أصنع! فحظى بها جعدة عند عليٍّ7.

فقال النجاشي: فيما كان من شتم عتبة لجعدة شعراً (ثلاثة عشر بيتاً)، منها:

إنَّ شتمَ الكريم يا عتبَ خطبٌ

فاعلمنه من الخطوب عظيمُ

أمُّه أمُّ هانئ وأبوه

من معد ومن لؤي صميم ...

وقال الشنيٌّ في ذلك لعتبة في (اثني عشر بيتاً) كان منها :

ما زلــتَ تنظر في عِطفيك أُبَّهةً

لا يرفعُ الطرفَ منك التّيهُ والصّلفُ...

حتى لقيتَ ابن مخزوم وأيّ فتًى

أحيا مآثرَ آباءٍ له سلفوا.[[195]](#footnote-195)

الإسراء :

قدّمتُ ذكر الإسراء المبارك على ذكر إسلامها؛ لأنَّه يمكن أن يكون خير دليل على سابقيتها لاعتناق الإسلام، وأَنَّه وقع في مكة قبل الهجرة النبويّة إلى يثرب؛ المدينة المنوّرة بنور رسول الله9 حين حلَّ بها!

وقد ذكرت جميع المصادر هذه الحادثة، وأغلبها ذهب إلى أنَّ رسول الله9 أَسرى اللهُ عزَّ وجلَّ به من بيت أُمِّ هانئ، فإن صحَّ هذا، فقد دلّ على سموِّ هذه المرأة الصالحة ومنزلتها الكبيرة في السماء وفي عين النبيِّ9 وبين الناس، ولا غرابة أن تُكرمها السماء بأن تكون انطلاقة هذه المعجزة الخالدة من بيتها؛ بل كما كانت دارها منطلقاً لرحلته كانت مستقراً لعودته9 حتى تكون أول من يسمع حديث الإسراء والمعراج من الفمِّ الطاهر لرسول الله9 ولتُسجل لها منقبة تكشف عن عظيم ثقته9 بها، وجلالة مكانتها عنده، وتضاف إلى ما تحمله من مناقب جليلة وذات طيبة ونسب رفيع وأسرة زكية، فهي ابنة سيد البطحاء وابنة عمِّ سيد البشـر وأخت سيد الأوصياء..!

فآية الإسراء: (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ).[[196]](#footnote-196) آية مكيّة في سورة مكيّة، تُخبرنا بأعظم حدث حيث كمال قدرته عزَّ وجلَّ وجلالة حكمته، تجلّتا في انبثاق إسراء أعزّ خلقه وأفضلهم: (مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا) مقدمةً لعروجه9 إلى ما فوق السموات كما في سورة النجم، فكانت له9 منقبةً عظيمةً ومعجزةً مباركةً خالدةً.

وأهمّ شيء علينا الانتباه إليه، ونحن نقرأها بتدبّر أن الله عزَّ وجلَّ حصـر ذلك الإسراء بإرادته ونسبه إلى قدرته، وهو دليل على أنّ هذه الحركة المباركة لرسول الله9 بين المسجدين ولخارقيتها المذهلة للمسافة وللوقت، لا تتمُّ ولا يكتمل إنجازها بدءًا واستمراراً وانتهاءً إلّا بقوّته وقدرته وحكمته سبحانه وتعالى، وليس لبشرٍ مهما أُوتي من علمٍ وقدرةٍ أن يقوم بها، فهي أكبر من قدرات البشر، بل وعصية على التفكير والتخطيط لها، وبعيدة كلّ البعد حتى عن مجرّد تصورها، ثمّ اكتملت بالمعراج إلى حيث السموات العلى؛ ليُشكّلا معاً معجزةً اختصت السماءُ بها رسول الله9 وجعلته يتفرّد بها دون غيره من أنبياء ومن رسل على عظم قدرهم وجلالتهم وقربهم من الله تعالى، وما أحسن ما قاله ابن إسحاق: كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه، عن عبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري،... وأمّ هانئ بنت أبي طالب، ما اجتمع في هذا الحديث، كلّ يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أُسري به، وكان في مسراه9 وما ذكر منه بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه. فيه عبرة لأولي الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق. وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين. فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد. حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم، وقدرته التي يصنع بها ما يريد.

وما أجلَّ ما ذكره القشيري:.. ويقال أخبر عن موسى7، حين أكرمه بإسماعه كلامه من غير واسطة، فقال: (وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا)،[[197]](#footnote-197) وأخبر عن نبينا9 بأنه (أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ)، وليس مَنْ جاءَ بنفْسِه كمنْ أَسْرَى به ربُّه، فهذا مُتَحَمِّلٌ وهذا محمول، هذا بنعت الفَرْقِ وهذا بوصف الجمع، هذا مُرِيدٌ وهذا مُرَادٌ!.. ثم أراه من آياته تلك الليلة ما عَرَفَ به صلوات الله عليه أنه ليس أحدٌ من الخلائق مثْلَه في نبوّته ورسالته وعلوِّ حالته وجلال رتبته.[[198]](#footnote-198)

هذا وإن وصِفَ كلٌّ من الإسراء والمعراج بالمعجزة؛ لكنهما ضمّا معاجز أُخر(لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ)، من عجائب صنعنا وحقائق قدرتنا في السموات والأرض وما بينهما، وجاء9 منهما بما رآه من مشاهد الآخرة، وبأحكام عباديّة وعقائديّة ومواعظ ومفاهيم وآداباً ... ولعلَّ بذلك تحققت حكمة الإسراء!

وبعيداً عن الأخبار والأقوال المختلفة في مكان انطلاق الإسراء من مكة المكرمة، فإنَّ ظاهر الآية المباركة بل صريحها: (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمسْجِدِ ٱلأَقْصَا)، واضح في تحديد انطلاق الإسراء من المسجد الحرام، وجعلت غايته المسجد الأقصى؛ ليبدأ9 من هناك معراجه9 إلى ذلك العالم الغيبي حيث السموات العلى، وحيث سدرة المنتهى.

وقد راحت هذه المرأة الصالحة، تُحدّثنا عن انطلاقة هذه المعجزة من بيتها وهو قول أكثر المفسرين «أنه أُسري به من بيت أمّ هانىء»، وروي عنها وعن غيرها أنَّ الحرم كلَّه مسجد... وأنَّ النبيَّ9 كان في منزلها ليلة أسري به.

الطبرسي: وقال أكثر المفسرين أسري برسول الله9 من دار أمِّ هانىء أخت علي بن أبي طالب، وزوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي، وكان9 نائماً تلك الليلة في بيتها، وأنَّ المراد بالمسجد الحرام هنا مكة، ومكة والحرام كلّها مسجد.

في كتاب «السيرة النبوية»، لابن هشام في حديثه عن الإسراء والمعراج أنَّ النبيَّ9، قد أسرى الملائكة به من بيت «أمّ هانئ» وجاء عن محمد بن إسحاق أنه ما بلغه عن «أمّ هانئ» أنها كانت تقول: ما أسرى برسول الله إلّا وهو في بيتي، نام عندي تلك الليلة في بيتي، فصلّى العشاء، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله، فلما صلّى الصبح وصلينا معه، قال: «يا أمَّ هانئ، لقد صليتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئتُ بيت المقدس، فصليتُ فيه، ثم قد صليتُ صلاة الغداة معكم الآن كما ترين».

ولأمّ هانئ، بعد أن سمعت من فمه الطاهر المبارك حديث الإسراء والمعراج، وكانت بذلك أول من سمعته، موقفها حين ظلّت مشدودةً إلى قلقها عليه9، وحين أبدت تخوفها من تكذيب قومه له بسبب غرابة الواقعة، ولم تكتفِ بذلك، حتى أخذت بردائه9 كما حدّثت قائلةً: ثم قام ليخرج، فأخذتُ بطرف ردائه، فتكشف عن بطنه كأنه قبطية مطوية (ثوب من ثياب أهل مصر) فقلت له: يا نبيَّ الله، لا تحدث بهذا الناس، فيكذبوك ويؤذوك! قال: «والله لأحدثنهموه». قالت: فقلت لجارية لي حبشية: ويحك! اتبعي رسول الله9 حتى تسمعي ما يقول للناس، وما يقولون له. فلما خرج رسول الله9 إلى الناس، أخبرهم فعجبوا، وقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قطّ!

قال: «آية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادي كذا وكذا، فأنفرهم حسّ الدابة، فندَّ لهم بعير (شرد ونفر) فدللتهم عليه، وأنا موجه إلى الشام. ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان.[[199]](#footnote-199) مررت بعير بنى فلان، فوجدت القوم نياماً، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشئ، فكشفتُ غطاءه وشربتُ ما فيه، ثم غطيتُ عليه كما كان، وآية ذلك أنَّ عيرهم الآن تصوب من البيضاء، ثنية التنعيم، يقدمها جمل أورق (لونه بين السواد والغبرة)، عليه عرارتان إحداهما سوداء، والأخرى برقاء».

قالت: فابتدر القوم الثنية، فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم، وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءًا ماءً ثم غطّوه، وأنهم هبوا فوجدوه مغطًى كما غطّوه، ولم يجدوا فيه ماءً. وسألوا الآخرين، وهم بمكة، فقالوا: صدق والله، لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر، وندَّ لنا بعير، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه، حتى أخذناه.

سيد قطب: ومما يلاحظ بمناسبة هذه الواقعة، وتبين صدقها للقوم بالدليل المادي الذي طلبوه يومئذ في قصة العير وصفتها أنَّ الرسول9 لم يسمع لتخوف أمِّ هانىء رضي الله عنها من تكذيب القوم له بسبب غرابة الواقعة. فإنَّ ثقة الرسول9 بالحقّ الذي جاء به، والحقّ الذي وقع له، جعلته يصارح القوم بما رأى كائناً ما كان رأيهم فيه. وقد ارتد بعضهم فعلاً، واتخذها بعضهم مادة للسخرية والتشكيك.

ولكن هذا كله لم يكن ليقعد الرسول9 عن الجهر بالحقّ الذي آمن به.. وفي هذا مثل لأصحاب الدعوة أن يجهروا بالحقّ لا يخشون وقعه في نفوس الناس، ولا يتملقون به القوم، ولا يتحسسون مواضع الرضى والاستحسان، إذا تعارضت مع كلمة الحقّ تقال كذلك يلاحظ أنَّ الرسول9 لم يتخذ من الواقعة معجزة لتصديق رسالته، مع إلحاح القوم في طلب الخوارق، وقد قامت البينة عندهم على صدق الإسراء على الأقل، ذلك أنَّ هذه الدعوة لا تعتمد على الخوارق، إنما تعتمد على طبيعة الدعوة ومنهاجها المستمد من الفطرة القويمة، المتفقة مع المدارك بعد تصحيحها وتقويمها. فلم يكن جهر الرسول9 بالواقعة ناشئاً عن اعتماده عليها في شيء من رسالته، إنما كان جهراً بالحقيقة المستيقنة له لمجرد أنها حقيقة.[[200]](#footnote-200)

دار أُمّ هانئ :

كتب لها أن تكون أول امرأة تسمع حديث الإسراء والمعراج لرسول الله9 ولبيتها أن يكون موضعاً طيباً لانطلاقة الرحلة المعجزة ذهاباً واستقبالاً، انطلق منها رسول  الله9 في إسرائه ونزل فيها من معراجه، وصلّى وأكل فيها في فتح مكة، كما عليه أكثر الأخبار والأقوال، وظلّت ذكراها تتجدد كلّ عام مقترنةً بذكرى الإسراء والمعراج حتى يومنا هذا وستبقى، حين حظيت بهذا الشرف، شرف إسرائه9 من بيتها وفرج له سقفه، ليتمَّ معراجه نحو السماء...، وتاريخيًّا كانت هذه الدار مباركة، فهي موضع أول بئر حفرت بمكة، حفرها جدُّها الرابع قصـي، وما أن زاد محمد المهدي العباسي سنة ١٦٤هجرية زيادته العظيمة في المسجد الحرام، حتى دخلت هذه الدار وبئرها فيه، ومن هذا يتضح أنَّ دارها التي كان النبيّ9 فيها ليلة أسري به ليست بعيدة عن المسجد الحرام، بل هي بجواره ذلك الوقت فعلى هذا كانت دار أمّ هانئ، بجوار المسجد الحرام في ذلك الوقت، فيكون محلها اليوم حصوة باب الوداع، فيكون بين دار أمّ هانئ و بين الكعبة المشـرفة نحو أربعين متراً تقريباً. والله تعالى أعلم.

فقد قال عنها الأزرقي في تاريخه وفي عدّة مقاطع متباعدة من كتابه: «وكانت بئر قصي بن كلاب الأولى التي احتفرها في دار أمّ هاني ابنة أبي طالب. كان موضعها في دار أمّ هاني بنت أبي طالب بالحزورة، الحزورة وهي كانت سوق مكة، كانت بفناء دار أمّ هاني ابنة أبي طالب التي كانت عند الحناطين، فدخلت في المسجد الحرام، كانت في أصل المنارة إلى الحثمة.

كان يقال لها العجول (من العجلة ضد البطء) (بئرالعجول: كانت بباب رواق أم هانئ، ثم دخلت الدار والبئر في المسجد في زيادة المهدي)، وكانت العرب إذا قدمت مكة يردونها، فيسقون منها ويتراجزون عليها؛ قال قائل فيها:

أروى من العجول ثمت انطلق

إنَّ قصيًّا قد وفى وقد صدق

بالشبع للحي وري المغتبق...

دار أمّ هانئ بنت أبي طالب التي عند الحناطين عند المنارة، فدخلت في المسجد الحرام حين وسعه المهدي في الهدم الآخر سنة سبع وستين ومائة... ثم بنى منحدراً حتى دخلت دار امّ هاني بنت أبي طالب، وكانت عندها بئر جاهلية، كان قصي حفرها، فدخلت تلك البئر في المسجد، فحفر المهدي عوضاً منها البئر التي على باب البقالين، الذي في حدّ ركن المسجد الحرام اليوم...».[[201]](#footnote-201)

وهذا ما ذكره المؤرخ محمد طاهر الكردي تحت عنوان: تحقيق موضع دار أُمّ  هاني بمكة، يقول: الذي دعانا إلى العناية بتحقيق موضع دار أمّ هانئ أخت علي بن أبي  طالب رضي الله تعالى عنهما، هو اختلاف العلماء في أنَّ النبيَّ9 هل أسري به من المسجد الحرام أو من بيت أمّ هانئ بنت أبي طالب رضي الله تعالى عنها، فقد جاءت أحاديث صحيحة في هذا وذاك؟ فأردنا أنَّ نتحقق موقع بيت أمّ هانئ بمكة وبعده عن المسجد الحرام في زمنه9 الذي مساحته هي مساحة دائر المطاف الذي حول الكعبة المشرفة. ثمَّ يقول: فإنَّ في معرفة مكان دارها جملة فوائد...

ويواصل كلامه إلى أن يقول: وبعد التأمل فيما نقلناه هنا من الكلام، ومراجعة ما طالعناه من الأبحاث العديدة، عرفنا موضع دار أمّ هاني مما يأتي:

1- من قول الإمام الأزرقي المتقدم في الجزء الثاني من تاريخه : 188حيث يقول: ولهم أيضاً دار أُمّ هانئ بنت أبى طالب التي كانت عند الحناطين عند المنارة، فدخلت في المسجد الحرام حين وسعه المهدي في الهدم الآخر سنة سبع وستين ومائة أو (164هجرية).

2- ومن قول الفاسي المتقدم في الجزء الأول من كتابه شفاء الغرام حيث يقول عن الحزورة: وكان عندها سوق الحناطين بمكة، وهي في أسفلها عند منارة المسجد الحرام التي تلي أجياد.

3- ومن الخريطة التي وضعناها في بيان الزيادات المطبوعة في كتابنا «مقام إبراهيم7» : 91 من الطبعة الأولى.

فمن هذه الأمور الثلاثة، ظهر لنا تماماً ما لا يقبل الشك؛ أنَّ دار أُم هانئ رضي الله تعالى عنها، واقعة بالضبط عند منارة باب الوداع في عصـرنا الحاضر؛ لأنها هي المنارة المعنية في العبارة المتقدمة، فمحلها في ذلك الزمن هو محلها اليوم لم يتغير، والحزورة واقعة عندها، وكذلك سوق الحناطين. ومن نظر إلى خريطة زيادات المسجد الحرام الموجودة بكتابنا المذكور «مقام إبراهيم7» والموجودة أيضاً في هذا التاريخ، علم يقيناً أنّ المنارة المذكورة تقع في آخر توسعة المهدي، من ركن المسجد الحرام الجنوبي المقابل لأجياد، فدار أمّ هاني كانت عند هذا الركن، ثم دخلت في توسعة المهدي المذكور مائة وأربع وستين من الهجرة.

وفي محل المنارة، أي في موضع دار أُمّ هانئ حفر قصي بن كلاب البئر التي يقال لها العجول... فتكون المسافة بين الكعبة شرفها الله تعالى وبين دار أًمّ هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها120متراً بالضبط على التحقيق الذي عملناه، وهي نفس المسافة بين الكعبة وبين الحزورة، وهي نفس المسافة أيضاً بينها وبين البئر التي كان حفرها قصـي بن كلاب، ثمَّ دفنت ودخلت مع دار أمّ هاني في توسعة المهدي.[[202]](#footnote-202)

وقد حُكي عن حسين شافعي، أُستاذ التاريح في جامعة أُمِّ القرى أنَّه قال: الكلام عن عمود أمّ هانئ بالمسجد الحرام أخذ منحًى غريباً وبعيداً من الواقع، ولا بدَّ من ذكر أصل هذا المكان في كتب التاريخ المكي القديم منها والحديث والأصل في هذا الأمر يعود إلى دار أمِّ هانئ بنت أبي طالب التي أسلمت يوم فتح مكة المكرمة، وروت أحاديث عدّة عن النبيِّ محمد، وزوجها هو هبيرة بن عمرو المخزومي، وأخوها الخليفة علي بن أبي طالب... أم ّهانئ توفيت بعد عام50 للهـجرة، ‏وبقيت دارها إلى عهد الخليفة المهدي العباسي، حينها رأى توسعة المسجد الحرام للمرة الثانية من الجهة الجنوبية سنة 164للهجرة، فاضطر إلى هدم البئر الموجودة بقربها وإدخالها ضمن توسعته، ‏وعرف الباب المجاور لدارها في المسجد الحرام بباب أمّ هانئ تخليداً لذكرها... وأنَّ الباب الذي أطلق عليه اسم أمّ هانئ عُرف بمسميات عدّة عبر العصور التاريخية، منها باب أبي جهل والملاعبة، وكذلك باب الفرج والشريف، لكن أشهرها باب أمّ هاني.

ذكروا هذا الكلام عنه، ولم يبينوا مصدراً له...

وتحت عنوان: إعادة عمود أمّ هانئ إلى موضعه بالمسجد الحرام الثلاثاء 24 نوفمبر2020. فيصل السلمي، مكة المكرمة.

أعادت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي العمود القديم، والذي يطلق عليه البعض (عمود أمّ هانئ) إشارة إلى موضع دار أمّ هانئ بالمسجد الحرام بجوار باب الملك عبد العزيز، حيث أسري بالنبيّ9 منه إلى بيت المقدس، ومن ثمَّ عرج به إلى السماء، وقد رفعت رئاسة شؤون الحرمين العمود التاريخي قبل سنوات ضمن مشروع توسعة المطاف، وحافظت عليه وأعادته إلى موضعه بعد انتهاء أعمال التوسعة.

وأوضح الباحث في التاريخ المكي الدكتور سمير برقة لـ «مكة» أنَّ العمود الذي تمّت إعادة وضعه في توسعة المطاف يمثل رمزية للبقعة والمكان الذي كان فيه دار أمّ هانئ، والذي بدأت منه رحلة الإسراء.

وأمّ هانئ واسمها فاختة بنت أبي طالب وقيل: هند، هي أخت سيدنا عليّ، وبنت عمّ النبيّ9 ويبعد بيتها عن الكعبة120متراً، جهة باب الوداع، كما أفاد بذلك المؤرخ محمد طاهر الكردي المكي في كتابه (التاريخ القويم).

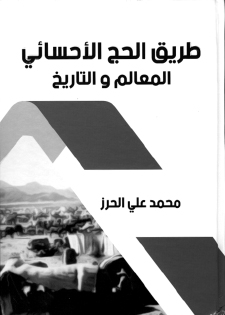
أقول: هذه الدار حظيت بكلّ هذه البركة والخلود، بفضل إسراء النبيّ9 منها، واكتسبت اهتماماً عظيماً من دون الكثير من دور مكة التي اندثرت وضاعت معالمها وإن عظم أصحابها وأهلها، ولتبقى هذه الدار قبلةً للوافدين!

وللبحث صلة تأتي في العدد القادم إن شاءالله تعالی

\* \* \*

«تعريف بکتاب»  
طريق الحجّ الأحسائى(1)

إدارة التحرير



نظراً لمنهج مجلة «ميقات الحجّ»، وعنايتها بالشؤون الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحجّ ودائرته المباركة...، فتحت بابها لا فقط لاستقبال ما يتفضل به الكتّاب، ويبادر به العلماء والمحققون من بحوث ومقالات من أفكار وآراء حول عنايتها المذكورة، وإن لم تكتفِ بانتظار ما تجود به معرفتهم وأناملهم، بل راحت إدارتها تسمع وتقرأ وتلاحق ما يكتب هنا وينشـر أو يُلقى هناك؛ ما دام يصبُّ في دائرتها المعرفية؛ لإعطائه مساحة مناسبة في المجلة، حرصاً منها في إغناء مكتبتها الخاصة وتراثها المعرفي، ومشاركةً منها في نشر ما تصبو إليه من أهداف كبيرة؛ تتمدّد على مساحة واسعة من الحرمين المباركين مكة المكرمة والمسجد النبوي وما حولهما من طرق وأماكن ومواقع.[[203]](#footnote-203)

إنّ هذا الکتاب «طريق الحج الأحسائي» لمؤلفه سماحة الشيخ محمدعلي الحرز ، كتاب جيد لما تتوفّر فيه من أهمية تاريخيّة وفوائد ميدانيّة ومعرفة لحدود هذا الطريق ومعالمه، و قديماً كان هذا طريقاً للحجاج الإيرانيين .

فطوبى لمؤلفه الشريف، الذي تحمّل كثيراً من المعاناة؛ لإيجاد هذا السفر القيّم، نسأله تعالى أن يؤجره أجراً كبيراً، ويؤجر سماحة الشيح حسين الواثقي، الذي اقترح أن يحتلّ هذا الكتاب مكانته في هذه المجلة.

\* \* \*

جاء في مقدمة البحث :

«طالما راودتني فکرة التطرّق لموضوع الحج الأحسائي من الناحية التاريخية؛ والتعريف بالعلاقة الکبيرة بين الأحساء وبلاد الحجاز، وأهم الطرق التي يسلکونها في المسير لأداء فريضة الحج، والعقبات التي تواجه الحاج الأحسائي تحديداً من صعوبات ومعوِّقات، حاله حال الکثير من الحجاج في مختلف المنافذ المتجهة إلی مکة المکرمة، نظراً للتغافل الکبير من المهتمين بتاريخ الحج وطرق الحاج، وذلكلصعوبة البحث وندرة المصادر التي تناولت معالم هذه الطرق.

لذا اکتفی معظم الباحثين بتناول الطرق المشهورة والمعروفة؛ مثل الشامي والعراقي والمصري واليمني والعماني وغيرهم، دون تجاوز هذه العتبة خشيةً من وعورة الطريق والبحث في هذه النقطة المعتمة...».

الکلمات المفتاحية :

طريق الحاج العراقي، طريق الحاج الشامي، طريق الحاج المصـري، طريق الحاج اليمني، ألأحسَاء.

\* \* \*

ابتدأ المؤلف کتابه هکذا:

... في الرواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق7: «من حجّ ثلاث حجج لم يصبه فقرٌ أبداً».[[204]](#footnote-204)

فقد ورد في القرآن الکريم قوله تعالى: (وَالْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً).[[205]](#footnote-205)

وحفظهم من أهم حوائج ورغبات العبد، وتکفل رب العباد يحفظهم، فقد جاء في الحديث عن الإمام الصادق7 أنه قال: «إنَّ أدنى ما يرجع به الحاج الذي لا يقبل منه، أن يحفظ في أهله وماله، قال: فقلت: بأي شيء يحفظ فيهم؟، قال: لا يحدث فيهم إلّا ما کان يحدث فيهم وهو يقيم معهم».[[206]](#footnote-206)

هذا النزر اليسير أردنا به إعطاء تصور عام عن الثمار التي يجنيها المسلم من هذه الشعيرة العبادية، علماً أنَّ الخوض في فضلها ومنزلتها بابٌ واسع صنّفت فيه عشـرات الکتب وکتبت فيه آلاف المقالات.

طريق الحج الإسلامي

اشتهر للحج الإسلامي خمس طرق يسير عبرها معظم المسلمين القادمين للديار المقدّسة عبر البرّ، وذلك من مختلف البلدان والنواحي والجهات.

وقد دوّن المؤرخون في مصنفاتهم تلك الطرق والمسالك بمزيدٍمن العرض والبسط، مع الإشارة إلى الخدمات التي تسهّل وتستقطب مرور الحجاج من حفر الآبار والأوقاف، إضافة إلى تأمين الحماية والرعاية وخدمات الحاج المختلفة.

وهذه الطرق الخمس المشهورة سنوردها تباعاً کما يلي:

الأول: طريق الحاج العراقي:

للحاج العراقي ومن يسير في رکبه أو على دربه طريقان، هما:

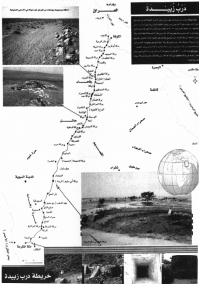
1ـ طريق حجّاج الکوفة، ويعرف بـ(درب زبيدة):

ويُعدُّ من أهمّ الطرق الذي تسير عليه جموع غفيرة من الحجّاج العراقيين،  فمن يسير عليه من سائر الحجّاج غير العراقيين حجاج أهل فارس وخراسان، والديلم.[[207]](#footnote-207) وبخارى،[[208]](#footnote-208) وما وراء النهر،[[209]](#footnote-209) وإقليم الجبل،[[210]](#footnote-210) مما جعل مسؤولية أمير الحاج کبيرة، خاصّة أنّه طريق موکب الخلافة العباسية والتي اعتنت خلال مسيرتها التاريخية بتوفير الخدمات اللوجستية التي يحتاجها المسافرون المارّون بهذا الطريق الحيوي، وذلك من خلال حفر الآبار وتوفير محطات توقف واستراحة.

ومما تجدر الإشارة له أنَّ هذا الطريق يعتبر من الطرق القديمة، ويعد من أهم طرق الحج والتجارة خلال العصر الإسلامي، وقد اشتهر باسم «درب طبيدة» نسبة إلى السيدة زبيدة،[[211]](#footnote-211) بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور زوج الخليفة هارون الرشيد، لما قامت من إنشاء الموقوفات وحفر الآبار على هذا الطريق.

ويمتد درب زبيدة «طريق الحج الکوفي» من بغداد مروراً على مدينة الکوفة في العراق مروراً بالمملکة الشمالية ووسطها وصولاً إلى مکة المکرمة، ويبلغ طوله في أراضي المملکة أکثر من 1400 کلم، حيث يمر بخمس مناطق، هي: الحدود الشماليه، حائل، القصيم، المدينة المنورة، مکة المکرمة.

وهو يسير على عدد المحطات والمراحل العامرة بالمزارع والخيرات والمياه ليستطيع الحاج التزود بالمؤونة ولوازم الطريق.



خريطة طريق حاج الکوفة المشهور بـ «درب زبيدة».[[212]](#footnote-212)

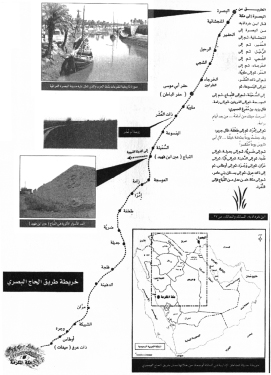
إحدى المعالم الأثريّة على درب زبيدة التاريخي

2ـ طريق حاج البصرة:

وينال هذا الطريق أيضاً أهمية بالغة من حيث الحج والتجارة، ويبدأ الطريق من البصرة مروراً بشمال شرق شبه الجزيرة عبر وادي الباطن مخترقاً عدة مناطق صحراوية أصعبها صحراء الدهناء، ثم يمر بنجد التي تعد من الأراضي الخصبة، وبعدها يتجه الطريق محاذياً لطريق الکوفة ـ مکة، حتى يلتقيا عند محطة أم خرمان أوطاس، والتي تقع على مسافة عشرة أميال من موقع ذات عرق.

يلتقي طريق البصرة بالطريق الرئيسي الممتد من الکوفة عند منطقة معدن النقرة التي يتفرع منها طريق يتجه إلى المدينة المنورة.

ويعدّ من الطرق المهمة التي يسلکها أهالي تلك المناطق إضافة للحجاج خوزستان وعبادان ومن لفَّ لفهم، وهو من حيث العدة والضخامة أقل من الطريق المنطلق من الکوفة إلّا أنه لا يقل عنه أهمية ومکانة لکثرة من يطرقه للأغراض المتعددة، والتي من أهمّها مرور قوافل الحج.



خريطة طريق الحاج البصري[[213]](#footnote-213)

ثانياً: طريق الحاج الشامي:

ينطلق مرکب الحاج الشامي من دمشق مرکز تجمع الحجيج السائرة على هذا الدرب، وتتحرّك الجموع متهجة في أول مراحله إلى الصين، وهي قرية من أعمال دمشق، وهکذا متّجهة عبر عدد من المنازل والمراحل إلى الحَفير، وهو نهر بالأردن، بعدها يدخلون أرض الحجاز عبر منطقة سرغ،[[214]](#footnote-214) وهي أول الحجاز وآخر الشام، متجهين نحو تبوك، ومنه إلى وادي القرى، ثم يسيرون في منازل متعددة إلى أن يصلوا إلى المدينة المنورة، ومن المدينة يکملون المسير إلى مکة المکرمة على الجادة المعروفة بين الحرمين الشريفين.[[215]](#footnote-215)

والشيء اللافت والملاحظ على معظم الطرق التي يسلکها الحاج خلال مسيره اختلاف بعض المنازل بين الرحالة وقوافل الحجيج بعداً وقرباً، وذلك تبعاً للظروف المختلفة وخبرة الدليل والقائد للرحلة، وإن کانت تتفق في الوجهة والجهة مع تغيّر في القرى وأماکن الآبار.

خريطة طريق الحاج الشامي.[[216]](#footnote-216)

ثالثاً: طريق الحاج المصري:

ويعدُّ من أهمّ الطرق إلى مکة المکرمة عليه تسير مواکب الحجّاج القادمة  من القارة الأفريقية، کالموکب المغربي وغيره، وينطلق الموکب من المنطقة المعروفة بـ (برکة الحاج)،[[217]](#footnote-217)ثم ينطلق باتجاه قناة السويس، إلى أرض الجزيرة وصولاً إلى مکة المکرمة، وهو يمرّ عبر مجموعة من المراحل ذکرت في الکتب المفصلة.

ويعدّ المحمل المصري المرافق للموکب أهم المحامل وأخصّها،  حيث يصطحب معه في کلّ عام کسوة الکعبة الشريفة، وقد استمر ذلك من عهد المماليك إلى قريب منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وتحديداً عندما سيطر الملك عبد العزيز على الحجاز سنة 1342هـ، حيثُ توقفت عملية استجلاب الکسوة من مصر، على أن يتم صنعها في داخل الدولة السعودية کما سيأتي لاحقاً.



خريطة  طريق الحاج المصري.[[218]](#footnote-218)

رابعاً: طريق الحاج اليمني:

للحاج القادم من اليمن عدة طرق، وهي کما يلي:

1ـ الطريق الساحل:

وهو طريق يمرّ بجوار البحر الأحمر محاذياً له من الشرق، ويبدأ من عدن فأَبْيَن مروراً بالمخنق، فإلى عارة، ثم عبرة،  فالسقيا، فباب المندب. فسماري، ثم الخوخة والأهواب وغلافقة. وهي فرضة زبيدة، ثم نبعة، فالحردة، ثم الزرعة، ثم الشـرجة. بعدها يسير الطريق من الشرجة إلى المفجر، فإلى القنيدرة، ثم عثر،  ثم بيض، ثم الدويمة، ثم حمضة، ثم ذهبان، ثم حلين، ثم قرما فدوقة، إلى السـرين، وهي ملتقى طريق الساحل مع طريق الداخل، ومنها يفترقان أيضاً کلّ في جهته، حيث يسير الساحلي صوب الليث فاشعيبة إلى جدة ومنها إلى مکة المکرمة.

2ـ الطريق الداخلي:

وهو التهامي، ويعرف باسم الجادة السلطانية. يبدأ الطريق من تعز ويمر بذات الخيف، فموزع، ثم الجدون، ثم حيس، ثم زبيد. إذ تتجمّع فيها القوافل التي تسلك طريق الجادة السلطانية، ومنها تنطلق في سيرها إلى مکة المکرمة مارةً بفشال والضنجاع، والقحمة، والکدراء والمهجم ومور والواديين، والساعد وتعشر وجازان والهجر وبيش إلى ضنکان، ومنها يتجه الطريق إلى المقعد فحلي العليا ثم يبه ثم قنونا، ثم عشم، ثم دوقة فإلى السرين حيث يلتقي بالطريق الساحلي، ومنها يفترق في مساره الداخلي إلى الليث، فالخضراء، ثم سعيا،  فيلملم ـ ميقات أهل اليمن ـ حتى مکة المکرمة.

3ـ الطريق الأعلى:

ويعرف باسم الطريق الجبلي، ومرکز انطلاقه صنعاء ويتجه الطريق إلى صعدة، ومنها إلى العرقة، ثم المهجرة، ثم أرينب، ثم سروم الغيض، ثم الثجة، ثم بيشة ومنها إلى تبالة، فالقريحاء ثم کرى، ثم تربة، ثم الصفن، ثم العنق، ثم رأس المناقب، وهي منتهى الطريق في اتجاه الشمال،  وينحرف في سيره صوب الغرب إلى قرن المنازل، وهو ميقات أهل اليمن الذين يمرون من تلك الجهة، ويتجهون محرمين صوب مکة مجتازين الزيمة، والطائف عن طريق السيل.[[219]](#footnote-219)

خريطة طريق الحاج اليمني.[[220]](#footnote-220)

خامساً: طريق الحاج العماني:

1ـ طريق عمان الساحلي:

وهو طريق ساحلي لحجاج عمان يتجه إلى فرق، ثم عوکلان،  ثم إلى ساحل هباه، وبعدها إلى شحر، ثم تتابع القوافل سيرها على أحد الطرق اليمنية الرئيسة المؤدية إلى مکة.

2ـ طريق عمان الداخلي:

لطريق الحج العُماني مساران: فأحدهما يتجه من عمان إلى يبرين، ثم إلى الأحساء. ومنها إلى اليمامة. ثم إلى ضرية.

وتشير المصادر الجغرافية إلى أن ضریة کانت لتلتقي حجّاج البصرة والبحرين، حيث يفترقون بعدها إذا انصرفوا من الحج، فيتجه حجاج البصـرة شمالاً؛ وحجاج البحرين باتجاه اليمين، وکما کان بإمکان القوافل القادمة من عمان اجتياز منطقة الأحساء لتلقتي بطريق اليمامة مکة المکرمة.

وهنا نجد الإغفال في المصادر التاريخية ـ إلّا القليل منها ـ لطريق الحج الأحسائي والذي تسلکه حشودٌ کبيرة من المسلمين سواء من الحسائيين أو من العابرين على الدرب الأحسائي في طريقهم إلى الديار المقدسة، وهو ما سنحاول کشف النقاب عن معالم هذا الطريق خلال الصفحات القادمة.



خريطة طريق الحاج العُماني.[[221]](#footnote-221)

الأحساء نبذة تعريفيّة ، الأحساء في اللغة والاصطلاح:

الأَحساء بفتح الألف وإسكان الحاء وفتح السين المهملة، تعني الأرض الرملية التي يوجد تحتها طبقة سفلية من صخر صلد تمسك بماء المطر لوقت طويل، وهذا الماء يمکن الوصول إليه واستخراجه بسهولة ويسر، والحفرة من هذا النوع تسمى حسب المعاجم اللغويّة «حسي» وجمعها «إحساء»، ولکثرة الأحسية في هذا الموقع عرفت المنطقة بـ «الأحساء».

أمَّا الأحساء اصطلاحاً فهي محافظة سعودية تقع شرقي الجزيرة العربية، وتبعد عن العاصمة الرياض 328کلم. تبلغ مساحتها 379000 کلم،[[222]](#footnote-222) أي ما يُعادل 20٪ من أراضي المملکة العربية السعودية،  وتُغطّي صحراء الربع الخالي نحو ثلاثة أرباع المحافظة.

وتنبع أهمية موقع الأحساء استراتيجيّاً کونها تربط بين المملکة في جزئها الشرقي بعدد من الدول المجاورة کالبحرين والکويت عمان والإمارات وقطر، کما تعد أقرب منفذ بحري لوسط الجزيرة العربية، ومن هنا فهي تعتبر محطة بارزة في طريق الحاج القادم من الشرق، کما تعد منطقةً تجارية هامة على مستوى الخليج [الفارسي].

أمّا الحدود فيحدها من الجنوب سلطنة عُمان، ومن الشرق خليج سلوى ومن الغرب صحراء الدهناء. وهي تتمثّل في مدينتي الهُفوف والمبرَّز، وأکثر من خمسين قرية مختلفة الحجم والکثافة السکانية، معظمها في الاتجاه الشرقي والشمالي من الأحساء.



خريطة الأحساء وحدودها الإداريّة.

\* مقوّماتها الطبيعيّة:

تشتهر الأحساء بکثرة نخيلها التي تغطي مساحات هائلة من أراضيها وتزيد على ثلاثة ملايين نخلة، وتنتج أکثر من مائة ألف طن من التمور سنوياً، أي ما يُعادل 10٪ من إنتاج المملکة، وهي في الأصل واحة طبيعية، ومُصنّفة کأکبر واحات النخيل في العالم.

کما تمتلك الأحساء واجهة بحرية على الخليج [الفارسي] تبلغ مساحتها 133 کم، وکانت قديماً من أغني مناطق المملکة بالمياه الجوفية،  والعيون التي يتراوح عددها بين 60 و 70 نبعاً.

\* تاريخها السياسي:

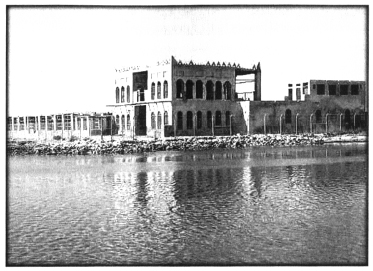
تعتبر الأحساء ـ بعمقها التاريخي الممتد ـ حاضرة جاذبة للتجمعات البشريّة، لما تمتلکه أرضها الغنّاء من أسباب للبقاء والديمومة، ما جعلها محطّاً للعيون، حيث تعاقب على حکمها منذ صدر الإسلام مجموعة کبيرة من الدول، کدولة القرامطة والدولة العيونية والجروانية ودولة بني عصفور وآل جبر، وانتهاءً بالعثمانيين والدولة السعودية في عهودها الثلاث.

وسنأتي تباعاً على ذکر المرتبط بتاريخ الحج منها لاتصاله ببحثنا في ثنايا البحث.

\* المعالم الأثرية:

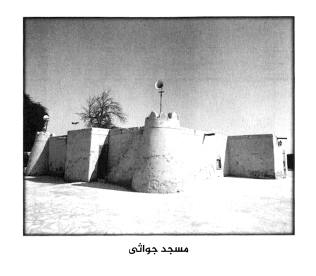
ضمّت الأحساء عشرات المعالم الأثرية الهامة منها:

ميناء العقير: يقع على ساحل الخليج [الفارسي] على بعد 60 کم من مدينة الهفوف، وهو أحد الموانئ الهامة، الذي يأتي عن طريقه الحجاج إلى الأحساء.

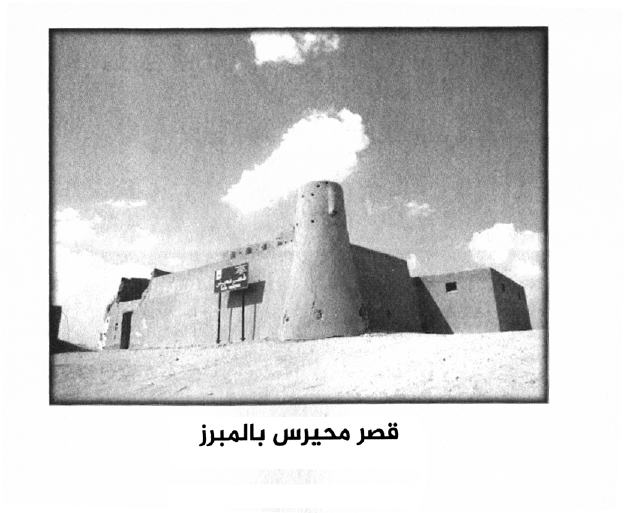


ميناء العقير التاريخي

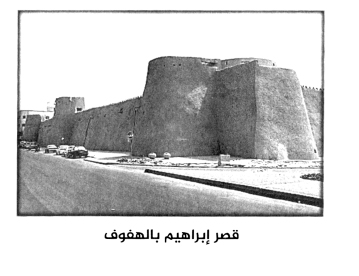
مسجد جواثى: يقع على بعد نحو 20 کم شمال شرق مدينة الهفوف، وما تزال قواده قوائمة إلى وقتنا الحالي،  وترجع أهميته التاريخية بصفته ثاني مسجد أقيمت فيه صلاة الجمعة في الإسلام بعد مسجد رسول الله، قام بينائه بنو عبد القيس الذين کانوا يکنون الأحساء في تلك الفترة.



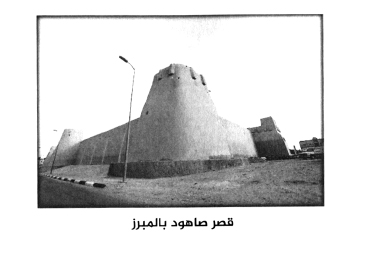
قصر محيرس: يقع في شمال المبرز على أعلی تلة من المدينة؛ وعلى بعد 14 کم شمال مدينة الهفوف، تم تشييده عام 1794م وذلك في أوائل العهد السعودي، وهو عبارة عن قلعة حربية تضم برجاً للمراقبة والرصد.



قصر إبراهيم: ويسمى أيضاً قلعة إبراهيم نسبة إلى إبراهيم باشا القائد العثماني الذي حکم محافظة الأحساء آنذاك، ويقع القصر شمال مدينة  الهفوف على مساحة تقدّر بـ16500م.



قصر صاهود: يقع في حي الحزم بمدينة المبرز على مساحة 1750م،[[223]](#footnote-223) تمّ بناؤه في عام 1800م للدفاع عن المدينة وحماية الأراضي الزراعية ومراقبة مخيمات البدو الموسمية.



إضافة إلى العديد من المعالم الأثرية والتاريخية والطبيعية التي تستقطب السياح من مختلف أرجاء العالم.

هذا الموجز المقتضب عن الأحساء أوردناه ليتعرف القارئ الکريم على لمحة يسيرة عن مکانة وتاريخ هذه المنطقة الحيويّة.

في هذا الفصل سنتعرض إلى واقع طريق الحجّاج الأحسائيين في مراحل تعاقب الحکّام والدول على حکم منطقة الأحساء بدءًا من العصور الإسلامية الأولى وانتهاءً بالدولة السعودية الثالثة والتي نعيش في کنفها حالياً وهي کالتالي:

\* العصور الإسلامية الأولي

\* دولة القرامطة (281ـ469هـ)

\* الدولة العيونيّة (469ـ636هـ)

\* الدولة العصفوريّة (630ـ...)

\* الدولة الجبريّة (820ـ930هـ)

\* دولة آل مغامس (932ـ953هـ)

\* الدولة العثمانيّة الإولی (957ـ1082هـ)

\* دولة بني خالد (1080ـ1208هـ)

\* الدولة السعودية الأولی (1157ـ1233هـ)

العصور الإسلاميّة الأولى

تبوأت الحجاز مکانة کبيرة في قلوب الهجريين، عمادها العلاقة الدينية والاقتصادية التي تعمقت بمرور السنين، فالهجريون منذ القدم ينظرون إلى الحجاز کبعد استراتيجي وديني لا غنی لهم عنه،  ففيها مهد الرسالة، وإليها تهفو القلوب الوالهة، وفي أعتابها تحت الخطايا.

ولم يکن البعد الاقتصادي ببعيد عن هذه العلاقة اللصيقة منذ العهد النبوي الشريف وإشراقة شمس الإسلام الساطعة، فالمصادر التاريخيّة تشير إلى هذه العلاقة الوطيدة، والتي يظهر أنها عريقة وقديمة تمتد إلى ما قبل العصـر الإسلامي، وذلك عندما کانت الصادرات الأحسائية من السلع الغذائية والمنتجات الحرفيّة المصنوعة على أيدي حرفييها المهرة ونساجها المشهورين تصدّر إلى باقي البلدان المحيطة من أقصي الجزيرة العربية إلى أقصاها من جميع الجهات، والتي منها الثياب والبرود والأدرعة، فقد کانت تستورد من الأحساء وتصدّر إلى الحجاز، ومنها مکة المکرمة، وقد اشتری رسول  الله9 منها بعض السراويل، کما يشير ابن سعد في طبقاته بأنه: بَعَثَ رَسُولِ  اللهِ9 سَلِيطَ بْنَ عَمْرِو الْعَامِرِيَّ إلى هَوْذَةَ بْنِ على الْحَنَفِيِّ يَدْعُوهُ إلى الْإِسْلَامِ وَکَتَبَ إلى النَّبِيِّ9: مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَأَجْمَلَهُ وَأَنَا شَاعِرُ قَوْمِي وَخَطِيبُهُمْ وَالْعَرَبُ تَهَابُ مَکَانِي فَاجْعَلْ لِي بَعْضَ الْأَمْرِ أَتَّبِعْكَ وَأَجَازَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرٍو بِجَائِزَةِ وَکَسَاهُ أَثْوَاباً مِنْ نَسْجِ هَجَرَ.[[224]](#footnote-224)

کما أنه وفي نفس العهد النبوي الشريف کان سماك بن حرب يشتري البز من مدينة هجر ويبيعها بالمدينة المنورة.[[225]](#footnote-225)

هذه النماذج وغيرها تبين العلاقة الوشيجة بين هجر والدار النبوية بالمدينة المنورة من حيث الاستيراد والتصدير، الأمر الذي يتخلّله التواصل الديني وأخذ التعاليم الدينية في موسم الحج.

کما أنّ العلاقة لم تکن مقتصرة على الفترة الدينية وهي موسم الحج، وإنما تجعل العلاقة التجارية التي تبقيها على تواصل دائم بالحجاز وعلى الخصوص المدينة المنورة لأخذ التعاليم الدينية وللإجابة عن التساؤلات التي ترد أو تطرأ وفق الحاجة والظرف.

لذا لم يکن موسم الحج منذ القدم لدی التجار والحجاج الأحسائيين موسماً عباديّاً فقط، وإنما هو فرصة تجارية تتمثّل في نقل البضائع التي تتميز بها هجر وبلاد البحرين بصفة عامة وبيعها في موسم الحج.

لقد ذکرت المصادر أنه في عصر الخليفة عمر بن الخطاب بلغ خراج هذه البلاد في إحدى السنوات خمسمائة ألف دينار حملها أبو هريرة من هجر إلى المدينة المنورة کما کان تجار هذه البلاد يتردّدون بمتاجرهم على مدن الحجاز بعدة سلع، من أهمّها المسك والتمور والمنسوجات.[[226]](#footnote-226)

کما أنَّ أهل البحرين کانوا يستفيدون من موسم الحج بالاتصال بالأئمة من آل  البيت: من أجل تلقّي الأحکام الشرعية والاستفسار عن أيّة مسائل عالقة لديهم.

ففي کتاب «اسد الغابة» يذکر ابن الأثير أنَّ الصحابييْن جابر بن عبيد، وأبنه عبدالله عندما حجّا، و کانا بمنى، مرّا على الإمام الحسن بن على بن أبي طالب: (ت:50هـ) للسلام عليه، فرحّب الإمام7 بجابر وأوسع له، وأجابه على سؤال فقهي کان قد سأل عنه، وجابر هذا ذکره ابن الأثير في ترجمته في کتابه «أسد الغابة»،[[227]](#footnote-227) أنه کان يسکن البحرين، وأحد الذين وفدوا على رسول الله9 في الوفادة الأولى.[[228]](#footnote-228)

وقد أولى الخلفاء في الدولة الإسلامية طريق الحج عنايةً خاصة، لما يشکّله الحج من أهمية دينية لدى المسلمين، ولما يکتنف هذا الطريق من مخاطر وصعوبات،  وما يقع فيه من اعتداءات على الحجاج أثناء التنقّل والترحال بين منزلٍ وآخر ومحطّةٍ وأخرى.

وکانت منطقة البحرين من المناطق التي أُوليت أهمية کبيرة بالعناية من قبل أمراء الحج بصفتهم أصحاب دراية وخبرة بشؤون الحج، وعلى علم واطلاع بما يکتنفه من صعوبات ومشاق وعثرات.

ففي سنة 135هـ کان أمير الحج لبلاد البحرين بجميع أجزائها سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس (82 ـ 142هـ)، فقد ولّاه الخليفة العبّاسي أبو العباس السفّاح ـ ابن أخيه ـ ولاية البصـرة وأعمالها وکور دجلة والبحرين وعمان سنة 133هـ، واستمرت ولايته حتى سنة 139هـ،[[229]](#footnote-229) وفي هذه السنة 135هـ عيّنه أميراً على الحج، ومما لا شك فيه أن البحرين التي تحت إمرته شملها برکبه ومحمله.

ومن الحوادث اللافتة التي وقعت سنة 167هـ في عهد الخليفة المهدي العباسي، حين اعتدی عرب بادية البصرة بين اليمامة والبحرين، وانتهکوا المحارم، وحين بلغ الأمر الخليفة المهدي أرسل إليهم جيشاً لمقاتلتهم، ولکنهم تکاثروا على جيش الخليفة حتى انتصروا عليه وقتلوا عامّة عسکر الخليفة المهدي، فقويت بذلك شوکتهم وازداد شرّهم وساعدهم في ذلك معرفتهم لدروب الصحراء حيث کانوا يسکنون بها ولديهم الخبرة الکافية بمفاوزها.[[230]](#footnote-230)

وهذا الطريق الذي کان يسلکه حجاج هجر قديماً يظهر أنه سلکه في تلك الحقبة معهم حجاج العراق في بعض رحلاتهم للحج، وهذا يعدّ من أقدم الاعتداء المباشر على قوافل الحجيج، مما يؤکد قدم المعاناة التي کان يلاقيها حجّاج البحرين في هذا الطريق من قطّاع الطرق التي کانت تستغل موسم الحج للسـرقة والسلب والنهب.

ولعلّ مثل هذه الحادثة وغيرها کان وراء ربط الخلفاء في الدولة العباسية بالخصوص بين إمارة البحرين الکبرى «هجر وأوال والخط» ومنطقة اليمامة، لما يعانيه الحاج بين هاتين المنطقتين من صعوبات ومشاکل في الطريق جعل الخلافة العباسية تلتفت لأهمية الربط بين الولايتين تحت إدارة واحدة تتولى شؤونهم وتحفظ الطريق بينهما،  حيث بلغ الأمر من الأهمية أن جعلت له ولاية تعني برعايته وحمايته من قطّاع الطرق والسُّرَّاق، «ففي عهد الخليفة العباسي الواثق أبي جعفر هارون بن محمد المعتصم (227ـ232هـ)، عام 231هـ، عُقِدَ لأحمد بن سعيد بن سلم الباهلي على الثغور والعواصم وأُوکل إليه ولاية اليمامة والبحرين وطريق مکة»،[[231]](#footnote-231) ثم ولي المنصب بعدها أسحاق بن إبراهيم بن أبي خميصة والذي کانَ أيضاً والياً على اليمامة والبحرين وطريق الحج.[[232]](#footnote-232)

وحيث أنَّ قطع طريق الحاج يعدّ من أهم المشاکل التي کانت بحاجة إلى ضبطها في خلافة الواثق العبّاسي، سواء على (الجادة) الکوفة مکة المکرمة، وطريق البصـرة الذي کان يضم إليه طريق اليمامة والبحرين ومنطقة نجد بصفة عامة من قبل قبائل بني سليم و غيرهم من الأعراب، وذلك في سنة 230هـ، إذ بلغ بهم الأمر الوصول إلى المدينة المنورة ونهبوا أسواقها وفعلوا بها الأفاعيل. بالإضافة إلى استحواذهم على المناهل والقرى الواقعة بالطريق الذي يربط بين الحرمين الشـريفين، ولم يتمکن من القضاء عليهم إلّا بعدما أرسل إليهم قائده الترکي بغا الذي يعد أحد أبرز القوّاد في الدولة العباسية حينها، وتوجه بعهدها إلى مکة المکرمة لأداء فريضة الحج وهناك التقى بأمير الحج فيها أمير الحرمين الشريفين محمد بن داود العباسي، وکان معه متولياً لأحداث الموسم إسحاق بن إبراهيم ابن مصعب بن خبيصة مولى بني قشير والذي کان يشغل منصب إمارة اليمامة والبحرين وطريق مکة المکرمة،[[233]](#footnote-233) لتدور بينهم مباحثات ومشاورات حول کيفية إدارة شؤون الحاج وطريقه، أمام الاعتداءات المتکررة عليه.

وفي عهد الخليفة المتوکل جعفر بن محمد بن هارون (232ـ247هـ)، کذلك نصب محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب على اليمامة والبحرين وطريق الحاج.[[234]](#footnote-234)

وما لا شك فيه إنّ طريق الحج الأحسائي مشمول بهذه المسؤولية، خاصة وأنه ممتد من الأحساء إلى اليمامة إلى الديار المقدسة، مما يجعله في حالة إشراف مباشر على سلامة وأمن طريق الحاج أمام المشاکل التي تعترضه.

کما يؤکّد أنّ الخلافة العباسية کانت تعني بشکل مباشر بهذا الطريق لما وجدت له من أهمية ولکثرة من يرد على هذا الطريق من الحجاج من مختلف المناطق الشـرقية للجزيرة العربية، إضافةً إلى بعض الحجاج الذين يأتون إليها عن طريق البحر من الفرس والهنود وغيرها من المناطق المختلفة، حتى عدّ طريق حاج الأحساء «هجر» أحد الطرق الرئيسية إلى الحج، لأنه الطريق الرئيسي للقادمين من الجانب الشرقي.

وکانت مهمة العناية بطريق الحاج في العصور الإسلامية الأولى توکل إلى والي اليمامة، فکان يقوم بتعيين عمال الطرق والمياه ومراقبة المسالك المنوطة به في طريق الحاج، وقد ظهرت هذه العناية في الدولة الإسلامية في وقت مبکر، وحظيت موارد المياه الواقعة عليه بالمراقبة، فقد طرحت إحدی القبائل العربية عاملاً لبني أمية اسمه «مجالد» أساء معاملتهم في قعر البئر ليلاً، فقال شاعرهم:

نحن طرحناه بلا وسائدْ

بجمّةِ البئرِورغم القائدْ

وتوحي کلمة «قائد» بأن عامل الماء تصاحبه ثلة من الحرس بقائدها.[[235]](#footnote-235)

ومن المهام التي توکل لوالي اليمامة حفظ الأمن والسلامة على طريق الحاج لما يتمتّع به هذا الطريق من أهمية قصوى للدولة الإسلامية، لذا تزوّد الدولة الوالي بالشرطة ورجال الأمن، ويکون له نظراء ومعرّفون وغيرهم مما يساهم وجودهم في انتشار الأمن، وکان على الوالي أن يندب من يجد فيه الحزم والکفاية على شرطة الطريق، فکان ممن ولي شرطة اليمامة عبد الله بن حکّام، وکان عليه تتبع اللصوص وقُطّاع الطرق والضرب على أيديهم.[[236]](#footnote-236)

دولة القرامطة (281 ـ 469هـ)

نشأت الدولة القرمطية نشأةً قوية جعلها تمتد بنفوذها على رقعة کبيرة من جسد الدولة الإسلامية، في ظل ضعف الدولة العباسية وترهّلها، فقد انطلقت من الکوفة إلى الشام ومن الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى عمان ومن عمان إلى الأحساء. هذا الامتداد الکبير والأثر الجسيم الذي خلّفته في مکة من قتل للحاج ومن سرقةٍللحجر الأسود، جعل دولة القرامطة جديرةً بالدراسة والبحث والتأمل بغرض فهم هذا المجتمع وما يعتوره من انحراف فکري کبير کانت غارقةً فيه.

لهذا کتبت حولها الدراسات والکتب التي تتناول النشأة والتطور والبنية الفکرية لها وعلاقتها بالدولة الإسماعيلية، التي طفا عليها التجاذب حيناً والتنافر حيناً آخر.

النشأة:

بدأت نشأتهم وفقاً لرأي معظم من کتب عنهم في سواد الکوفة، ثم توسّعوا وانتشروا لتطأ أقدامهم مناطق مختلفة کالشام والعراق واليمن وهجر وعمان و غيرها، وعن نشأتها يقول سعد القمي في کتاب: «المقالات والفرق»: «وتشعّب بذلك فرقة... ممن قال بإمامة محمد بن إسماعيل تسمى القرامطة، سُمّيت بذلك لرئيسٍ کان لهم من أهل السواد من الأنباط کان يلقّب بقرمطوية».[[237]](#footnote-237)

بينما يقول ثابت بن سنان أنها نسبة إلى رجل: «کان في القرية رجل يدعی «کرميته» لحمرة عينيه، ... ثم خفف فقيل قرمط»،[[238]](#footnote-238) ومن هذا الرجل اشتق اسم القرمطة».

أما أبن العديم في کتابه: «بغية الطالب» يقول: «وإنما سموا القرامطة: زعموا أنهم يدعون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر بن علي، و نسبوا إلى قرمط، وهو حمدان بن الأشعث،  کان بسواد الکوفة، وإنما سمي قرمطاً لأنه کان رجلاً قصيراً وکان رجلاه  قصيرتين، وکان خطوه متقارباً، فسمي بهذا السبب قرمطاً».[[239]](#footnote-239)

وعن مبدأ نشأتهم يقول ثابت بن سنان ابن قرة الصابئ (ت865هـ): «في سنة مائتين وثمانية وسبعين من الهجرة، فيها تحرّك بسواد الکوفة قومٌ يعرفون بالقرامطة، وکان مبتدأ أمرهم فيما ذکر أنّ زعيم هذه الطائفة قدم من بلدة من خوزستان إلى عاصمة الکوفة».[[240]](#footnote-240)

بينما يذهب ابن القيم الجوزي في سبب تسميتهم بالقرامطة إلى ستة أقوال، منها إن أول من أشار لهم بذلك محمد الوراق المقرمط وکان کوفياً.[[241]](#footnote-241)

والذي نستفيده من هذه الأقوال إنّ القرامطة کانت نشأتها بسواد الکوفة  سنة 278هـ، ثم توسعت إلى الشام، وقوت شوکتها في الأحساء التي هي محل ترکيزنا وبحثنا والذي يعنينا من تاريخ القرامطة وصلته بتاريخ الحاج الأحسائي.

ظهور القرامطة في هجر:

من الشخصيات التي علقت بذاکرة الأحساء السياسية خلال فترة حکم القرامطة والتي امتدّت لقرابة القرنيْن من الزمان (281 ـ 469هـ)، والتي کان لها دور بارز في صناعة  الأحداث التي شکّلت منعطفاً تاريخياً هامّاً ولافتاً لتلك المرحلة الحسّاسة... ما يلي:

أبوسعيد الجنابي:

بدأت القرامطة في البحرين على يد أبي سعيد الجنابي القرمطي الذي خرج في هجر سنة 281هـ، وجعلها منطلقاً لحرکته وهجماته،  واستطاع أن يکوِّن له جماعة تلتفّ حوله، بعدها شَرَع في تصفية  أعدائه أو من لا يؤمنون بدعوته، حتى بسط نفوذه عليها، بعدها انطلق إلى القطيف ليمارس معها نفس المنهج الدموي من القتل والسلب والنهب، حتى انضوت تحت سلطته، فبنى سلطته ودولته على بثّ الرعب في قلوب الآمنين عن طريق التصفية الجسديّة وهدم وتخريب الدور وحرق النسل والزرع مما جعل اسمه منبعثاً للرعب والهلع في القلوب، وقد رکّز جهة إرعابه على طريق الحجاج، لکونه المکان الذي يلتقي فيه الناس من جميع الأقطار، فقام بإنشاء عاصمة جديدة  لدولته في هجر سماها «المؤمنية»،  ثم أخذ في توسعة مملکته ليتجه شمالاً إلى البصرة ليستحوذ المناطق القريبة منها،  وهکذا علا صيته واشتهر اسمه، وأصبح محل خشية الجميع لسطوته وجبروته وقوة بطشه.

ففي أحداث سنة 287هـ، يقول ابن مسکويه:

«ودخلت سنة سبع وثمانين ومائتين وفيها غلظ أمر القرامطة بالبحرين وأغاروا على نواحي هجر وقرب بعضهم من نواحي البصرة، ولّي المعتضد العبّاس بن عمرو الغنوي اليمامة والبحرين لمحاربة أبي سعيد الجنابي والقرامطة، وضمّ إليه زهاء ألفيْ رجل، فشخص العبّاس إلى البصرة ومنها إلى البحرين واليمامة».[[242]](#footnote-242)

هنا أدرکت الخلافة العباسية  مدی نفوذ الدولة القرمطية وأنها في توسع دائم وخطرها الجسيم عليها،  لذا عمد الخليفة  المعتضد إلى إحضار العباس بن عمرو الغنوي من بلاد فارس وتعيينه أميراً على البحرين واليمامة بغرض التصدي للقرامطة وکسـر شوکتهم.

ولإنجاح المعرکة استعان الغنوي بجندٍ من البصرة،  فانضم إليه ألف فارس منها وسار لمواجهة الجنابي، ولکن لم يحالفه الحظ وهزم ومني بخسارة کبيرة في الجند قبض على إثرها عليه وسلب جميع جيشه من قبل قرامطة هجر.

وفي سنة 301هـ، قُتِلَ أبوسعيد الحسن بن بهرام الجنابي على يد خادمه في الحمام.[[243]](#footnote-243)

أبو طاهر سليمان الجنابي:

استطاع أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي الاستيلاء على هجر والقطيف وسائر بلاد البحرين، بعد أن نحّي أخاه سعيد عن السلطة الذي لم يکن يرتضي النهج الذي سلکه والده من العدوان على الحجيج وسياسة النهب والسلب الأمر الذي جعله غير مرضي لدى القرامطة، فنُحِّي وَجُعِلَ أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان مکانه.

وکان شخصيةً قوية يتمتع بذکاء حاد، وبطش شديد، ففي سنة 312هـ توجّه في جيش کبيرٍ إلى مکة المکرمة بعد انقضاء موسم الحج بغرض سلب الحاج أثناء رجوعهم من الديار المقدسة. يقول ثابت بن سنان: «تحرّك أبو طاهر القرمطي إلى الهبير، ومعه جيش عرموم، ليلقى الحج في رجوعه في مکة، فأوقع بقافلة تقدمت معظم الحاج، وکان فيها خلق کثير من أهل بغداد وغيرهم، فنهبهم».[[244]](#footnote-244)

الأمر الذي أدخل الرعب في قلوب حاج العراق، فقرر من تأخر منهم تغيير الطريق متخذين طريق الکوفة، فما کان من أبي طاهر إلّا أن کمن لهم وأوقع بهم القرامطة وأخذوهم وأوقعوا فيه القتل، وساق أبو طاهر معه جميع جمال الحاج، وما أراد من الأمتعة والمال والنساء والصبيان، وساقهم معه إلى هجر، وترك من بقي من الحاج في موضعهم حتى مات معظمهم من الجوع والعطش وحرّ الشمس، وکان حينها عمر أبوطاهر سبع عشرة سنة.[[245]](#footnote-245)

وهنا قد استشري شرّ القرامطة أيّما استشـراء، وعلى الخصوص أبو طاهر القرمطي، فعمد الخليفة کواحدة من الخطوات العملية لمواجهة قرامطة البحرين أن نصب يوسف بن أبي الساج على نواحي المشرق من هجر والخط واليمامة، وأذن له في جباية أموالها وصرفها على قواده وجنده، وسيره إلى واسط ليسير إلى هجر، لمحاربة أبي طاهر الجنابي، کما جعل له خراج قم وقاشان، وماه البصرة، وماه الکوفة، وماه سبذان ليجري منها نفقات تجهيز المعرکة.[[246]](#footnote-246)

وهذا يعطي نظرة عن القوة التي بلغها القرامطة في البحرين من حيث القوة والعناد وکثرة  الجند ليکون الاستعداد لها بهذه الإمکانيات الکبيرة.

لتدور المعرکة رحاها سنة 315هـ،  فکانت الغلبة حليفةً لأبي طاهر الذي هزم جيش يوسف وقام بأسره، والکثير من أصحابه، وفي هذه السنة امتنع أهل العراق من الحج.

الاعتداء على مکة المکرمة:

وکان الاعتداء الأکبر للقرامطة على الديار المقدسة في مکة سنة 317هـ، وقد خرج رکب الحاج من بغداد وأمير الحاج حينها منصور الديلمي، فلحقهم القرامطة يوم «التروية» يقول ثابت بن سنان: «فلحقهم أبو طاهر القرمطي بمکة يوم التروية، أي قبل طلوعهم عرفات بساعاتٍ قليلة، فقاتلهم أمير مکة ومن معه، ولم يکن إلّا القليل حتى هزمهم، وأعمل فيهم السيف، ونهب الحجيج، وقتل الحجاج حتى في المسجد الحرام، وفي البيت نفسه، ورمى القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت بجثث القتلى، وخلع باب الکعبة ووقف يلعب بسيفه على باب الکعبة، وينشد ويقول:

أنا باللهِ وباللهِ أنا

يخلق الخلقَ وأفنيهم أنا

وصعد رجل ليخلع ميزاب البيت، فوقع صريعاً ميتاً،  ودفن باقي القتلی في المسجد الحرام بدون تکفين، ولا صلّي عليهم، وأخذ کسوة الکعبة فقسّمها بين أصحابه،  ونهب دور أهل مکة، وخلع الحجر الأسود من البيت، فوضعه على سبعين جمل، فسيّرهم به... إلى هجر».[[247]](#footnote-247)

وظلّ الأمر في يد القرامطة مما جعل الحجّاج يتهيبون من الذهاب إلى مکة، يقول ابن خلدون بعد سنة 320هـ:

«وانقطع الحج من العراق بعدها إلى أن کاتبَ أبو علي يحيى الفاطمي سنة سبع وعشرين من العراق أبا طاهر القرمطي أن يطلق السبيل للحجاج على مکسٍ،[[248]](#footnote-248) يأخذه منهم، وکان أبوطاهر يعظّمه لدينه ويؤمله فأجابه إلى ذلك وأخذ المکس من الحجاج ولم يعهد مثله في الإسلام وخطب في هذه السنة بمکة  للراضي بن المقتدر وفي سنة تسع وعشرين لأخيه المقتضي من بعده ولم يصل رکب العراق في هذه السنين من القرامطة، ثم ولي المستکفي بن المکتفي سنة ثلاث وثلاثين على يد توروز أمير الأمراء ببغداد، بخرج الحاج في هذه السنة لمهادنة القرامطة بعد أبي طاهر ثم خطب للمطيع ابن المقتدر بمکة مع معز الدولة سنة أربع وثلاثين، وذلك عندما استولى معز الدولة ببغداد وقلع عين المستکفي واعتقله ثم تعطل الحج بسبب القرامطة، وردوا الحجر الأسود سنة تسع وثلاثين بأمر المنصور العلوي صاحب إفريقية وخطابه في ذلك لأميرهم أحمد بن أبي سعيد ثم جاء الحاج إلى مکة  سنة ثنتين وأربعين مع أمير من العراق وأمير من مصر».[[249]](#footnote-249)

يصف «ناصرخسرو» مدينة الأحساء في القرن الخامس الهجري فيقول:

«ومن اليمامة إلى الحسا أربعون فرسخاً، ولا يتيسّر الذّهاب إليها إلّا في فصل الشتَاء حِين تتجمّع مياه المطر فيشرب الناس منها،  ولا يکون ذلك في الصَّيف، والحسا مَدِينَةٌ فِي الصحراء، ولبلوغها من أَي طريق ينبغي اجتياز صحراء واسعة والبصـرة أقرب البلاد الإسلامية التي بهَا سلطنة إلى الحسا وبينهما خمسون ومائة فَرسَخ وَلم يقصد سلطان من البصرة الحسا أبداً، والحسا مدينة وسواد أيضاً وبها قلعة ويحيط بهَا أربعة أسوار قوية متعاقبة من اللَّبن المُحکم البناء بين کل اثنين منها مَا يقرب من فَرسَخ، وفي المدينة عيون مَاء عظيمة تکفي کل منها لإدارة خمس سواق ويستهلك کل هذا المَاء بهَا فلا يخرج منها ووسط القلعة مدينة جميلة بها کل وسائل الحياة التي في المدن الکبيرة وفيهَا أَکثر من عشرين ألف محارب، وقيل إِنّ سلطانهم کان شريفاً وقد ردّهم عن الإسلام، وقال إني أعفيتکم من الصلاة والصوم ودعاهم إلى أنّ مرجعهم لَا يکون إلّا إليه وإسمه أَبُو سعيد وَحين يسألون عَن مذهبهم يقولون: إنا أبوسعيديون! وهم لا يصلون ولا يصومون ولکنهم يقرّونَ بمحمدٍ المصطفی9 وبرسالته،  وقد قال لهم أبوسعيد: إني أرجع إليکم، يعني بعد الوفاة وقبره داخل المدينة».[[250]](#footnote-250)

ثم يصف ناصر خسرو في «سفرنامه» من کان قد نذر نفسه لتعهد الحاج في دولة القرامطة رغم ما يحفّ الأمر من مخاطر، فيقول:

«وليس في مدينة الحسا  مسجد جمعة ولا تقام بها صلاة ذو خطبة إلّا أَن رجلاً فارسياً اسمه علي بن أحمد بنی مسجداً وهو مسلم حاجٌ غنِيٌ کَانَ يتعهد الحجاج الذين يبلغون الحسا».[[251]](#footnote-251)

ومثل هذا الوصف الذي ذکره ناصر خسرو لا يمکن القبول به بالمطلق وحمله على المسلّمات، والحکم على تاريخ منطقة ذات تاريخ إسلامي حافل بهذه السطحية والفکر الساذج، وأنهم يصبحون بين ليلة و ضحاها کفّاراً لا يقيمون الصلاة ولا يصومون متناسين تاريخاً إسلامياً حافلاً سطّرته قبيلة عبد القيس في التاريخ الإسلامي، وإنما يمکن حمل قوله إنّ ناصرخسرو جاء في حقبة رعب وخوف شديد کان الناس يتستّرون على معتقداتهم ودينهم خشية القرامطة الشديدة الفتك بکلّ معارض لها و لمنهجها.

کما أنَّ نظرة ناصرخسرو يمکن حملها على أنه احتكّ بفلول القرامطة الوافدين على المنطقة، وليس الأهالي الوادعين و من دخل آبائهم في الإسلام طواعية غير مکرهين ولا مجبرين، فسطّروا تاريخاً مشرّفاً في صفوف القتال بين يدي رسول  الله9 ومن جاء بعدها من الخلفاء، عبر مشارکتهم في الفتوحات الإسلامية في مختلف الأقطار.

وهکذا استمر القرامطة في تماديهم نحو الديار المقدسة بالقتل تارة والنهب والسلب تارة أخرى، ورغم اختلاف النظرات حول القرامطة ودورهم وانتمائهم الفکري،  تبقي بصمتهم السيئة واضحة وقويّة على بلاد الحرمين، لم يغسلها إلّا القضاء عليهم إلى الأبد على يد البطل الأحسائي عبد الله بن علي العيوني ليؤسّس لدولة جديدة فتية عرفت بالدولة العيونية نهضت على أنقاض الدولة القرمطية.

الدولة العيونيّة (469ـ636هـ)، نبذة تاريخيّة:

قامت الدولة العيونية على أنقاض الدولة القرمطية بعد آن ثار عليها الأمير عبدالله بن علي العيوني، وذلك مع بداية اتمام 461هـ، يدعمه في ذلك أبناء عمّه من قبيلة عبد القيس وأبناء عشيرته العيونية، وقد قام بشنّ عدّة هجمات على الأحساء، إلّا أنه لم يظفر بها، حتى استعان بالدولة العباسية التي أمدته بجيشِ قوامه سبعة آلاف مقاتل، بعد آن وافق السلطان السلجوقي جلال الدولة  أبو الفتوح ملکشاه على إرسالها لحرب القرامطة بقيادة إکسلار الذي توجه إلى الأحساء عام 469هـ.

وهکذا استمر في شنّ الهجمات بغرض الاستيلاء على القطيف والأحساء إلى استطاع السيطرة عليهما، ونصَّب نفسه حاکماً على بلاد البحرين؛ في تفاصيل ذکرتها الکتب، لتحظی المنطقة بسلطة وحکومة جديدة.

أبرز الحکّام العيونيين:

تعاقب على حکم الدولة العيونية والتي استمرّت قرابة 167 عاماً أکثر من عشرين حاکماً عيونيّاً، وذلك ابتداءً من تأسيسها عام 469هـ على يد أميرها عبد الله بن علي العيوني وحتی اضمحلالها إثر الأخطار الخارجيّة والنزاعات الداخليّة في عهد الأمير عماد الدين محمد بن مسعود بن أحمد سنة 636هـ.

وفي خضم هذه السنوات الطويلة للدولة العيونية وما شابها من وقائع وأحداث هامّة  بأمکاننا أن نلحظ تذبذبها بين القوة وبسط النفوذ والضعف والترهل من خلال تسليط بعض الضوء على أبرز حاکها الذين لا يمکن تجاوزهم خلال دراسة الدولة العيونيّة نظراً للوقائع التي حدثت أبّان تسنّمهم کرسي الإمارة، وما استتبع ذلك من تداعيات سياسيّة واعتبارات مجتمعيّة فرضتها الأحداث آنذاك.

من أولئك الحکّام العيونيين ما نستعرضه في هذا الإيجاز، وهم ثلاثة أسماء شکّلت مساحة کبيرة على خارطة التاريخ للدولة العيونيّة، وهم:

الأمير عبدالله بن علي العيوني (470ـ520هـ)

وفي تفصيل موجز عن الأمير الشجاع عبدالله بن علي العيوني، إنه خلال القرن الخامس الهجري شهدت الدولة القرمطية ضعفاً کبيراً نتيجة تخلي بعض حلفائها عنها منها فتور العلاقة التي کانت تجمعها بالدولة الفاطمية، وبالتالي فُقدت حليف قوي.

کما شهدت صراعات داخلية بين أفراد الأسرة على السلطة مما شجع المعارضين للوجود القرمطي في بلاد البحرين للثورة عليهم والعمل على تقويض نفوذ هذه الدولة.

ففي بلاد البحرين بجزيرة أوال تحرك أبو البهلول العوام بن محمد الزجاج، بمحاولة الانشقاق من نفوذ القرامطة والاستقلال عن السلطة العليا في الأحساء لهم، وقد استطاع أن يحدث لهم جلية قوية.

وفي القطيف کان تحرك يحيى بن العياش من عبد القيس الذي استطاع إسقاط حکم القرامطة في القطيف وقيام إمارة آل عياش في العقد السادس من القرن الخامس الهجري، والذي اتصل بالدولة العباسية طالباً النصرة على القرامطة.

في نفس الوقت بدأ تحرك الأمير العيوني في الأحساء، والذي استطاع استثمار الأحداث لصالحه والاستفادة منها بعد أن أخذ يتهاوى ويتزعزع سلطان القرامطة في دولة مترهلة فاستطاع خلال عمل متواصل ودؤوب استمر لمدة سبع سنوات من العمل على تقويض أرکان القرامطة في المنطقة،[[252]](#footnote-252) بعد أن استعان بمختلف الأطراف المعارضة للقرامطة کالدولة العباسية والدولة السلجوقية، بل وحتی الفاطميين الذين أصبح لديهم نقمة على القرامطة، ودخل معهم في معارك عديدة بدأ بالقبائل الحليفة للقرامطة کبني عامر وفلول القرامطة في المناطق المحيطة حتى حصـر من بقي منهم في الأحساء.

وبناءً على ذلك قام بمحاصرتهم و تضييق الخناق عليهم مما جعلهم يتحصنون في الأحساء، وجعل الخيار في المفاوضات وتوقيع معاهدة مقابل السماح لهم بمغادرة البلاد، واستطاع بذلك سنة 469هـ، من الدخول قصر الإمارة، لتبدأ دولته مرحلة الاستقرار سنة 470هـ.

بعد أن قام الأمير عبد الله بالقضاء على دولة القرامطة خوّله ليکون مقبولاً لدى الخلافة العباسية من جهة والسلجوقية من جهة أخرى، ولربها استخدمته الدولة العباسية کعنصر ضغط على القبائل المنتشرة بين البصرة وبلاد البحرين التي کانت مصدراً للقلالقل؟ والفتن في جنوب العراق وعلی طول طرق الحج،[[253]](#footnote-253) لما کان يتمتع به من منعه وقوة بعد قضائه على القرامطة.

الأمير محمد أبو سنان العيوني (520 ـ 538 هـ)

تولّی أبو سنان محمد العيوني السلطة في بلاد البحرين في أعقاب اغتيال والده الفضل، فقد اشتهر هذا الأمير العيوني الشجاع ببسالته ونشاطه في القضاء على المفسدين والمعتدين في أصقاع الجزيرة العربية وعلی الخصوص المعترضين طريق الحاج، حتى قال في شأنه علي بن المقرب العيوني:

منَّا الذي أصحب المجتازَ من حلب

إلى العراقِ إلى نجدٍ إلى أَدَمَا.[[254]](#footnote-254)

فقد کانت القوافل التي تقطع الطريق بين الأحساء إلى نجد إلى مکة المکرمة تعاني من مشاکل قطّاع الطرق الذين ينهبون أمتعة العابرين ويسرقونها دون رادعٍ من دين أو خشيةٍ من سلطان، فکان له اليد الطولي في مواجهتهم والتصدّي لهم والقضاء عليهم.

يقول شارح الديوان:

«في الحديث عن محمد بن أبي سنان العيوني أنه کان على صلاتٍ قوية مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله، واشتهر بقضائه على قطاع الطرق الذين يتعرضون الحجاج في طريقهم إلى مکة، وأخذ على أيدي مفسدي العرب حتى صار الراکب يسير إلى عمان من الأحساء وإلی العراق وإلی نجد وإلی الشام فلا يفزعه أحد، وکذلك القافلة أين أدرکها الليل باتت لا تخاف من أحد».[[255]](#footnote-255)

أثر مقتل أبي سنان العيوني:

مقتل الأمير محمد بن الفضل أبوسنان سنة 538هـ، يعدّ بمقام الضربة القوية للدولة العيونية، وبداية تفکك أجزاء الدولة العيونية، ففي الأحساء تولی الأمير علي بن عبدالله العيوني مقاليد الحکم والذي بايعه أهلها لکونه أکبر أفراد البيت العيوني، في حين تمکن الأمير الحسن بن عبدالله العيوني من السيطرة على جزيرة أوال بعد معرکة الأحساء، أما القطيف فقد بايع أهلها الأمير غرير بن الفضل شقيق الأمير أبي سنان بن الفضل العيوني.[[256]](#footnote-256)

الأمر الذي نجم تفکك الدولة العيونية إلى ثلاث دويلات، مما فتح المجال أمام البدو والقبائل المحيطة بها أن تستغل هذا الضعف لصالحها، غير عابئة بتاريخ العلاقة الطيبة بينها والدولة العيونية السابقة، طالما وجود فرصة لصالحها لممارسة النهب والسلب.

فعلی سبيل المثال العلاقة التي بين العيونيين وأمراء ربيعة تحولت من حالت الحبّ والودّ إلى العداء بعدما خرج أمراء ربيعة عن طاعة الدولة العيونية ونفوذها، وأصبحوا يهدّدوا طرق التجارة والحجيج.[[257]](#footnote-257)

ولم تهدأ تلك الفوضی إلّا مع إطلالة عام 587هـ، بصعود الأمير محمد بن أحمد العيوني الذي أعاد للدولة العيونية مجدها وکان بمثابة المؤسس الثاني للدولة العيونية.

الأمير محمد بن أحمد العيوني (587ـ605هـ):

هو الأمير محمد بن أبي الحسين أحمد بن محمد بن الفضل بن عبدالله العيوني، ثاني أبرز شخصية في تاريخ الدولة العيونية بعد المؤسس الأمير عبدالله بن علي العيوني لما قام به من تثبيت دعائم الدولة، وتنظيم إدارتها، فقد استطاعت الدولة العيونية في عهده أن تحافظ على مکانتها وسمعتها في الجزيرة العربية کقوة حامية عن الحجاج وطرق الحاج ضد قطاع الطرق واللصوص المنتشرين في ربوع الجزيرة العربية والذين کانوا يثقلون کاهل الحجاج بالضرائب، وسلب المال، وقد يصل إلى القتل أحياناً.

لذا شجع الخليفة العباسي الناصر أمير البحرين محمد بن أحمد العيوني على قمع بعض القبائل العربية القاطنة في بلاد البحرين وجنوب العراق التي تشکل خطراً على طرق القوافل الممتدة من العراق عبر الجزيرة العربية، وعهد إليه حماية أرياف البصـرة وخفارة الحاج.

ومقابل ذلك فرض له الخليفة السلجوقي الناصر لدين الله: «کلّ سنة من ديوان الزمام ببغداد ألفاً ومائتي ثوب من معمول مصر وخوارزم وأکثرها أبريشم، وفرض له في البصرة ألفاً وخمسمائة حمل حنطة وشعيراً وأرز وتمر مدة حياته».[[258]](#footnote-258)

وهذا يؤکّد متن العلاقة بين الخليفة الناصر والأمير العيوني الذي اثبت وجوده، وللمصالح المشترکة بين الطرفين.

وقد تجلَّی دول الأمير الأحسائي في أحداث سنة 598هـ، بالتصدّي لتحالف قبل من بني ربيعة بزعامة دهمش ابن أجود وزعماء آخرين، وشارکتهم بعض بطون طيئ و زبيد. ويبدو أنّ من أسباب قيام الأمير العيوني بهذا العمل قيام تلك القبائل بمهاجمة أراضي عقيل في جنوب العراق وفي منطقة الفرات.

وکانت قبائل عقيل متحالفة مع الأمير العيوني، بل قيل: إنّ الأمير محمداً کانت له الزعامة على تلك القبائل، ولهذا فقد بعثوا إلى الأمير العيوني يستنهضونه على محاربة قبائل ربيعة وحلفائهم.

غير أنّ سبباً آخر ربما کان الدافع الرئيس لأمير البحرين لمحاربة تلك القبائل، فقد اشتکی الحاج من بطش قبائل طيئ بقوافل الحج ونهبها، فأرسل الخليفة الناصر رسولاً إلى الأمير العيوني يحثّه على النهوض للتصدي لهم وقتالهم، فاستجاب أمير البحرين لذلك، وجمع جيشاً عظيماً من قبائل البحرين، وزحف بهم شمالاً في اتجاه مواطن طيئ وخلفائهم بعد أن انضمت إليه بطون عقيل، والتقی الأمير العيوني التحالف القبلي بالقرب من الکوفة، واستطاع الأمير محمد أن يلحق بهم هزيمةً مريرة اضطر زعيمهم دهمش للالتجاء إلى قبر الإمام علي7 بالنجف، فحاصره الأمير العيوني، ثم قبض عليه، وأرسله إلى الخليفة العباسي الذي طلب منه عدم التعرّض للحاج، فاستجاب لذلك، فاطلق سراحه.[[259]](#footnote-259)

ولم يکتفِ الأمير بالقتال والمواجهة وإنما سعی لتسهيل طريق الحاج وحماية القوافل قام بکسب وجذب القبائل التي تقطن الصحراء ومنهم بنو عامر بن صعصعة وعائذ وخفاجة وقبيلة قيس وقبيلة ربيعة.[[260]](#footnote-260)

وهؤلاء القبائل کانت لهم سيطرة تامة على صحراء الأحساء والطريق المتجه نحو تهامة وعمان، وهذا دليل على نفوذ وسيطرة الدولة العيونية في عهد هذا الأمير يقول الحميدان: «لذا فقد وصف ابن المقرب في إحدي قصائده بلاد البحرين بأنها أرض عامر لأنهم أهل البادية وأصحاب خفارتها.

إنّ خضوع الحکّام العيونيين لمطالب بني عامر مؤشر واضح على عجزهم عن إخضاعهم بالقوة لذا فقد فضلوا اتباع سياسة لاترضية معهم. وأنّ ذلك يمکن أن يترجم على أنّ بني عامر قد أصبحوا يتحملون مسئولية حماية  أرياف البحرين وقوافل التجّار والحجاج مقابل مبالغ معينة يحصلونها من المزارعين والتجّار والسلطة الحاکمة».[[261]](#footnote-261)

ولعلّ من أبرز معالم نهضة وقوة الأمير محمد أنَّه استطاع فرض نفوذه وسيطرته على جنوب العراق، ونجد وبعض بادية الشام، کما وحّد البحرين وجعل القبائل القاطنة في باديتها طوع أمره، وقد خشي الجميع مواجهته أو عصيانه، فاستطاع بذلك الحفاظ على أمن المدن والقرى في بلاد البحرين التي عانت فيما مضی من هجوم تلك القبائل وتحرشها بالبساتين والزروع.

ما استطاع الأمير تأمين طريق الحج الذي يأتي من العراق أو ينطلق من البحرين إلى بيت الله الحرام حيث خضعت تلك المنطقة لنفوذه وسيطرته، مما زاد من علاقات الودّ مع الخليفة العباسي.[[262]](#footnote-262)

کما يمکن القول إنّ من أفضل مميزات عصر الأمير محمد، تمتع حجاج بيت الله الحرام بالأمن والطمأنينة في ذهابهم أو قدومهم من البيت الحرام، حيث عمل الأمير على توفير سبل السلامة وتأمين الطرق من القبائل العابثة بالحجاج، فلم تجرؤ أي قبيلة على المساس بروّاد بيت الله حتى مات الأمير محمد.[[263]](#footnote-263)

الإمارة العصفورية (630هـ ـ خلال القرن الثامن الهجري)

يرجع نسب الإمارة العصفورية إلى زعيمهما الشيخ عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة (عقيلة) بن شبانة بن قديمة بن شبانه بن عامر.[[264]](#footnote-264)

فکانت القطيف أول محطات سيطرتهم على المنطقة، فقد خضعت لسلطتهم سنة 630هـ، ثم کان لهم السيطرة على الأحساء بعد دخولها دخول الفاتحين على يد زعيمها الشيخ عصفور بن راشد بن عميرة، وذلك بعد أن تواطأ أيان؟ الأحساء واتفقوا على تسلم المدينة لزعيم بني عامر القوي عصفور بن راشد.

ذکر القلقشندي نصّاً يدلُّ على سيطرة العصفوريين على الأحساء في تلك الفترة حيث قال: «وقد ملکوا البحرين بعد بني أبي الحسين، غلبوا عليها تغلباً، قال ابن سعيد: «وکان ملکهم في نحو الخمسين من المائة السابعة، ملکها منهم عصفور وبنوه»، ثم زاد القلقشندي في موضع آخر، وقال: «وهم أصحاب الأحساء وهي دار ملکهم».[[265]](#footnote-265)

قامت الدولة العصفورية في أعقاب نهاية الدولة العيونية، وفي هذه المرحلة لم نعرف الکثير عن دورهم في قيادة الحجاج إلى بلاد الحرمين، سوى ما ذکره ابن خلدون (ت808هـ)، عن بن سعيد أنه التقى برکب البحرين في المدينة النبوية فسألهم: «سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة النبوية سنة إحدى وخمسين وستمائة عن البحرين، فقالوا الملك فيها لبني عامر بن عوف بن عامر بن عقيل، وبنو تغلب من جملة رعاياهم، وبنو عصفور منهم أصحاب الأحساء».[[266]](#footnote-266)

وبالرغم من ندرة المعلومات عن إمارة العصفوريين في الأحساء، فضلاً عن معالم الحج الأحسائي في عصرهم، إلّا أننا نستطيع أن نتکهّن إنّ الحج نَعُمَ بالأمن فترة العصفوريين، لا أقلّاً من البدو والأعراب في المناطق المحيطة والواقعة بين الأحساء واليمامة، وذلك بعد أن بسطوا نفوذهم إلى اليمامة وخضعت المنطقة لسيطرتهم وحمايتهم.

وقد امتدت سيطرة الدولة العصفورية على إقليم نجد وأرض اليمامة من بني کلاب،[[267]](#footnote-267) يدلّ على خضوع إقليم اليمامة (نجد) لسيطرة العصفوريين حوالي عام650هـ، والجدير بالذکر هنا أنّ ابن سعيد ـ الذي أشار إلى نفوذ العصفوريين ـ زار الشرق بين عامي 648 ـ 652هـ، ومن تلك المدن التي زارها المدينة المنورة عام 651هـ، ووصف ابن سعيد الحياة في نجد وبلاد البحرين وصفاً دقيقاً من خلال الأشخاص المقيمين في تلك المناطق، والذين قابلهم في مدينة الرسول، وکتب ما دوّنه بناءً على وصفهم، فکان مما دوّنه قوله: «بين القطيف واليمامة مجالات بني عامر، ولم يبق معهم لأحد من العرب عز في بلاد اليمامة والبحرين، ومنهم الآن ملوك الصقعين»، وذلك في إشارة إلى تمدّد ملکهم وقوتهم في المنطقة، وهذه المنطقة هي محل طريق الحاج الأحسائي بالمناطق التابعة لها، ومما يؤکّد هذا الکلام أنَّ الحقبة العصفورية عرفت بالرفاه الاقتصادي، وهو أمر يتطلّب الاستقرار الأمني من قطّاع الطرق واللصوص التي تتربص بالقوافل المارة ذهاباً وإياباً، والحج کفريضة دينية کانت محل عناية واهتمام في تذليل الصعاب.

وهذا الأمر لم يستمر للعصفوريين لفترة طويلة، فقد تمَّ طردهم من جنوب نجد من بيشة بقوات حاکم إقليم عسير، وبقيادة أحد ولاته وهو الوالي محمد بن سعد الشرقي، الذي أجلا القبائل النجدية عن بيشة، بل واستطاع أيضاً السيطرة على مدينة «أوضاح» جنوب نجد، والتي تقع على طريق التجارة والحجيج والتي أهتم بها العصفوريون نظراً لحرصهم الشديد على حفظ الحجيج، وتنشيط التجارة وإخضاع أهم المدن الواقعة على طرق التجارة لسيطرتهم وذلك من أجل منفعتهم الاقتصادية التي بنوا عليها قوتهم السياسية والعسکرية.[[268]](#footnote-268)

مما يؤکد ما وصل إليه العصفوريون من قوة اقتصادية تکوينهم علاقة اقتصادية بدولة المماليك في مصر والشام، يقول ابن فضل الله العمري عن تلك العلاقة في کتابه: «التعريف بالمصطلح الشريف» حيث قال: «وأما عرب البحرين فهم قوم يصلون إلى باب السلطان وصول التجار، ويجلبون جياد الخيل، وکرام المهاري، واللؤلؤ وأمتعة من أمتعة العراق والهند ويرجعون بأنواع الحباء والأنعام والقماش والسکر، وغير ذلك ويکتب لهم بالمسامحة فيردّون ويصدّون».[[269]](#footnote-269)

وهذا النص فيه عدّة  دلالات هامة من أبرزها «فيردون ويصدون» في إشارة إلى تکرار الرحلة وأنّ الصفقات الاقتصادية بينهما طويلة، وأمر آخر «من أمتعة العراق والهند» التي يحتمل أنّ بعضها کان يردهم عن طريق الحجاج الذين يصلون الديار المقدسة من طريق الأحساء، فيکون کنوع من التمويل والتجارة مبادلة البضاعة الأحسائية بيضاعة هندية أو عراقية،  فيکون منها من الوفرة أن يستفاد منه للتجارة مع المناطق الأخرى.

والجدير بالذکر أنّ الأمير العصفوري محمد بن أحمد العقدي، کان يذهب بنفسه إلى مصر لتدعيم أواصر الصداقة مع السلطان المملوکي الظاهر بيبرس.[[270]](#footnote-270)

ولم تکن العلاقة العصفورية المملوکية اقتصادية بعيدة عن القدرة العصفورية على طريق الحج والسيطرة عليه سواء عن طريق الأحساء لمن يأتون عبر البحر، أو طريق الحاج العراقي الذي کانت لهم سيطرة عليه.

يقول الدکتور محمد محمود خليل: «و لابدّ هنا من الإشارة إلى أنّ سلاطين المماليك کانوا حريصين أيضاً على تدعيم علاقتهم مع الأمراء العصفوريين، لکسب مزيد من النفع والنفوذ العسکري والاقتصادي عن طريق ما للعصفوريين من نفوذ على طريق الحجيج والتجارة في العراق والخليج الفارسي وبلاد البحرين، وما تمتعت به الإمارة العصفورية من قوة عسکرية تستطيع حماية مصالح المماليك، خاصة بعد ما دخل العصفوريون في حلف مع آل جروان أصحاب الأحساء.

ويؤکد ذلك ما أورده المقريزي في کتابه السلوك، بأن العصفوريين کانوا يتعرّضون للقوافل التجارية وقوافل الحجيج التي تسير تحت راية الدولة المغولية، وذلك لإضعاف النفوذ المغولي من ناحية ولکسب رضا السلطان المملوکي من ناحية أخرى، وذلك بناءً على أوامر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي أراد إضعاف الهيمنة المغولية في شبه الجزيرة العربية، وخاصة في المناطق الخاضعة لحلفائه العصفوريين.

ويبدو لنا أنّ السلطان المغولي أبا سعيد کان يعي ذلك الوضع جيداً لذا دخل ذلك السلطان المغولي مع السلطان المملوکي الناصر محمد بن قلاوون في صلح سنة 720هـ، وقد ذکر ذلك الصلح المؤرخ أبو الفدا في تاريخه حيث قال: «وفيها 720هـ في يوم الاثنين تاسع ذي الحجة، وصل إلى إسماعيل السلامي، رسول من جهة أبي سعيد ملك التتر، ومن جهة جوبان، وعلي شاه بهدية جلية، وتحف ومماليك وجواري مما يقارب قيمته خمسين تمانّا، والتمان هو البدرة، وهي عشرة آلاف درهم، وسار بذلك إلى السلطان [الناصر محمد بن قلاوون]».

ويبدو أنّ السلطان قلاوون بو سعيد عندما اطمأن على إصلاح العلاقات مع السلطان المملوکي قلاوون سارع بتسيير القوافل التجارية وقوافل الحجيج عبر الأراضي الخاصة لبني عصفور أحلاف المماليك.

ويوضّح المؤرخ المقريزي تلك الأحداث حيث يقول: «إنّ قافلة الحجيج العراقية خرجت من البصرة سنة 721هـ، تحت راية المغول، فقام العصفوريون وحلفاؤهم من العرب باعتراضها،  کما جرت العادة بذلك، حيث خرج العصفوريون بألف فارس من أجل نهب تلك القافلة ذات الراية المغولية.

فما کان من رئيس قافلة الحجيج العراقي إلّا أن سارع بإخبار العصفوريين ومن معهم من أحلاف، بأنّ تلك القافلة خرجت بموافقة السلطان المملوکي الناصر محمد بن قلاوون، وأنه في حالة وفاق وصلح مع السلطان المغولي أبو سعيد، ونتيجة لذلك أخلا العصفوريون سبيل تلك القافلة وتنحوا جانباً عن طريقها،  بل بالغوا في الأمر وقالوا: لأجل الناصر نخفرکم بغير شيء، فبلغت قافلة الحجيج مکة بسلام، وعندما بلغ أمر تلك القافلة السلطان المملوکي الناصر محمد بن قلاوون، سرَّ وابتهج من فعل العصفوريين وقولهم، وبالغ في الإنعام على بني عصفور».[[271]](#footnote-271)

وهذا النص يبيّن مدى اتساع السيطرة التي بلغها العصفوريون على طريق الحاج في الأحساء والعراق، وأنهم يشکلون قوة ضاربة أمام المعتدين والمخالفين لهم.

لذا و إن خفيت عنا معالم الحج الأحسائي في هذه الحقبة، لکن ندرك قدر الأمن والرحة الذي وصل إليه الحاج الأحسائي ومن يسير ضمن رکبه خلال الحقبة العصفورية.

وبالرغم من کلّ شيء يبقى تاريخ الدولة العصفورية يکتنفه الکثير من الغموض، والتساؤلات عن الموقع الجغرافي لدولتهم في مقابل الدول التي حکم الأحساء في نفس الفترة، وعن طبيعة العلاقة التي تربطهم ببعضهم البعض، ثم هل مارس العصفوريون قطع طريق الحاج أو کانوا يفرضون ضريبة على قوافل الحجيج مقابل تأمين الحماية لوصولها، وغيرها من الجوانب المختلفة، فلا زالت المصادر شحيحة عن جوانب تاريخ هذه الدولة الأحسائية التي کان لها نفوذ قوي وسلطة واسعة على أطراف الجزيرة العربية.

من أدب الحجّ

إعداد : الشيخ حسين الواثقي

الشاعر السيّد طالب الحسني الحيدري الکاظمي

قال الشيخ حسين الواثقي في کتابه: «رحلات الکرام إلی بيت الله الحرام»، الحجازيـّات، للشاعر السيّد طالب الحسني الحيدري الکاظمي، تمهيد: الحجازيّات من فنون الأدب العربي، و قد برز في هذا المجال عدّة من الأدباء منهم:

1ـ عمر بن أبي ربيعة المخزومي (ت 93هـ) وقد رُفع إلی عمر بن عبد العزيز أنّه يتعرّض لنساء الحاجّ و يتشبّب بهنّ، فنفاه إلی دهلك، ثمّ غزا في البحر، فاحترقت السفينة به وبمَن معه، فمات فيها غرقاً.

2ـ الشريف الرضي محمد بن الحسين (ت 406 هـ)، أشعر قريش، وصاحب الآثار الجليلة، منها: «نهج البلاغة» التي جمعها من الخطب والرسائل والکلم القصار لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب7؛ ومنها: ديوانه المطبوع «الحجازيات».

ولاغرو، فإنه کان منصوباً من قِبل الخليفة العباسي أميراً علی حُجَّاج المسلمين جميعاً، من سنة 380هـ إلی حين وفاته سنة 406 هـ.

وقد اعتنی بدراسة الحجازيّات للشريف الرضيّ عدّة من الأدباء ...

... وقد حجّ السيد طالب في سنة 1380هـ = 1961م، ففي رحلته إلی الديار المقدسة وعودته منها أنشأ الحجازيات وأهداها إلی المحرَّمات اللاتي حرمه من النظر إليهنّ الحياءُ من الله وحُرمةُ المکان والزمان، ووصّی أن تدفن معه هذه الأوراق؛ لأنّها شرف دنياه و ذخيرة آخرته. فهو ملتزم بأحکام الدّين المحمدي، ولکن للخيال وللشعر دنياهما. وأحد دواوينه: «من وحي آل الوحي»، وقد اختصّ الجزء الرابع منه بالحجازيّات، مطبوع في مطبعة شرکة مجموعة العدالة للطباعة والنشر، في بغداد، الطبعة الأولی، 2009م، 165صفحة.

وهذا الکتاب الجليل جدير بأن تتوجّه إليه الأنظار، ممّن يزاول النظم والأدب، وله علقة بآداب الحرمين المعظّمين.

مـن کتاب الحجـازيـّات

الموسم المقدّس:

أينَ الشـريف الرضيُ و ابنُ أبي

ربيعةٍ عن مفاتنِ الحضـَرِ

ليشهدا الموسمَ المقدسَ في

«مکةَ» في لُجةٍ من البشـر

حيثُ تطوفُ الحِسانُ محرمةً

للحجِ بيضَ الثيابِ و الأُزُرِ

کأنهن الحَمامُ منسـرباً

يمشينَ بينَ الدلالِ والخفَر

إذنْ لذابا هوَىً ولافتتنا

بما يخطُ الجمالُ من صورِ

حيثُ يغطِّي الشعاعُ أعينَنا

ويستحيلُ الحصـَى إلَى دُرَرِ

\* \* \*

کانت مرايا الوجوهِ تشغلُني

أنْ شُغلَ الآخرون بـ «الحجر»

إنْ أنا أعمضتُ عِفةً و تُقى

عصـَى فؤادي فهبَّ للنظرِ

\* \* \*

البلوى:

أستغفرُ اللهَ ربّي هل أُکلِّمُها

ونحنُ نسعى وفي عينيَّ عيناها

إذا أدرتُ لها وجهي تعاکسُني

لکنْ تريني ابتساماً حينَ ألقاها

ما کانَ أخضريشفي النفسَ موسمنا

ولم يکنْ حافلاً بالشوقِ لولاها

من نظرةٍ سحرتْ عينيَّ طلعتُها

لستُ الوحيدَ فآلافٌ ضحاياها

تدعو مفاتنُها قلبي فاتبعُها

کأنني قد نسيتُ الحجَ واللهَ

عواطفي جارياتٌ في عروقِ دمي

وتستحيلُ جحيماً عندَ لُقياها

وحقِّ بيتكَ والمسعى سعيتُ لها

والطُهرُ يشهدُ أني صرتُ أهواها

خلقتَها ـ هکذا ـ تغري أنوثتُها

فمنكَ بلواي إنْ نعشقْ وبلواها

کم امتحانِ معاناةٍ نمرُ بهِ

رفقاً بقلبينِ في وادي الهوى تاها

وعُضَّ يا ربِ طرفاً عن تهافُتِنا

ولاتؤاخذْ ضعيفاً وجهُه شاها

تُلقي الفراشةُ في نارٍ مؤججةٍ

بالنفس راضيةً والحتفُ عُقباها

من أجلِ لحظةِ إشباعٍ للذتِها

تذوبُ في ناريها طوعاً وإکراها

کلٌ يعودُ غداً لکنْ تظلُ هنا

خُطىً إليكَ بايمانٍ خطوناها

حتى لدى الموتِ لا أنسى ابتسامتَها

وفي مُحيَّايَ مُنشَّدٌ مُحيَّاها

\* \* \*

عبادة:

يُلبِّي ـ أينما وجَّهتُ وجهي ـ

لساني ذاکراً آلاءَ ربي

وحينَ يلوحُ لي وجهٌ جميلٌ

فقلبي منْ يجيبُ ومنْ يُلَبِّي

وفي کلِّ الدروبِ تملکتني

مفاتنُ حسنِها الأخَّاذِ يسبي

وما من موقفٍ إلاّ وعقلي

تجاذبَهُ الهوى من غيرِ جذبِ

وما من «مشعرٍ» إلّا وفيه

قد ارتادَ الجمالُ ضفافَ هُدبي

وحارَ القلبُ حتى صارَ نهباً

وسارَ وراءَ سربٍ بعدَ سربِ

کأني للجمالِ أتيتُ أسعى

أرى المحمولَ من شرقٍ و غربِ

فيا ربّي بصنعتِك افتتاني

بما أبدعتَه حيَّرتَ لُبِّي

إذا ما الحسنُ ألهاني و أغرى

أحاسيسـي فليس الذنبُ ذنبي

وقد علَّقت في الأضلاعِ قلباً

يحسُّ ويکتوي فرحمتُ قلبي

وقلتُ اللهُ أبدع کلَّ وجهٍ

يُحِبُ ولا حياةَ بغيري حُبِ

عبدتـُكَ بالجمالِ أراكَ فيهِ

وحسبـي أنـيَ المفتونُ حسبـي

\* \* \*

عبادة الجمال:

کلُ «المواقف» للغرامِ مواقفُ

للحسنِ ساعيها سعى و الطائفُ

فِتَنُ الجمالي و کلُّ ما هو تحفةٌ

تغري العيونَ لها هناكَ متاحفُ

من کلِّ ناحيةٍ وکلِّ قبيلةٍ

ملِکاتُ حسنِ خلفَهن وصائفُ

نطقَ الجمالُ يقولُ هل من واصفٍ

متحدياً ماذا يقولُ الواصفُ؟!

وجهٌ کلؤلؤةٍ يُضـيءُ ومثلُه

جسدٌ کلحنٍ وقعُه متآلفُ

حرَمٌ يلذُ الخائفونُ بأمنهم

فيهِ فؤادي في حماهُ الخائفُ

کم مقلةٍ دمعت وکم من مهجة

ذابت وقلبٍ فيه عِرقٌ نازفُ

ولقد يرى من غيري قصدٍ طلعة

فيغيبُ عن معنى الوقوفِ الواقفُ

ما بينَ عصيانٍ يهيمُ وطاعةٍ

قذفته في لُججِ المتاهِ قواذفُ

للوقتِ قدسٌ والمکانِ مثيلُه

ولقلبِه ولمقلتيهِ عواطفُ

ويعيشُ عالَمَ قلبِه لا ربِّهِ

في محنة کم زلَّ فيها العارفُ

وکأنه في مهرجانٍ للهوى

هو کالغريقِ تجاذبته عواصفُ

فاللهُ يجبرُ کلَّ کسـرٍ لم تفتْ

أحداً هنالكَ من سناهُ عوارفُ

مطرُ العطايا حينَ يهطلُ غامرٌ

يتنعمُ الشاتي به والصائفُ

عشقُ الجمالِ عبادةٌ قدسيّةٌ

وبغيرِ صدقٍ کلُّ عشقٍ زائفُ

\* \* \*

التوجه إلَى الله:

قطعنا الصحاري موحشاتٍ کأننا

قضينا علينا بالهلاكِ المروعِ

قدمنا وشوقٌ دافع في نفوسنا

يحفزنا والليل سکرانُ لا يعي

وأجهدَنا المسـرى وکان جهادُنا

لوجهكَ فارحمْ لوعةَ المتلوعِ

تجرِّعُنا کأسَ الردى بينَ ساعةٍ

وأخرى ونشقى موضعاً بعد موضعِ

أتينا إلى مغناك نسعى بأرؤسٍ

تعرَّتْ وعن عينيكَ لم تتبرقعِ

ترکنا وراءَ الظهرِ دنياً نحبُها

إلى أرفعِ الأبوابِ نسعى و أوسعِ

فخذ بأکفٍّ قد تقطَّعتِ العُرى

ولم يبق فيها غير ذلِّ التسکعِ

جميعُ الکُوى لي من علٍ قد تفتَّحتْ

فابصرتُ أبعادَ الجلال المبرقعِ

لمستُكَ بالکفينِ واجهني السنى

فکانَ دليلاً مقنعاً أيَ مُقنِعِ

وشعشعت الأنوارُ فيَّ کأنني

نبيٌ ولولا رحمةٌ لم تشعشعِ

وأنتَ محيطٌ بي ولستَ بحاجةٍ

لتعرفَ أني صادقٌ حينَ أدَّعي

عليم بأسراري لأنك خالقي

خبير بطاقاتي لأنكَ مبدعي

کأنّ الصحاري أبحر من متاهةٍ

وليسَ لقلبي زورقٌ غير أضلعي

جناحاي من وهم أطير إلى الذرى

ومنها تطيح الريحُ بي فوقَ بلقعِ

يقولون نسعى نحو أفضل موقع

وأنت محيط شاغل کلّ موقعِ

تعبتُ من المسـرى الحثيث ولم أجد

لرجليَّ من مرسىً أخير وموضعِ

فقدتُ ربيعَ العمرِ في عيدِ زهوه

وضِعت و قد فارقتُ أهلي و مربعي

إلى وجهك اللهم کلّ توجهي

ومن قدس الأقداس کلّ تبضعي

أتيتُ وظهري مثقل بخطيئتي

أقدِّمُ أعذاري وما شئت فاصنعِ

فهل أنت إلاّ عاذري و مسامحي

ولولاك لم تهدرْ مسارات منبعي

وهيهات مالي للأولاد و الحمى

وللأهلِ من عودٍ إذا لم تکن معي

\* \* \*

العروج:

رحلتي للحجاز رحلةُ فيضٍ

وعروجٍ إلى ذُرى الألطافِ

بجناحينِ من حنينٍ و شوقٍ

وإزارينِ من تُقىً وعفافِ

تارکاً کلّ ما أحبُ ورائي

حاملاًتوبتي وصدقَ اعترافي

خلفَ ظهري داري و قُدَّام عينيَّ

ديارُ الأجدادِ و الأسلافِ

و ذنوبي رأيتُها کوريقاتِ

خريفٍ طالته ريحُ الفيافي

طهَّرتني رعايةُ اللهِ غذَّتني

يداهُ بکلِّ صافٍ وضافِ

ولدتني ولادةً بعدَ أخرى

في سنى واقعٍ من الأطيافِ

ويطولُ المدى ولايتناهى

في السماواتِ رحلتي و طوافي

وکأني خرجتُ من هذه الأرضِ

و حلَّقتُ ناشداً أهدافي

رافعاً راحتيَّ ملتمساً

رحمةَ ربٍّ لمنْ بهِ عاذَ کافِ

صهرتني نارُ الهدايةِ صارَ

الطينُ نوراً فررتُ من خَزَّافي

\* \* \*

البيت العتيق:

وقفتُ على «البيت العتيق» فهالني

سفينةَ قدسٍ في محيط من الناسِ

عليه جلالُ الله بادٍ و نورُه

مجمَّعَ ألوانٍ و مرتادَ أجناسِ

تزاحمَ فيه الخلقُ من کلِّ وجهةٍ

ليقتبسوا أسمى وأقدسَ أقباسِ

على قدميهِ کم أتاهُ مهروَلٌ

و کم يتمنّى لو أتاهُ على الراسِ

تطوف حواليه بکلِّ تواضع

ولم تکتحل عيناك إلّا بأقداسِ

تُلامسُ بالخدِّ الجدارَ فتنتشي

کأنّك قد لامستَ أعطرَ أنفاسِ

تمرُّ عليهِ باليدينِ تعلّقاً

تُقبِّلهُ من غير وعيٍ و أحساسِ

وما هو إلّا بُنيةٌ من حجارةٍ

ولکنّها أغلى من التبـرِ و الماسِ

تساوي لديه الخلقُ عبداً وسيداً

هنالك تقوى اللهِ أعدلُ مقياسِ

تعيشُ من الخوفِ القلوبُ مآتماً

ومن أملِ الغفران تحيا بأعراسِ

\* \* \*

في الأستار:

أيها البيت أنت للتعظيمِ

ـ أهَّلتكَ السماءُ ـ والتکريمِ

الألوف الألوف نحوك تسعى

لاستلامِ الأرکانِ في تسليمِ

أينما تسقط الأکف جباهٌ

وشفاه لسادة ونجومِ

ولدى الحِجرِ قد تمثل «إسماعيلُ»

يجثو أمامَ «ابراهيمِ»

عرف الصدق في النوايا تعالى

باريُ الخلقِ من محيط عليمِ

شلَّ سکِّينةَ القضاء و نجَّى

وفدى المبتلى بذبحٍ عظيمِ

يا إلهي أستار بيتكَ منها

قد تعلقت بالرجاءِ الکريمِ

جنتُ ظمآن غلَّتي تتلظَّى

وحناياي في اشتعال الجحيمِ

فاسقني من نعيم برّك وانظر

بالتغاضي إلى العُبيدِ اللئيمِ

فوق ظهري ما يکسـر الظهر تلٌ

من ذنوبٍ وألف غاوٍ رجيمِ

فأعدني إلى دياري سليماً

وبقلبٍ من کلِّ غيٍ سليمِ

لم جد في جوارِ بيتك غير

المتعالي عليك و المذمومِ

لا ضيوفُ الرحمن هم في نجاة

من أذى جاهلٍ وحقد زنيمِ

في الأکفِ السياط تأکل لحماً

لحجيج تمسَّکوا بالحطيمِ

\* \* \*

عرفة:

في عرفات الله نحيا «عَرفَه»

اللهُ أعلى شأنَه و شرَّفَهْ،[[272]](#footnote-272)

يومٌ يحبُ اللهُ فيه من سعى

يضاعفُ الأجرَ يجيبُ من دعا

على الشفاه الحمد والثناءُ

وفي الخدودِ الدمعُ والبکاءُ

تجردَ العبدُ أمامَ ربهِ

عن بالِهِ الدنيا اختفت وقلبهِ

فکلُّهُ توجهٌ للهِ

ولم يعدْ ذاك المريدَ اللاهي

يرمي عن المتنينِ أثقالَ الخنى

معترفاً بکل ما کان جنى

أن صدقتْ نيتُه وآبا

وعادَ للهِ وقد أنابا

واللهُ منه بالذي يخفيهِ

أعلمُ إن الله يحيا فيه

يغفرُ ما مضـى من الذنوبِ

يسترُ ما فيه من العيوب

يعصمُه من ارتکابِ المعصيَهْ

مُدْنيةٌ ألطافُهُ و مُقصيه

يزرعُ فيه الحبَ للخيراتِ

موفِّقاً للصومِ والصلاةِ

يعودُ للحياةِ من جديد

يطلُ إطلالةَ صبحِ العيدِ

والله يعطي عبدَه العطايا

ويصطفي البعضَ من البرايا

دعوتُ بالذي دعا الحسينُ

وهو شفيعي لو يحينُ الحَيْن

کلامُه وحيٌ من القرآنِ

ومثلهُ عالٍ عظيمُ الشانِ،[[273]](#footnote-273)

وکان من جواهرِ الکلامِ

يصدرُ عن معجزةٍ امامِ

\* \* \*

في رحاب الحجَر الأسعد:

تذکّرتُ «زين العابدين» وقد سعى

إلى «الحجَرِ» المعهودِ والناسُ أفواجُ

فأخلَوا طريقاً موصلاً لاستلامه

کما انحسرت عن شاطئ البحرِ أمواجُ

لکانَ هو الساعي إليه لو أنه

يعي وهو صخرٌ للأحاسيسِ محتاجُ

هوى عارفيه هزَّهم وولاؤهم

فلم تبقَ أقفالٌ تحولُ و أزلاجُ

وعاد هشام خائباً متعثراً

وقد عاقه بحرٌ من الناسِ عجّاجُ

ولم يغنِه ملكٌ وجندٌ وقوةٌ

فأقعى ککلبٍ وهو غضبان مهتاجُ

تجاهل زينَ العابدين وهالَه

جلالٌ تغشاه من الله وهّاجُ

وقد زاده شعر الفرزدق ثورةً

وفي الشعرِ إسراءٌ لحقٍ ومعراجُ،[[274]](#footnote-274)

إمامٌ عليه مسحةٌ من قداسةٍ

لکل الورى فيه طريقٌ ومنهاجُ

لسانُ تقى في کلِّ جارحةٍ له

لسانٌ بذکرِ اللهِ والحمد لـهَّاجُ

وينصـرُ من يختاره الله رحمةً

له ينسجُ النور السماويَ نسَّاجُ

يُسبِّبُ أسباباً لعبدٍ أحبَّه

وهل غيره للکربِ والغمِ فرَّاجُ

«بموقفه» کان الفرزدقُ شاعراً

له العرشُ في الشعرِ المخلَّد والتاجُ

خشونتُه في الحقِّ أعطَته رقّةً

فريشتُه وردٌ ويمناهُ ديباجُ

ومن لم يکن ذا موقفٍ في سلوکه

فزئبقه في الخيرِ والشـرِ رجراجُ

ولولا تراخي قادةِ الفکرِ ما انبرى

«زيادٌ» لحکمِ المسلمين و «حَجَّاجُ»

ولو کان أمَّارون ناهون ما هوى

إلى الأرضِ مخضوبَ العمامةِ «حَلاّجُ»

\* \* \*

قرارة الإحساس:

في حمی بيتك المعظَّم عبدٌ

جاءَ يسعی إليك يا ربَّاهُ

حاملاً أثقل الذنوب وبالتوبة

والخوف قد محا ما جناهُ

ساعياً مقبلاً عليك بوجهٍ

غسلته بدمعها عيناهُ

حلَّ ضيفاً علی حماك وفي

بابِكَ أقعی يرجو رضا مولاهُ

فعليهِ بکلِّ لطفك أقْبِلْ

لا تضيِّعهُ لا تخيِّبْ رجاهُ

کم إلهٍ من قلبه قد تواری

ليسَ في قلبه سواكَ إلهُ

هو في کلِّ خطوة کلِّ شبـرٍ

صارخٌ: يا کريمُ يا اللهُ

ويُلبِّي مع الـمُلَبِّينَ مذهولاً

وعيناهُ صارتا في قفاهُ

بين يأسٍ مروَّع ورجاء

ضاقَ في الموقفِ الرهيبِ مداهُ

وله في قرارة النفسِ حسٌّ

أنَّ ربًّا قد غاب عنه يراهُ

أنَّ من قد سعی إليه رحيمٌ

سوف يراعاهُ سوف لا ينساهُ

\* \* \*

(وَ إنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظيِمٍ):

خُلُقٌ عظيمٌ للنبيِّ محمدٍ

ولآلهِ أطراهُ ربُ الناسِ

سرنا عليه فنحن من أهل التقی

نختارُ من بين الدروبِ القاسي

نهوی الجمال لأنه مقياسنا

لولاه ما کنا ذوي إحساسِ

وإلی الکمالِ تقودنا أقدامُنا

ولادرب شوك أو شفار مَواسِ

الله طهَّرنا وفي ألباننا

تجري مخافتُه مع الأنفاسِ

قدسُ الولاءِ لآلِ بيتِ محمدٍ

وجلالُه قد کانَ تاج الراسِ

فاذا سعينا أو إذا طفنا سعت

معنا وطافت هالةُ الأقداسِ

ونغضُّ أبصاراً فلا ينتابنا

مسٌ من الهفواتِ والأرجاسِ

صُبُراً مع الزمنِ الغشومِ حياتُنا

بين السهام الزرق والأقواسِ

ما بينَ تنعاب الغراب وشؤمه

يجري الطغاةُ بنا إلی الإرماسِ

ما رفَّ بيرقُنا إذا لم يشتعلْ

بدمِ الشهادةِ فهو کالنبراسِ

في کلِّ أرضِ الله أين تلفتتْ

عينٌ ضريح مجاهد ومُواسِ

ويظلُ بينَ الناسِ رمزَ محبةٍ

أرسی من الجبل الأشمِ الراسِ

\* \* \*

الخاتمة:

ربي تقبَّل حَجَّتي هذهِ

فليسَ لعودةٍ عندي اشتياق

حتی لو أنَ «الروح» قد سارَ بي

مُيَمِّماً «مکة» فوقَ البراق

ليست تساوي نجد أو غيرها

حفنةَ رملٍ من رمالِ العراق

رأيتُ أفظاظاً بلا رحمةٍ

لم يعرفوا غيرَ العمی والنفاق

سماحةُ الإسلامِ لم ترتفع

رايتُها فيهم وحبُّ الوفاق

قد أضمروا الکُرهَ ولم ينعقدْ

علی الجباهِ السودِ إلّا الشقاق

هم وحدَهم أهلُ الهدی والتقی

وبالعصا کلُّ وليٍ يُساق

لولا نُسيماتُ دروبِ الهوی

لضيَّقَ الشجوُ عليَّ الخناق

يأخذُني الحُسنُ علی غِرَّةٍ

کأنني من سِحرِهِ في وِثاق

عينايَ في عُرسٍ وفي مهجتي

مأتمُ وجدٍ وشظايا احتراق

خشونةُ الرملِ تحمَّلتُها

شُغلتُ عنها بالجسومِ الرِقاق

أينَ توجهتُ أری أعيناً

تسوقُني للحتفِ سوقَ النياق

من کلِّ أرضِ اللهِ يکوي الهوی

قلبي وحُسنٌ عسليُ المذاق

يسعينَ يرمينَ الحصی والحصی

أراقَ من حُرِّ دمي ما أراق

حُرمةُ حَجِّي ألجمتْ نظرتي

وکنتُ لولاها حللتُ النطاق

جرتْ مقاديري علی رِسلِها

وفزتُ بالسبقِ وما من سباق

أحلی وجوهِ الغيدِ تجري معي

کالرزقِ يأتي دونَ تحريكِ ساق

\* \* \*

عبدُكَ في الأعتابِ يا سيدي

يسألُكَ الرحمةَ والانعتاقْ

جاءَكَ يسعی حاملاً وزْرَه

فوَسِّعِ الضمَّ له والعناقْ

آمالُه واسعةٌ لم تضِقْ

يوماً وعنها الأفقُ الرحبُ ضاقْ

إنْ أنتَ بالخيبةِ قابلتَه

حمَّلتَه العبءَ الذي لا يُطاقْ

يقري العبيدُ الضيفَ إنْ أمَّهمْ

حسبيَ أني تحتَ أعلی رواقْ

\* \* \*

«من وحي آل الوحي ، الجزء الرابع»، الحجازيات

السيد طالب الحيدري الحسني الکاظمي

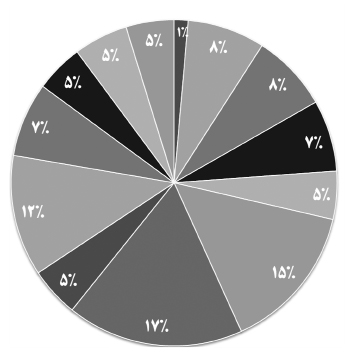
الطبعة الأولى ، 2009م ، بغداد

الرسم البياني لمجلة «ميقات​الحج»  
1 ـ 50

فهرس العناوين العامّـة

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **الـعنـاويـن** | **عدد المقالات** | **النسبة المئوية** |
| 1.كلمة التحرير | 9 | 1% |
| 2. الحج في كلام الإمام الخميني «قدّس سرّه» | 50 | 8% |
| 3. الحج في كلام الإمام الخامنئي «مدّظله العالي» | 50 | 8% |
| 4. القرآن و الحج | 46 | 7% |
| 5. الحج في السنّة الشريفة | 31 | 5% |
| 6. فقه الحج | 95 | 15% |
| 7. مفاهيم الحج و الدروس المتعلقة به | 114 | 17% |
| 8. حوارات و أخبار و رسائل | 32 | 5% |
| 9. الحج و التأريخ | 78 | 12% |
| 10. شخصيات من الحرمين الشريفين | 48 | 7% |
| 11. الحج في الأدب العربي | 31 | 5% |
| 12. جغرافية الحج و معالمه المقدسة | 35 | 5% |
| 13. الفهارس و المعاجم | 31 | 5% |
| عدد المقالات : | 650 | 100% |

الرسم البياني لمجلة «ميقات الحج» 1 ـ 50



1. . سورة آل عمران : 103 . [↑](#footnote-ref-1)
2. . سورة ص : 5 . [↑](#footnote-ref-2)
3. . مسند أحمد ، أحمد بن حنبل 3 : 17؛ سنن الترمذي 5 : 662 ؛ الخلاف، الشيخ الطوسي 1 : 27. [↑](#footnote-ref-3)
4. . سورة البقرة : 125. [↑](#footnote-ref-4)
5. . سورة البقرة : 187. [↑](#footnote-ref-5)
6. . سورة آل عمران: 96. [↑](#footnote-ref-6)
7. . سورة التوبة : 28. [↑](#footnote-ref-7)
8. . سورة التوبة : 108. [↑](#footnote-ref-8)
9. . سورة الحجّ : 26. [↑](#footnote-ref-9)
10. . سورة المدثّر : 4. [↑](#footnote-ref-10)
11. . من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق 1 : 233. [↑](#footnote-ref-11)
12. . م.ن، 1: 233. [↑](#footnote-ref-12)
13. . م.ن، 1: 233. [↑](#footnote-ref-13)
14. . م.ن،  1: 235. [↑](#footnote-ref-14)
15. . م.ن،  1: 236 . [↑](#footnote-ref-15)
16. . تهذيب الأحکام، الشيخ الطوسي 3 : 256. [↑](#footnote-ref-16)
17. . المصدر نفسه. [↑](#footnote-ref-17)
18. . م.ن. [↑](#footnote-ref-18)
19. . م.ن، 3 : 261. [↑](#footnote-ref-19)
20. . م.ن، 3 : 263. [↑](#footnote-ref-20)
21. . م.ن، 3 : 264. [↑](#footnote-ref-21)
22. . وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي 5 : 244. [↑](#footnote-ref-22)
23. . سورة الأنفال : 42. [↑](#footnote-ref-23)
24. . آقا رضا الهمداني، مصباح الفقيه، 1: 586. [↑](#footnote-ref-24)
25. . السيد الگلپايگاني، كتاب الطهارة، دار القرآن الكريم، قم ـ ايران، الطبعة الأولی، 1407 ه  ق، : 322. [↑](#footnote-ref-25)
26. . الميرزا القمي، غنائم الأيام في مسائل الحلال و الحرام، 1 : 312. [↑](#footnote-ref-26)
27. . السيد الگلپايگاني، كتاب الطهارة، دار القرآن الكريم، قم، الطبعة الأولی، 1407 هـ . ق، : 322. [↑](#footnote-ref-27)
28. . لمحات الأصول، تقرير بحث السيد البروجردي، للسيد روح الله الخميني، في التعليقة : 176. [↑](#footnote-ref-28)
29. . تحريرات في الأصول، السيد مصطفی الخميني 3 : 473. [↑](#footnote-ref-29)
30. . سورة الأنفال : 46 . [↑](#footnote-ref-30)
31. . الهداية، الشيخ الصدوق : 97. [↑](#footnote-ref-31)
32. . المبسوط، الشيخ الطوسي 1 : 161. [↑](#footnote-ref-32)
33. . الخلاف، الشيخ الطوسي 1 : 471 . [↑](#footnote-ref-33)
34. . المقنع، الشيخ الصدوق : 28 . [↑](#footnote-ref-34)
35. . م.ن : 89 . [↑](#footnote-ref-35)
36. . النهاية، الشيخ الطوسي/المحقق الحلي 1: 343 . [↑](#footnote-ref-36)
37. . الشهيد الأول، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة،  3 : 128. [↑](#footnote-ref-37)
38. . مطارح الأنظار، الشيخ الأنصاري : 230 . [↑](#footnote-ref-38)
39. . العروة الوثقی، السيد اليزدي 1 : 178 [↑](#footnote-ref-39)
40. . م.ن، 1 : 179. [↑](#footnote-ref-40)
41. . م.ن : 184. [↑](#footnote-ref-41)
42. . الحدائق الناضرة، المحقق البحراني 2 :412 . [↑](#footnote-ref-42)
43. . المحقق الأردبيلي، مجمع الفائدة و البرهان في شرح إرشاد الأذهان، جماعة المدرسين، قم، الطبعة الأولی، 1403هـ ق  1: 323. [↑](#footnote-ref-43)
44. . مستمسك العروة الوثقی، السيد محسن الحكيم 1: 496. [↑](#footnote-ref-44)
45. . منهاج الصالحين، السيد محسن الحکيم 1 : 157. [↑](#footnote-ref-45)
46. . المحقق الداماد، كتاب الصلاة، جماعة المدرسين، قم، الطبعة الثانية، 1416هـ ق  3 : 164. [↑](#footnote-ref-46)
47. . السيد عبد الأعلی السبزواري، مهذب الأحكام، مؤسسة المنار، قم ـ ايران، الطبعة الرابعة، 1413هـ ق  1: 463. [↑](#footnote-ref-47)
48. . م.ن،  5 : 513. [↑](#footnote-ref-48)
49. . السيد الگلپايگاني، كتاب الطهارة، دار القرآن الكريم، قم، الطبعة الأولی، 1407 هـ . ق، : 322. [↑](#footnote-ref-49)
50. . الإمام الخميني، كتاب الطهارة، ط ـ الحديثة،  4: 123. [↑](#footnote-ref-50)
51. . الفاضل اللنکراني، الشيخ محمد، تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة، : 319. [↑](#footnote-ref-51)
52. . موسوعة الإمام الخوئي،  3 : 251. [↑](#footnote-ref-52)
53. . الشيخ لطف الله الصافي، هداية العباد،  1: 94. [↑](#footnote-ref-53)
54. . منهاج الصالحين، الشيخ وحيد الخراساني 2 : 127. [↑](#footnote-ref-54)
55. . حسن السعيد، تقرير بحث الشيخ حسين الحلي، 2 : 139. [↑](#footnote-ref-55)
56. . منهاج الصالحين، الشيخ محمد إسحاق الفياض 1 : 180. [↑](#footnote-ref-56)
57. . سورة الأنفال : 46. [↑](#footnote-ref-57)
58. . وسائل الشيعة، (آل البيت) الحرّ العاملي 8 :430 . [↑](#footnote-ref-58)
59. . تاريخ مکة، أحمد السباعي: 438 ـ 439 . [↑](#footnote-ref-59)
60. . تاريخ مکة، أحمد السباعي: 482 ـ 483 . [↑](#footnote-ref-60)
61. . تاريخ مکة، أحمد السباعي: 384 . [↑](#footnote-ref-61)
62. . مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني ؛ معجم الأدباء، ياقوت الحموي 5 : 50 . [↑](#footnote-ref-62)
63. . محقق و باحثٌ ديني . [↑](#footnote-ref-63)
64. . سورة البقرة : 198ـ203. [↑](#footnote-ref-64)
65. . سورة الرعد : 28 . [↑](#footnote-ref-65)
66. . السيد قطب،في ظلال القرآن الآية: 28 من سورة الرعد. باختصار. [↑](#footnote-ref-66)
67. . سورة فاطر : 15 . [↑](#footnote-ref-67)
68. . صحيح البخاري : 6407، الترمذي 3375 . [↑](#footnote-ref-68)
69. . سورة الأحزاب : 41 . [↑](#footnote-ref-69)
70. . سورة آل عمران : 191 . [↑](#footnote-ref-70)
71. . سورة النساء : 142 . [↑](#footnote-ref-71)
72. . الواحدي، أسباب النزول، الآية . [↑](#footnote-ref-72)
73. . محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم 1 : 295ـ303 . [↑](#footnote-ref-73)
74. . المعجم الوسيط : 485 ؛ والمصباح المنير، للفيومي : 257 : فاض ؛ جامع البيان في تفسير القرآن؛ مجمع البيان، للطبرسي ؛ الكشاف، للزمخشري : الآية؛ معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري رقم : 1430؛ وانظر مقالة: إفاضة بل إفاضتان في العدد 19 من هذه المجلة. [↑](#footnote-ref-74)
75. . سورة آل عمران : 36 . [↑](#footnote-ref-75)
76. . سورة النساء : 11 . [↑](#footnote-ref-76)
77. . انظر لسان العرب، لابن منظور ؛ مقاييس اللغة، لابن فارس: ذكر ؛ المعجم الوسيط: ذكر ؛ التفسير البسيط، للواحدي ؛ والمجموع شرح المهذب، للنووي 1 : 74 . [↑](#footnote-ref-77)
78. . سورة الأحزاب 35 . [↑](#footnote-ref-78)
79. . سورة الأنعام : 50 . [↑](#footnote-ref-79)
80. . سورة ص: 1. [↑](#footnote-ref-80)
81. . سورة الجمعة : 9 . [↑](#footnote-ref-81)
82. . سورة المنافقون : 9 . [↑](#footnote-ref-82)
83. . سورة الزخرف : 44 . [↑](#footnote-ref-83)
84. . سورة آل عمران : 135. [↑](#footnote-ref-84)
85. . سورة الذاريات : 55 . [↑](#footnote-ref-85)
86. . سورة الأنعام : 44 . [↑](#footnote-ref-86)
87. . سورة البقرة : 152؛ انظر: مفردات غریب القرآن، للاصفهاني 1: 328ـ 329 ؛ الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري : 221ـ225. ذكر ؛ تفسير معالم التنزيل، البغوي ؛ تفسير مجمع البيان، للطبرسي الآية ؛ كتاب الكليات، لأبي البقاء الكفوي 1 : 456 ؛ الموسوعة الفقهية الكويتية 21 : 220 ؛ القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً، سعدي أبو جيب . [↑](#footnote-ref-87)
88. . سورة الكهف : 63 . [↑](#footnote-ref-88)
89. . الجامع لأحكام القرآن، الآية: 152 سورة البقرة . [↑](#footnote-ref-89)
90. . سيد قطب، في ظلال القرآن 5 : 2871 . [↑](#footnote-ref-90)
91. . لسان العرب، لابن منظور ؛ كنز العرفان، للسيوري ؛ مفردات الراغب : 179 ؛ القاموس الفقهي، سعدي أبوجيب، ذَكَرَ؛ خواطر محمد متولي الشعراوي. [↑](#footnote-ref-91)
92. . تفسير مجمع البيان، للطبرسي : الآية . [↑](#footnote-ref-92)
93. . التحرير والتنوير، الآية . [↑](#footnote-ref-93)
94. . تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي 2 : 362 . [↑](#footnote-ref-94)
95. . مجمع البحرين 2 : 97 . [↑](#footnote-ref-95)
96. . سورة الشعراء : 78 . [↑](#footnote-ref-96)
97. . سورة الشعراء : 83 . [↑](#footnote-ref-97)
98. . انظر تفسير مفاتيح الغيب : 201 البقرة . [↑](#footnote-ref-98)
99. . سورة البقرة : 152 . [↑](#footnote-ref-99)
100. . بحارالأنوار، العلامة المجلسـي 29 : 74 باب 4 ح 1؛ 93 : 157 ؛ 77 : 290 ؛ 93 : 164؛ الخصال 2 : 525 ؛ المحاسن، للبرقي 1 : 38 ثواب فضل ذكر الله ؛ مجمع البيان، للطبرسي ؛ مفاتيح الغيب، للرازي، سورة البقرة : 152 ؛ سورة الأحزاب : 47 . [↑](#footnote-ref-100)
101. . فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي ١ : ٢١٥ . [↑](#footnote-ref-101)
102. . سورة البقرة : 185 . [↑](#footnote-ref-102)
103. . سورة الحج : 37 .   [↑](#footnote-ref-103)
104. . سورة الكهف: 63 . [↑](#footnote-ref-104)
105. . سورة البقرة : 200 . [↑](#footnote-ref-105)
106. . سورة البقرة: 203 . [↑](#footnote-ref-106)
107. . تفسير الفخر الرازي : الآية . [↑](#footnote-ref-107)
108. . تفسير البحر المحيط، أبوحيان (ت 754 هـ) . [↑](#footnote-ref-108)
109. . تفسير الكشاف، الزمخشري (ت 538 هـ): الآية : 198 . [↑](#footnote-ref-109)
110. . كنز العرفان : الآيات . [↑](#footnote-ref-110)
111. . سورة طه : 14 . [↑](#footnote-ref-111)
112. . انظر مجمع البيان، للطبرسي ؛ فقه القرآن، قطب الدين الراوندي : 277، 286ـ287 ؛ كنز العرفان في فقه القرآن، للشيخ جمال الدين السيوري : 303ـ304 ؛ الكشاف، للزمخشـري ؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي ؛ مفاتيح الغيب، الرازي: الآية، المسائل: السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة ؛ روح المعاني، الآلوسي ؛ التحرير والتنوير؛ ابن عاشور : الآية . [↑](#footnote-ref-112)
113. . انظر: مجمع البيان، الطبرسي ؛ كنز العرفان، السيوري 1: 304 ؛ مفاتيح الغيب، للرازي : الآية. [↑](#footnote-ref-113)
114. . محقق و باحثٌ ديني . [↑](#footnote-ref-114)
115. . مناسك الحربي :349 . [↑](#footnote-ref-115)
116. . م.ن. [↑](#footnote-ref-116)
117. . يقصد السائل: هل أنتم من (نجد) أم من (تهامة)؟. [↑](#footnote-ref-117)
118. . مناسك الحربي :347 . [↑](#footnote-ref-118)
119. . معجم ما استعجم، البكيري الأندلسي1 :9ـ10 . [↑](#footnote-ref-119)
120. . م.ن. [↑](#footnote-ref-120)
121. . مناسك الحربي، هامش ص347. [↑](#footnote-ref-121)
122. . م.ن. [↑](#footnote-ref-122)
123. . م.ن. [↑](#footnote-ref-123)
124. . مناسك الحربي، تحقيق حمد الجاسر : 349 . [↑](#footnote-ref-124)
125. . انظر: درب زبيدة، الدكتور سعد الراشد : 28، دار الوطن للنشر، الرياض. [↑](#footnote-ref-125)
126. . الأَكَمَة: التَّلُّ من القُفِّ من حِجَارَةٍ واحدةٍ، أَو هي دونَ الجبالِ، أَو الـمَوْضِعُ يكونُ أَشَدَّ ارْتِفاعًا ممَّا حَوْلَه. [↑](#footnote-ref-126)
127. . دليل هواة الرحلات البرية في المملكة العربية السعودية، الصادر عن هيأة المساحة الجيولوجية السعودية. [↑](#footnote-ref-127)
128. . درب زبيدة طريق الحج من الكوفة إلى مكَّة المكرمة، للدكتور سعد الراشد :275، دار الوطن للنشر والإعلام، الرياض 1414هـ. [↑](#footnote-ref-128)
129. . درب زبيدة، الدكتور سعد الراشد : 278، دار الوطن للنشر والإعلام، الرياض. [↑](#footnote-ref-129)
130. . أطلال، العدد2 :69 . [↑](#footnote-ref-130)
131. . تقرير وكالة الأنباء السعودية، نشر حديثًا على موقعها الإلكتروني، بعنوان: (الطائف ملتقى طرق القوافل ودروب الحجِّ قبل 1277 عامًا)، وتاريخ: 1/12/1438هـ الموافق 23/08/2017م. [↑](#footnote-ref-131)
132. م.ن، الصفحة: 283. [↑](#footnote-ref-132)
133. . تيسير العُلّام شرح عمدة الأحكام، عبدالله آل بسام، ص362، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط10، 2006م. [↑](#footnote-ref-133)
134. . «الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

     فإنَّ مجلس هيأة كبار العلماء قد اطّلع في دورته الأربعين على الرسالة المقدمة من بعض سكان الضريبة المتضمِّنة طلب بناء مسجد في ميقات ذات عِرْق يكون مَعْلَمًا للميقات، يحرم منه من يمرُّ بهذا الميقات من يريد الحجَّ أو العمرة؛ لأنَّ عدم وجود مسجد في الميقات أدّى إلى تجاوز الميقات من بعض مريدي الحجِّ والعمرة من غير أهل المنطقة قبل الإحرام؛ لعدم وجود ما يرشد إليه، ولأهمية الموضوع ومسيس الحاجة لإيضاح هذا الميقات رأى المجلس تكليف أصحاب الفضيلة: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، والشيخ عبدالله بن سليمان المنيع عضوي المجلس، والشيخ عبدالعزيز بن محمد العبدالمنعم الأمين العام للهيأة بزيارة موقع الميقات المذكور، والعناية بتحديده وبيان ما يحتاج إليه من مسجد ومرافقه وقد قاموا بالمهمة وأعدوا التقرير اللازم، وفي الدورة الحادية والأربعين للمجلس المنعقدة في الطائف في الفترة من 18/3/1414هـ إلى 29/3/1414هـ . عرض الموضوع واطّلع المجلس على التقرير الذي أعدّه المشايخ الذي نصّه: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. أمَّا بعد: فلمَّا كان ميقات (ذَاتِ عِرْق) مدرجًا في جدول أعمال الدورة الأربعين لمجلس هيأة كبار العلماء المنعقدة في الرياض ابتداءً من تاريخ 10/11/1413هـ ، وقد رأى المجلس -كما ورد في المحضر الأوَّل من محاضر هذه الدورة- تكليف كلاً من: عضوي المجلس الشيخين عبدالله بن عبدالرحمن البسام، والشيخ عبدالله بن سليمان المنيع عضوي المجلس، وأمين عام الهيأة الشيخ عبدالعزيز بن محمد العبدالمنعم، بزيارة ميقات (ذَاتُ عِرْق) وكتابة تقرير بشأنه يتضمن وصفًا له، وبيان حدوده، وتقديمه للمجلس في دورته الحادية والأربعين.

     وانفاذًا لما رأه المجلس توجَّهت اللجنة المكلَّفة بالمهمة في يوم السبت الموافق 12/2/141هـ . إلى ميقات (ذَاتِ عِرْق)، وقد سلكت في ذهابها الطريق الموازي لوادي العقيق المتجه شمالاً من (عُشَيْرَة) إلى بلدة (المحاني)، وعند محاذاتها (ذَاتَ عِرْق) من الشرق تركت الطريق المزفت، واتجهت غربًا مارةً بوادي العقيق عرضًا مع خط ترابي ممسوح يصلنا بين الطريق المزفت وذَاتِ عِرْق، وقد حسبت المسافة من وادي العقيق إلى ذَاتِ عِرْق فبلغت ثمانية وعشرين كيلومترًا حسب عدَّاد السيارة.

     وقد وصلت اللجنة ذَاتَ عِرْق، وتجوَّلت فيها وفيما حولها من وديان ومزارع، ثم كتبت ما انتهت إليه من معلومات وحقائق معتمدة في ذلك على:

     أ) ما ذكره بعض أهل العلم من مفسِّرين وفقهاء ومؤرِّخين عن هذا الميقات؛ حيث استعرضت اللجنة وهي في رحلتها قراءة كثير من أقوال أهل العلم في وصف هذا الميقات، وذكر بعض معالمه.

     ب) مشاهدة معالم هذا الميقات من أودية وجبال، وتطبيق ما ذكره أهل العلم عليها، لا سيَّما ممَّن كتبوا في وصف طريق الحاجِّ، وأشاروا إلى كثيرٍ من المواضع مع ضبطها بالوصف والمسافات.

     ج) الاستعانة ببعض أهل الخبرة من سكَّان تلك الجهة، فقد اتصلت اللجنة بثلاثة من كبار السنِّ من أهل تلك المنطقة، واصطحبتهم معها في جولاتها، ووقوفها على مختلف المعالم من جبالٍ وأوديةٍ وآبارٍ وخرائبَ، وتعرَّفت منهم على أسمائها، وعلى كلِّ ما يعرفونه عنها في القديم عندما كان الحاجُّ يستخدم الأبل في سفره، ويحرم بالنسك من هذا الميقات، وفي الحاضر حيث تغيَّرت وسائل المواصلات، فأصبح الإحرام منه منقطعًا، وذلك من أكثر من أربعين عامًا حيث ذكروا ذلك.

     وتوصَّلت اللجنة إلى الحقائق التالية:

     أنَّ (عِرْقًا) قمَّةُ جبلٍ مرتفعٍ يتميَّز عمَّا حوله بلونٍ يميل إلى السواد، ممتدٍّ من الشرق إلى الغرب بطول 2000 متر تقريبًا، يحدُّه من الشرق وادي (الحنو)، ومن الغرب وادي (العصلاء الشرقية)، وهذا الجبل هو الحدُّ الجنوبي للميقات .

     أنَّ ميقات (ذَاتِ عِرْق) هو عبارة عن ريع -الريع: هو مَسيلُ الوَادِي من كُلِّ مكانٍ مُرْتَفِعٍ- يقعُ بين جبلين، فيه مجرى سيلٍ كبيرٍ متَّجهٍ من الشرق إلى الغرب (وادي الضريبة)، ويتسع هذا الريع في بعض نواحيه ويضيق في نواحي أخرى، ويبلغ اتِّساعه ما بين (200-500م)، وطوله من الشرق إلى الغرب ألفا مترٍ تقريبًا، ويطلق عليه اسم (الطرفاء)، وفي منتصفه بئر قديمة فيها ماء تُسمَّى (الخضراء)، يحرم عندها من يريد الإحرام من حُجَّاجِ أهل العراق وأهل البلد، أو من يمرُّ بها ممَّن حولها -حسب إفادة المرافقين للجنة من أهل المنطقة- وفي هذا المحدود يوجد خرائب وأساسات مباني قديمةلم يبق منها إلَّا ما هو ملاصق للأرض، وفي غربيِّه شمال مجرى الوادي نثار مقبرة قديمة، وتُغطِّي أشجار السلم والطلح والسمر عامَّةً أرض الميقات.

     حدود الميقات: أمَّا حدود هذا الميقات كما وضح للجنة:

     فيحدُّه من الشرق ملتقى وادي (الحنو) مع وادي (أنخل)، وعند مصبِّهما يتكوَّن وادي (الضريبة)، وعند ملتقى هذين الواديين يبتدئ العِرْق المنسوب إليه الميقات، ويوجد في هذا الحدِّ ثلاث نصائب، إحداها: في جنوبيه في سفح (عِرْق) المذكور عند ابتدائه من الشرق، حيث مجرى وادي (الحنو)، والثانية: فوق ملتقى وادي (الحنو) ووادي (أنخل) في المثلث الفاصل بينهما قبيل التقائهما، والثالثة: في سفح الجبل الشمالي المقابل لجبل (عِرْق) من الشمال، وهذه العلامات الثلاث ذكر المرافقون من أهل تلك الجهة أنَّها وضعت منذ حوالي ثلاثين سنة من قبل لجنةٍ خرجت من مكَّة؛ بقصد تحديد الميقات، ومنع التعدِّي عليه.

     ويحدُّه من الغرب وادي العصلاء الشرقية المتجه من الجنوب إلى الشمال، حيث يصبُّ سيله في وادي الضريبة. ويمتدُّ الحدُّ الغربي شمالًا مسامته وادي العصلاء حتى يصل الجبل المقابل من الناحية الشمالية، ويوجد مجرى سيلٍ متَّجه من الجنوب إلى الشمال موازٍ للعصلاء الشرقية من الغرب يدعى (العصلاء الغربية)، وبينهما حوالي خمس مئة مترٍ، ويصبُّ سيله في وادي الضريبة، وقد وضعت نصائب من قبل اللجنة السابقة في الضفة الشرقية للعصلاء الغربية، وقال المرافقون: إنَّ هذا متجاوزٌ للحدِّ، وإنَّما وضعت هذه الأنصاب؛ لتكون حمًى للميقات، إذْ أنَّ حدَّ الميقات من الغرب هو العصلاء الشرقية -كما أوضحناه آنفًا- لوجود الآثار شرقيّها، ولأنَّ العِرْق المنسوب إليه هذا الميقات ينتهي عند هذا الحدِّ.

     ونوصي بأن يبقى ما بين العصلاء الشرقية والعصلاء الغربية حمًى للميقات كما وضعته اللجنة السابقة، ولا يسمح لأحدٍ بإحيائه أو تملّكه؛ لئلا يضيق الميقات بالتعدِّي على حدوده.

     ويحدُّ الميقات من الجنوب قمَّةُ جبل عِرْق ابتداءً من طرفه الشرقي عند مجرى وادي الحنو إلى طرفه الغربي، حيث ينتهي بمجرى العصلاء الشرقية.

     ويحدُّه من الشمال الجبال المتصلة الواقعة شمال وادي الضريبة من مصبِّ وادي أنخل في وادي الضريبة شرقًا، ممتدًا حتى ملتقى وادي الضريبة بوادي العصلاء الشرقية غربًا.

     وطول الميقات شرقًا وغربًا ألفا مترٍ تقريبًا وهو طول العِرْق المذكور.

     وعرض الميقات يختلف باختلاف ما بين الجبلين ضيقًا واتِّساعًا، ويتراوح ذلك ما بين مئتي متر وخمس مئة متر، كما سبقت الإشارة إليه.

     أمَّا موقع إقامة مسجد الميقات ومرافقه، فترى اللجنة أن يقام في المتسع الواقع شمال شرق بئر (الخضراء) لتوسّطه، ولأنَّ جميع من سألناهم أجمعوا على أنَّ الإحرام في الماضي والحاضر هو قرب هذه البئر التي يوجد حولها بقية الآبار المندفنة، والغرف المتهدِّمة، والمقابر في سفح الجبال الشمالية الغربية ممَّا يلي وادي الضريبة.

     هذا ما توصَّلت إليه اللجنة فيما يتعلَّق بميقات (ذَاتِ عِرْق). ونسأل الله إصابة الحقِّ في القول والعمل، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم».

     ولمزيد التأكُّد طلب المجلس حضور الشريف شاكر بن هزاع (قائم مقام مكَّة سابقًا)، واطِّلاعه على تقرير اللجنة، ومعرفة ما لديه من معلومات عن الميقات المذكور؛ لما له من خبرة في ذلك، وقد حضر عند هيأة كبار العلماء في يوم السبت الموافق 25/3/1414هـ، وأفاد أنَّ ما تضمَّنه تقرير اللجنة موافق لما قرَّرته اللجنة التي شُكِّلت في عام (1387هـ)؛ لتحديد (ذَاتِ عِرْق)، وكان عضوًا فيها ووضعت علامات حدود الميقات في ذلك الوقت التي لا تزال باقية إلى الآن، وهي نفس العلامات التي رأتها اللجنة التي شكَّلها المجلس.

     كما قام كلٌّ من عضوي المجلس: فضيلة الشيخ محمد بن سليمان البدر، وفضيلة الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد يوم الجمعة الموافق 24/3/1414هـ بزيارة لميقات ذَاتِ عِرْق، وأفادا المجلسَ بأنَّهما اطَّلعا على الميقات ومعالمه، وسألا عددًا من سكَان المنطقة عن الميقات، واتَّضح لهما أنَّ ما جاء في تقرير اللجنة -التي كلَّفها المجلس- فيه وصفٌ دقيقٌ لـ (ذَاتِ عِرْق)، يوافق واقعها على الطبيعة، وبناءً على ما تقدَّم فإنَّ المجلس يرى ما يلي:

     أن تهتمَّ الحكومة بميقات ذَاتِ عِرْق الذي هو أحد المواقيت المكانية المعتبرة للحجِّ والعمرة من حيث المحافظة عليه، وذلك بوضع علاماتٍ واضحةٍ وبارزةٍ في بدايته من الشرق، ونهايته من الغرب، حسب الحدود الموضحة في تقرير اللجنة المذكور ضمن هذا القرار حتى لا يتجاوزه أحدٌ ممَّن يريد الحجَّ أو العمرة قبل الإحرام.

     يوصي المجلس بتكليف اللجنة المختصة بالمبادرة بإنفاذ أمر خادم الحرمين الشريفين ببناء مسجدِ ميقاتِ ذَاتِ عِرْق، وتأمين ما يحتاجه من خدماتٍ ومرافقَ حسبما صرَّح به معالي وزير الحجِّ والأوقاف السابق، ونشر في جريدة الجزيرة في عددها (7470) الصادر في 19/9/ 1413هـ .

     يقام المسجد في المكان الذي اقترحته اللجنة في تقريرها للأسباب التي ذكرتها وبالله التوفيق. وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

     انظر: مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، الجزء الخامس، القسم الأول، (5  :251).

     مالك في الموطأ 1: 419، والدارقطني 2 :244، والبيهقي 5 :152. قال الألباني: ثبت موقوفًا، وانظر: إرواء الغليل 4 : 299. [↑](#footnote-ref-134)
135. . تقرير وكالة الأنباء السعودية، نُشِرَ حديثًا على موقعها الإلكتروني، بعنوان: (الطائف ملتقى طرق القوافل ودروب الحج قبل 1277 عامًا)، وتاريخ 1/12/1438هـ الموافق 23/08/2017م. [↑](#footnote-ref-135)
136. . حرّة: هي امتداد حرّة الحجاز العظيمة وآخرها من الجنوب الشرقي، تشرف على بلدة عُشَيْرة شمال الطائف على (40 كيلاً تقريبًا)، تشرف على البلدة من الشمال، يطيف بها وادي (عقيق عُشَيرة) من الجنوب والشرق، وكلُّ مياهها فيه، وهما حرَّتان متصلتان، بس الجنوبية، وبس الشمالية، بينهما وادٍ يصبُّ شرقًا في العقيق، وسكَّانها اليوم من عتيبة. (انظر: معجم معالم الحجاز 1 :220، ط1). [↑](#footnote-ref-136)
137. . معجم معالم الحجاز، عاتق بن غيث البلادي 6 : 128ـ136، دار مكَّة للنشر والتوزيع، ط1، سنة 1401هـ-1981م. [↑](#footnote-ref-137)
138. . انظر: الخريطة الجغرافية، والصورة الفضائية المرفقتين. [↑](#footnote-ref-138)
139. . الينابيع الفقهية، علي أصغر مرواريد، دار التراث والدار الإسلامية، بيروت، 7 :4 . [↑](#footnote-ref-139)
140. . م.ن، :20. [↑](#footnote-ref-140)
141. . م.ن، :48. [↑](#footnote-ref-141)
142. . م.ن، :69. [↑](#footnote-ref-142)
143. . م.ن، :135. [↑](#footnote-ref-143)
144. . م.ن، :239. [↑](#footnote-ref-144)
145. . م.ن، :104. [↑](#footnote-ref-145)
146. . م.ن، :150. [↑](#footnote-ref-146)
147. . م.ن، :174. [↑](#footnote-ref-147)
148. . الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، للشهيد الأول، انتشارات دار التفسير، قم، :258 . [↑](#footnote-ref-148)
149. . كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرَّاء، للشخ جعفر كاشف الغطاء، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي فرع خراسان، 4 :540 . [↑](#footnote-ref-149)
150. . وسائل الشيعة، الحر العاملي 11 : 307، باب المواقيت، ب1، ح1. [↑](#footnote-ref-150)
151. . م.ن، ح2. [↑](#footnote-ref-151)
152. . وسائل الشيعة، الحر العاملي11 : 308، باب المواقيت، ب1، ح3. [↑](#footnote-ref-152)
153. . م.ن، 11 :309، باب المواقيت، ب1، ح7. [↑](#footnote-ref-153)
154. . م.ن، 11 : 309، باب المواقيت، ب1، ح5. [↑](#footnote-ref-154)
155. . م.ن، 11 : 309، باب المواقيت، ب1، ح6. [↑](#footnote-ref-155)
156. . صحاح العربية للجوهري، وأساس البلاغة للزمخشري، مادة (جزع). [↑](#footnote-ref-156)
157. . لسان العرب: مادة (بطن). [↑](#footnote-ref-157)
158. . مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني. [↑](#footnote-ref-158)
159. . تاج العروس: مادة (بطح). [↑](#footnote-ref-159)
160. . الرجلة أو البَقْلَة الحَمْقَاء: هي نبات حولي عصاري، وسمّيت بالحمقاء؛ لأنَّها تنبت في المسِيلٍ، فيقلعها الماء ويجرفها. [↑](#footnote-ref-160)
161. . نوعٌ من الشجر كبيرٌ نسبيًا، يستظلُّ تحته من يريد أن يرتاح لمدَّةٍ زمنيةٍ قليلةٍ، ويكثر هذا النوع الحجاز. [↑](#footnote-ref-161)
162. . المعرس: هو المبيت في أوَّلِ الليل. [↑](#footnote-ref-162)
163. . درب زبيدة، الدكتور سعد الراشد :276 . [↑](#footnote-ref-163)
164. . م.ن . [↑](#footnote-ref-164)
165. . انظر: صورة بِرْكَة غَمْرَة المدرجة . [↑](#footnote-ref-165)
166. . العروة الوثقى، تعاليق مبسوطة4 :184 . [↑](#footnote-ref-166)
167. . موسوعة الفقه الإسلامي، طبقًا لمذهب أهل البيت:، 6 : 454 . [↑](#footnote-ref-167)
168. . وسائل الشيعة، الحر العاملي11 : 312، باب المواقيت، ب2، ح2. [↑](#footnote-ref-168)
169. . م.ن، 11 : 309، باب المواقيت، ب1، ح6. [↑](#footnote-ref-169)
170. . م.ن، 11 :313، باب المواقيت، ب2، ح8 . [↑](#footnote-ref-170)
171. وسائل الشيعة، الحر العاملي11 : 313، باب المواقيت، ب2، ح7. [↑](#footnote-ref-171)
172. . م.ن، 11 :313، باب المواقيت، ب2، ح9. [↑](#footnote-ref-172)
173. . م.ن، 11 :313، باب المواقيت، ب2، ح10. [↑](#footnote-ref-173)
174. . م.ن، 11 :312، باب المواقيت، ب2، ح1. [↑](#footnote-ref-174)
175. . نقلاً عن موسوعة الفقه الإسلامي 6: 453 . [↑](#footnote-ref-175)
176. . بيت الحكمة: مكتبة سماحة الوالد الشيخ عبدالهادي الفضلي1، وأستطيع أن أقول بعد هذه التجربة في التحقيق أنَّها بحق مكتبة باحثٍ إسلاميٍّ بإمتياز، وما ميّزها عن المكتبات الشخصية وجود ركنٍ خاصٍّ بالكتب التي تتعلَّق بأبحاث الحجِّ، وهذا الأمر غير مستغرب منه؛ فقد ألَّف وحقَّق سماحته في الحجِّ وشؤونه العديد من المؤلَّفات، من قبيل: تحقيقه لمنسك صاحب الجواهر، وتحقيقاته الميدانية لمعالم الحجِّ والزيارة، والجزء الثالث من كتابه الفقهي (مبادئ علم الفقه). [↑](#footnote-ref-176)
177. . الوسائل، باب22، من أبواب أقسام الحجِّ، الحديث8. [↑](#footnote-ref-177)
178. . م.ن، باب3 من أبواب المواقيت، الحديث3. [↑](#footnote-ref-178)
179. . نَقَلَ هذه الفقرة من كلام الشيخ الفيَّاض القائمون على موسوعة الفقه الاسلامي طبقًا لمذهب أهل البيت: في المتن، ولا أدري لماذا قالوا: «وذكر بعض المعاصرين»، ولم يذكروا اسم صاحب القول على غرار ذكرهم لأسماء الآخرين؟! نعم، ذكروا في الهامش مصدر النقل ورقم الصفحة كما بقية المصادر المنقول عنها. [↑](#footnote-ref-179)
180. . العروة الوثقى، تعاليق مبسوطة 4 :182ـ185. [↑](#footnote-ref-180)
181. . الوسائل، باب22، من أبواب أقسام الحج، الحديث8. [↑](#footnote-ref-181)
182. .تعاليق مبسوطة، الشيخ الفيَّاض 9 :182ـ187، منشورات العزيزي، قم. [↑](#footnote-ref-182)
183. . الوسائل، الباب22، من أبواب أقسام الحجِّ، الحديث8. [↑](#footnote-ref-183)
184. الوسائل، الباب10 من أبواب أقسام الحجّ، الحديث2. [↑](#footnote-ref-184)
185. . محققٌ وباحث ديني . [↑](#footnote-ref-185)
186. . انظر في هذا كله: السيرة النبوية، لابن هشام1: 110،2: 271 ؛ الإصابة في تمييز الصحابة؛ الاستيعاب في معرفة الصحابة: أمُّ هانئ، جمانة ؛ الطبقات، لابن سعد1: 121،122،4 : 49ـ 51، 8: 48، 8 :151 ؛ أسد الغابة، ابن الأثير5 : 624، 423:3ـ424،2: 287 ؛ أنساب الأشراف، للبلاذري2: 23، 42، 43، 69،71،77 ؛ وانظر في العدد الخاص بالإمام عليٍّ7 العدد 14 ؛ والعدد 18 : 122أبو طالب مأوى الرسول والرسالة ؛ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين4 : 219؛ معجم أنصار الحسين7، (النساء) محمدصادق الکرباسي ؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي : 118فاطمة بنت أسد ؛ جمهرة النسب، لابن الكلبي 1: 128؛ والمعارف، لابن قتيبة :120، 156، 207ـ208 ؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد1: 15؛ بحارالأنوار 19: 59 ؛ وانظر في إسلام زوج جُمانة: المغازي للواقدي 2 : 807ـ809 وفيه كلام طويل. [↑](#footnote-ref-186)
187. . كتاب المحبر، محمد بن حبيب البغدادي، المتوفى245هجرية:97ـ98. بلا سند . [↑](#footnote-ref-187)
188. . طبقات ابن سعد 8 : 120 . [↑](#footnote-ref-188)
189. . انظر: لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني 6 : 196 رقم 700 . [↑](#footnote-ref-189)
190. . كتاب المحبر، محمد بن حبيب البغدادي: 98 ؛ الطبقات 8 : 120؛ سير أعلام النبلاء: الصحابة: أُمّ هانئ . [↑](#footnote-ref-190)
191. . الفروع من الكافي، للكليني 5: 326 ـ327 باب: فضل نساء قريش رقم 3 . [↑](#footnote-ref-191)
192. . بحار الأنوار، للمجلسي43: 17، ح15، باب :2 ؛ الفروع من الكافي، للكليني5 هامش 326 رقم2، باب فضل نساء قريش، وهامش الصفحة . [↑](#footnote-ref-192)
193. . سورة الأحزاب : 50 . [↑](#footnote-ref-193)
194. . الطبقات لابن سعد 8 : 151ـ153، وغيره . [↑](#footnote-ref-194)
195. . أُسد الغابة، لابن الأثير ؛ الإصابة في تمييز الصحابة ؛ الطبقات لابن سعد ؛ كتاب المحبر، للبغدادي (ت245هـ) :97ـ 98 ؛ الاستيعاب، لابن عبد البر1: 241 رقم 224:جعدة ؛ شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد10: 77ـ78 ؛ أعيان الشيعة، محسن الأمين 4: 78 ؛ الاختصاص، للشيخ المفيد :70 وهامشها ؛ رواه الكشي في رجاله: 42 ؛ خاتمة مستدرك الوسائل؛ للشيخ النوري 7 : 215 رقم 390 ؛ بحار الأنوار، للعلامة المجلسي 42 : 226 ؛ 38 ؛ تنقيح المقال، للمامقاني14 : 345ـ351 ؛ معجم رجال الحديث، للسيد الخوئي4 : 364-365 رقم 2105جعدة بن هبيرة ؛ وقعة صفين، لابن مزاحم : 463ـ466 . [↑](#footnote-ref-195)
196. . سورة الإسراء : 1. [↑](#footnote-ref-196)
197. . سورة الأعراف: 143 . [↑](#footnote-ref-197)
198. . السيرة النبوية، لابن هشام : الإسراء ؛ تفسير لطائف الإشارات، القشيري (ت 465 هـ ) . [↑](#footnote-ref-198)
199. . انظر كتاب معالم مكة التاريخية والأثرية 1 : 159 ، ضجنان . [↑](#footnote-ref-199)
200. . مجمع البيان، للطبرسي ؛ السيرة النبوية2: 268ـ273 ؛ في ظلال القرآن، سيدقطب : الآية . [↑](#footnote-ref-200)
201. . أخبار مكة، للأزرقي 1: 122وهامش الصفحة ؛2 : 81، 215، 234، 292، 294 . [↑](#footnote-ref-201)
202. . التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، الكردي محمد طاهر1 : 359ـ363 تحقيق موضع دار أمّ هاني بمكة؛ باختصار . [↑](#footnote-ref-202)
203. . جديد . [↑](#footnote-ref-203)
204. . الوسائل8 : 91. [↑](#footnote-ref-204)
205. . سورة الکهف: 46. [↑](#footnote-ref-205)
206. . الوسائل8 : 67. [↑](#footnote-ref-206)
207. . الديلم أو الديالمة: هم إحدى الشعوب الإيرانية التي عاشت في شمال الهضبة الإيرانية، وقد جاء ذکرهم على ألسنة المؤرخين حتى حقبة بدايات انتشار الإسلام. للاستزادة: انظر ويکيبيديا على شبکة الإنترنت. [↑](#footnote-ref-207)
208. . بخارى: مدينة في جمهورية أوزبکستان. [↑](#footnote-ref-208)
209. . بلاد ما وراء النهر: هي منطقة تاريخية وجزء من آسيا الوسطى، تشمل أراضيها أوزبکستان والجزء الجنوب الغربي من کازاخستان والجزء الجنوبي من قيرغيزستان. للاستزادة انظر: ويکيبيديا على شبکة الإنترنت. [↑](#footnote-ref-209)
210. . کمال، سليمان صالح، إمارة الحج في العصر العباسي من سنة 132هـ إلى سنة 247هـ، بإشراف الدکتور السيد محمد أبو العزم داود، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة أم القرى 1408هـ ـ 1988و. غير منشورة: 128. [↑](#footnote-ref-210)
211. . السيدة زبيدة: هي الأميرة  أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبو جعفر المنصور (149ـ216هـ)، زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد، وحفيدة مؤسس الدولة العباسية الخليفة أبو جعفر المنصور من خلال ابنه جعفر، تعتبر من أهم نساء الدولة العباسية وأکثرهم شهرة مما کان لها من دور في أمر الخلافة، فهي أمُّ الخليفة الأمين. من أهم أعمالها بناء أحواض للسقاية للحجاج في دربهم من بغداد إلى مکة فيما عرف بدرب زبيدة. [↑](#footnote-ref-211)
212. . المغلوث،  سامي بن عبدالله بن أحمد: أطلس الحجّ والعمرة، العبيکان للنشـر، الرياض، الطبعة الأولى 1431هـ / 2010م، :101. [↑](#footnote-ref-212)
213. . أطلس الحجّ والعمرة، مصدر سابق، ص: 104. [↑](#footnote-ref-213)
214. . سرغ حالياً تسمى المُدَوَّرة، وهي تقع في أقصي جنوب الأردن بالقرب من الحدود السعودية على طريق تبوك. [↑](#footnote-ref-214)
215. . عيسى، هيام علي: الحج إلى الحجاز في العصر المملوکي (646هـ / 1250م ـ923هـ / 1517م)،  جامعة القديس يوسف، أطروحة دکتوراه، 1431هـ ـ 2010م: 142. [↑](#footnote-ref-215)
216. . أطلس الحجّ والعمرة،  مصدر سابق، ص: 106. [↑](#footnote-ref-216)
217. . العبدلي، عائشة مانع عبيد: إمارة الحج في عصر الدولة المملوکية وأثرها على الأوضاع الداخلية بمکة المکرمة (648ـ923هـ) / (1258ـ1517م) دراسة تاريخية ـ تحليلية، جامعة أم القرى: مکة المکرمة، الطبعة الأولى:  1426هـ ـ 2005م: 14. [↑](#footnote-ref-217)
218. . أطلس الحجّ والعمرة، مصدر سابق، :116. [↑](#footnote-ref-218)
219. . انظر: إمارة الحج في العصر العباسي،  مصدر سابق: 163. [↑](#footnote-ref-219)
220. . أطلس الحجّ والعمرة، مصدر سابق، ص: 111. [↑](#footnote-ref-220)
221. . أطلس الحجّ والعمرة، مصدر سابق، :108. [↑](#footnote-ref-221)
222. . خريطة الأحساء وحدودها الإداريّة . [↑](#footnote-ref-222)
223. . قصر صاهود بالمبرز . [↑](#footnote-ref-223)
224. . ابن سعد، محمد: الطبقات الکبري، دار صادر: بيروت،  الطبعة الأولى: 1988م: 1 : 258. [↑](#footnote-ref-224)
225. . العامر، طاهر معتوق ميناء: العقير ودوره في اقتصاد الجزيرة العربية، الدار الوطنية الجديدة: الخبر، الطبعة الأولى: 1437هـ ـ 2016م: ص: 111. [↑](#footnote-ref-225)
226. . آل ملا، عبدالرحمن بن عثمان، تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري:  الکويت، الطبعة الأولى: 2002م: 74. [↑](#footnote-ref-226)
227. . ابن الأثير،  عز الدين، أسد الغابة، دار الفکر: بيروت،  ط: 1429هـ ـ 1989م: 3 : 89. [↑](#footnote-ref-227)
228. . الجنبي، عبد الخالق: تاريخ التشيع لأهل البيت في إقليم البحرين القديم، دار المحجة البيضاء: بيروت، الطبعة الثانية: 1436هـ ـ 2015م: 370، أسد الغابة، مصدر سابق: 1 : 308. [↑](#footnote-ref-228)
229. . عناد، أ. م. د. وجدان فريق، إمارة الحج في عهد الخليفة أبي العباس السفاح (132ـ136هـ)، مرکز أحياء التراث العملمي العربي: جامعة بغداد، (د.ت): 6. [↑](#footnote-ref-229)
230. . إمارة الحج في العصر العباسي من سنة 132 إلى سنة 247هـ، مصدر سابق: 178. [↑](#footnote-ref-230)
231. . الوشميم، الدکتور صالح بن سليمان الناصر: ولاية اليمامة دراسة في الحياة الاقتصادية والجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مکتبة الملكعبدالعزيز العامة: الرياض، الطبعة الأولى: 1412هـ: 116. [↑](#footnote-ref-231)
232. . ولاية اليمامة، مصدر سابق: 117. [↑](#footnote-ref-232)
233. . إمارة الحج في العصر العباسي،  مصدر سابق: 186ـ187. [↑](#footnote-ref-233)
234. . ولاية اليمامة، مصدر سابق: 117. [↑](#footnote-ref-234)
235. . ولاية اليمامة، مصدر سابق: 140. [↑](#footnote-ref-235)
236. . ولاية اليمامة، مصدر سابق: 141. [↑](#footnote-ref-236)
237. . القمي،  سعد بن عبد الله الأشعري: کتاب المقالات والفرق، سححه وقدم له و علق عليه، د. محمد جواد مشکور، مطبعة حيدري: طهران، الطبعة الأولى: 1341هـ: 83. [↑](#footnote-ref-237)
238. . زکار، جمع و تحقيق ودراسة د. سهيل: أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن، دار الإحسان: دمشق. الطبعة الثانية: 1402هـ ـ 1982م: 84. [↑](#footnote-ref-238)
239. . أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن: مصدر سابق: 44. [↑](#footnote-ref-239)
240. . أخبار القرامطة: مصدر سابق: 30. [↑](#footnote-ref-240)
241. . الجوزي، عبدالرحمن بن على بن محمد: القارمطة، تحقيق: محمد الصباغ، المکتب الإسلامي: بيروت، الطبعة الخامسة: 1401هـ ـ 1981م: 38. [↑](#footnote-ref-241)
242. . ابن مسکويه (ت421هـ)، أحمد بن محمد: تجارب الأمم وتعاقب الهمم،  تحقيق: سيد کسروي حسن، دار الکتب العلمية: بيروت: الطبعة الأولى: 2003م ـ 1423هـ: 4 : 382. [↑](#footnote-ref-242)
243. . أخبار القرامطة، مصدر سابق: 35. [↑](#footnote-ref-243)
244. . أخبار القرامطة، مصدر سابق: 37. [↑](#footnote-ref-244)
245. . أخبار القرامطة، مصدر سابق: 37. [↑](#footnote-ref-245)
246. . أخبار القرامطة، مصدر سابق: 45. [↑](#footnote-ref-246)
247. . أخبار القرامطة، مصدر سابق: 53. [↑](#footnote-ref-247)
248. . المَکْس: الضريبة، وجمعه:  مکوس. [↑](#footnote-ref-248)
249. . المغربي، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المتوفي سنة 808هـ: تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، الطبعة الأولى: 1391هـ 1971م: 5 : 100. [↑](#footnote-ref-249)
250. . علوي، ناصر خسرو: سفرنامة، ترجمة: د. يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للکتاب: القاهره، الطبعة الثانية: 1993م: 142. [↑](#footnote-ref-250)
251. . سفرنامه، ناصر خسرو، مصدر سابق: 143. [↑](#footnote-ref-251)
252. . المديرس، د. عبدالرحمن بن مديرس: الدولة العيونية في البحرين 469هـ / 1076م ـ 1238م، دارة الملك عبد العزيز: الرياض، الطبعة الأولى: 1422هـ: 85. [↑](#footnote-ref-252)
253. . الدولة العيونية في البحرين، مصدر سابق: 107. [↑](#footnote-ref-253)
254. . أدما: هي قرية لبنانية من قري قضاء کسروان في محافظة جبل لبنان. [↑](#footnote-ref-254)
255. . قوافل الحج المارة بالعارض، راشد بن محمد عساکر، مجلة الدرعية، السنتان السادسة والسابعة، العدادن: الرابع والخامس والعشرون، ذوالحجة 1424هـ، ربيع الأول 1425هـ، فببراير ـ مايو:  200م: 67. [↑](#footnote-ref-255)
256. . خليل، د. محمد محمود، تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمي إقليم بلاد البحرين في ظل حکم الدويلات العربية (469ـ963هـ / 1076ـ1555م)، مکتبة المدبولي: القاهرة، الطبعة الأولى: 2006م: 171. [↑](#footnote-ref-256)
257. . تاريخ الخليج[الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: 293. [↑](#footnote-ref-257)
258. . الدولة العيونية في البحرين، مصدر سابق: 131. [↑](#footnote-ref-258)
259. . الدولة العيونية في البحرين، مصدر سابق: 132، المناعي، سامي جاسم عبدالعزيز، ابن مقرب العيوني شاعر الخليج العربي في العصور الإسلمية حياته و شعره، جامعة قطر: الدوحة، الطبعة الألي 1414هـ ـ 1982م: 15. [↑](#footnote-ref-259)
260. . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: 211. [↑](#footnote-ref-260)
261. . إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، عبداللطيف الناصر الحميدان، مجلة کلية الآداب في جامعة البصرة، س13، ع15، 1979م: 83. [↑](#footnote-ref-261)
262. . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: 217. [↑](#footnote-ref-262)
263. . تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، محمد بن عبدالله آل عبدالقادر: 1 : 104. [↑](#footnote-ref-263)
264. . الظاهري، أبو عبد الرحمن بن عقيل: أنساب الأسر الحاکمة في الأحساء، تقديم حمد الجاسر، دار اليمامة: الرياض، الطبعة الأولى: 1403هـ: 116. [↑](#footnote-ref-264)
265. . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: 364. [↑](#footnote-ref-265)
266. . الدولة العيونية في البحرين، مصدر سابق: 148. [↑](#footnote-ref-266)
267. . الدولة العيونية في البحرين، مصدر سابق: 148. [↑](#footnote-ref-267)
268. . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: 375. [↑](#footnote-ref-268)
269. . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: 379. [↑](#footnote-ref-269)
270. . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: 380. [↑](#footnote-ref-270)
271. . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: 384ـ386. [↑](#footnote-ref-271)
272. . يعني يوم عرفة. [↑](#footnote-ref-272)
273. . إشارة  إلی دعاء الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) يوم عرفة. [↑](#footnote-ref-273)
274. . عندما فشل هشام بن عبدالملك من الوصول إلى الحجر لاستلامه، عاد ادراجه إلى مکانه بين جنده و من معه من أتباع السلطان. وبعد هنيهة فوجئوا بوصول الإمام علي بن الحسين زين العابدين بدون حاشية و جند، وقد انفرج الناس ليستلم الحجر بدون مشقة. فقيل لهشام من هذا؟ فقال: لا أعرفه، وکان الفرزدق قريباً منه فأجابه بقصيدته الميمية الشهيرة:

     هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه و الحل و الحرم

     هذا عليٌ رسول الله والــــــده أمست بنورِ هداه تهتدي الأممُ

     هذا ابن فاطمة إن کنت جاهــلَه بجدّه أنبيـاء الله قد ختموا ...

     إلى آخر القصيدة. [↑](#footnote-ref-274)